

مجلة ثقافية شهرية - العدد٣٥٩ - جمادى الأولى ١٤٢٧هـ - يونيو ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 359 - June. 2006

- التنين الوحش ذو الرؤوس السبعة
- البتراء عاصمة الأنباط
- إيطاليا والثقافة العربية







مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٥٩- جمادى الأولى ١٤٢٧هـ- يونيو ٢٠٠٦م
ALFAISAL MAGAZINE - No.359 -June 2006

القسم	العنوان	الكاتب	الصفحة
تحقيق	البتراء عاصمة الأنباط	تركي بن إبراهيم القهيدان	٦
إعلام	الإعلان التلفازي وأثره في تشكيل الذوق العام	عبد العظيم محمود حنفي	٣٨
محاضرات	كايتاني وفيدا ودورهما في الدراسات الإسلامية	كلاوديو لوياكونو	٥٠
	مخطوطات عربية في بعض المكتبات الإيطالية	فالنتينا ساغاريا روسي	٥٨
استطلاع	التنين.. الوحش ذو الرؤوس السبعة	سمير عطا	٦٦
تاريخ	تاريخ السودان في متحف القصر الجمهوري	حاتم إبراهيم دينار	٩٠
قصائد	الحب في زمن لا يعرف الحب	محمد مهدي الحمادي	١٠٦
	أنداء الذكرى	محمود أسد	١٠٧
قصص قصيرة	الأسد	حسين عيد مادي	١٠٧
	اغتيال لحظة كره	محمد عباس علي	١١٣
قراءة في كتاب	متحف الشيخ فيصل بن قاسم بن فيصل آل ثاني	حوى النبي علي صالح	١١٤
المسابقة			١٢٧
الملحق الثقافي			١٢٩
خاتمة المطاف	عادل الغضبان شاعر الشباب ١٩٠٨ - ١٩٧٢م	عيسى فتوح	١٤٢

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة

السعر الإفرادي

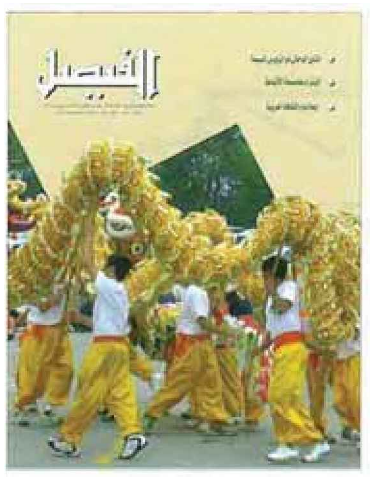
السعودية ١٠ ريالات ـ الكويت ٨٠٠ فلس ـ الإمارات ١٠ دراهم ـ قطر ١٠ ريالات ـ البحرين دينار واحد ـ عُمان ريال واحد ـ الأردن ٧٥٠ فلس ـ اليمن ١٠٠ ريال ـ مصر ٨جنيهات ـ السودان ١٥٠ دينارًا ـ المغرب ١٠ دراهم ـ تونس ٢٥٠, ١دينار ـ الجزائر ٨٠ دينارًا ـ العراق ٨٠٠ فلس ـ سورية ١٥ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢..، سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢١٨ ـ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١ ـ ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ ص ب ٧١٩ ـ فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ ـ ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ـ الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٢٢ ـ ٢١٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٣٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٣ ـ ٢ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







التنين الوحش ذو الرؤوس السبعة

التنين هو الاسم الذي يطلق على أكثر المخلوقات أسطورية في معظم ملاحم العالم القديم والوسيط والحديث وأدبه وتاريخه وفولكلوره على حد سواء. ولم يكن التنين مجرد صورة فولكلورية فقط، بل قضية علمية أيضًا.. فحتى مئتي عام مضت فقط، كان علماء الأحياء، وما زالوا يصنفونه كحيوان له وجود بين غيره من الحيوانات المعروفة، بل ما زال بعضهم في زمننا هذا المعاصر يعتقدون بوجوده بصورة من صور القداسة أحيانًا، والخوف أحيانًا أخرى.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير:

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

نايف بن مارق الضيط

حوى النبي علي صالح

الإخراج الفني:

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

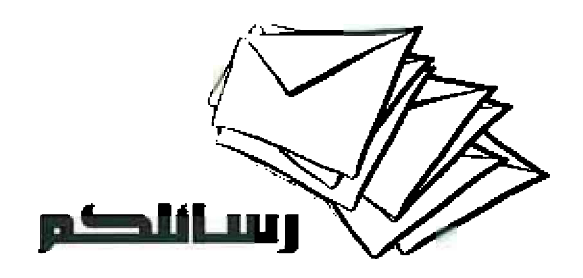
١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات. أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٣

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨



تباشير

لقد لاحظت في الأشهر الأخيرة أن «الفيصل» تصل إلينا مع مطلع الشهر أو قبله بقليل، وهذا يساعدنا على قراءة كل موادها بتأنٍ، والتفاعل مع مسابقتها التي نحرص على المشاركة فيها.

ولا بد لي أن أنوه بالتطور الكبير في المادة التحريرية والإخراج، وهذا -لاشك- دليل على الإتقان والحرص على الارتقاء بالمجلة، وليتكم تعيدون إلينا باب «تباشير» الذي يهتم بالأقلام الواعدة؛ لأن رقي مستوى المجلة يجعل أمثالي ممن يتلمسون طريقهم يترددون في إرسال إبداعاتهم، خوفًا من عدم إجازتها للنشر، كما أن التعليق المصاحب للمادة المنشورة في «تباشير» كان مفيدًا للمبدعين الشباب. ولكم تقديري.

عبد العزيز المشاري

الرياض -السعودية

التحرير:

لك شكرنا على تفاعلك مع المجلة، ونحن حريصون على أن تصل المجلة إلى القراء مع مطلع الشهر، وملاحظتك بخصوص «تباشير» محل اهتمامنا، مع تأكيد حرص المجلة على تشجيع الأقلام الواعدة بنشر إنتاجها من القصة والشعر والمقالة.

"الفيصل" في السودان

لقد وعدتموني كثيرًا بحل مشكلة وصول المجلة إلى السوق السودانية، وانتظرنا على أحر من الجمر، ولكن المشكلة لا تزال قائمة.

نود أن نفيدكم أن «الفيصل» لها مكانتها في قلوبنا، لأنها تحمل اسمًا عزيزًا علينا، كما أنها تظل مصدرًا مهمًا للمعرفة والثقافة، ويكفي أنها قد تكون المجلة الوحيدة الصامدة على مستواها المعهود طوال ٣٠ عامًا.

لا أريد أن أطيل في وصف المجلة وأهميتها، ولكن ما أود تأكيده أن مكانها لا يزال شاغرًا ونحن أحوج ما نكون إليها، ولعلكم تسارعون في حل هذه المعضلة التي طال أمدها، وأنا واثق بكريم اهتمامكم وحرصكم على وجود «الفيصل» لا في أسواق الخرطوم، بل في جميع ولايات السودان، لكم ودّي وتقديري.

احمد محمد احمد جبر

الخرطوم . السودان

التحرير:

نشكر لك هذا الاهتمام الواضح بوجود «الفيصل» في السودان، فالإسراع بحل المشكلة واجب، ونأمل أن يكون ذلك في القريب، لأننا حريصون على وجود «الفيصل» بين يدي قرائها في كل مكان.

تونس الخضراء

إلى الأديب الفاضل نبيل البواب

قرأت التعليق الذي على مقالتي «العولمة والثقافة بين العولمة والاحتواء» المنشور في سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠٥م، وفي الوقت

الذي أشكرك أجمل الشكر على هذا التعليق اللطيف الذي ذكرني بتونس الخضراء، وقد زرت بلدكم الجميل، وألقيت عددًا من المحاضرات فيها عندما كانت مؤسسة دار الحكمة تدعو بعض أعضائها إلى الاجتماع السنوي، الذي توقف لأمر لا أعرفه، ونظمت فيها قصيدة، ونشرت، ومنها:

يا تونس الخضراء يا غالية
يا منتهى شوقي وأحلامية
يا قبس المجد وإشعاعه
ودرة للبحر والبادية
جددت لي أحلى زمان الصبا
بروحك الفتانة الشادية
فرقرق الزهر بطيب الشذا
وغرّد البلبل والساقية
أتيت من بغداد في لهفة
وكنتِ لي بغداديَ الثانية

لا بد من الإشارة إلى أن المقالة ألقيت في مجمع اللغة العربية في القاهرة السنة الماضية، وقد حمدت الله أن أجد قارئًا واعيًا، ولو كنت أعرف عنوانك لكتبت إليك مباشرة، ولكن الفيصل (زميلة العمر) سوف تكون خير من يحمل إليك هذه الرسالة

يوسف عز الدين
ويلز - بريطانية

التحرير:

نشكر للأستاذ الدكتور يوسف عز الدين توصيته بالتواصل مع الأستاذ نبيل البواب عبر المجلة، فمرحبًا بهما في رحاب «الفيصل».

ردود سريعة

الأخ محمد الصالح بن عبدالكرم الساحلي ـ مدينة القلعة الكبرى ـ تونس:

نشكر لك إطراءك وإعجابك بالمجلة، واهتمامك باللغة العربية، ونتمنى أن نكون دائمًا عند حسن ظن جميع الإخوة القراء ومرحبًا بمشاركاتك، ويسعدنا تلقي كل الملاحظات التي تعين على مزيد من التطور.

الأخ عبدالعزيز محمد الدوري ـ بغداد ـ العراق:

اهتمام المجلة كبير بالعراق، وقد نشرت عددًا كبيرًا من الموضوعات التي تتعلق به، أو موضوعات أخرى بأقلام كتاب عراقيين، وهذا ضمن منهج عام للمجلة تفتح من خلاله صفحاتها لكل الكتاب الذين يحرصون على مراسلتها، مع وجود تقويم موضوعي يسبق نشر المادة.

الأخت وداد محمد الرازي ـ حلب ـ سورية:

سبق للمجلة أن نشرت موضوعات كثيرة عن مدينة حلب، ومعالمها الحضارية، وستجدين في الأعداد القادمة إن شاء الله موضوعات أخرى عن هذه المدينة التي اختيرت عاصمة للثقافة الإسلامية في عام ٢٠٠٦م.

الأخ عمر محمد حسن ـ جدة ـ السعودية:

نرحب بمشاركاتك، وإبداعاتك في مجالي القصة القصيرة والشعر، على أن تجاز للنشر من قبل اللجنة المختصة؛ لأن من أدوار المجلة تشجيع الشباب المبدع، لذا كان اهتمامنا دومًا بالمادة أكثر من اسم صاحبها، فلك الشكر على متابعتك «الفيصل» واهتمامك باقتنائها.



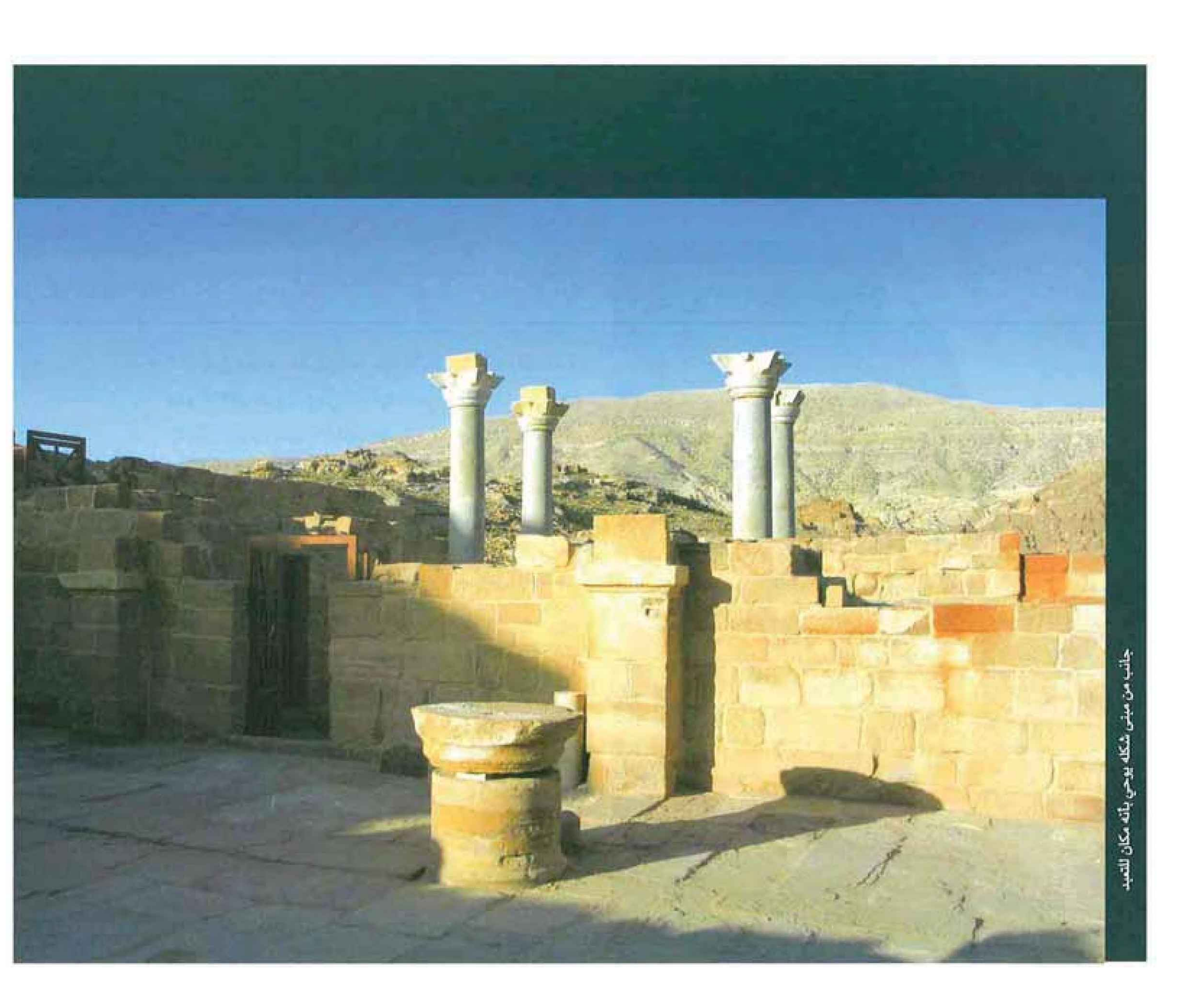
البتراء عاصمة الأنباط

تركي بن إبراهيم القهيدان

القصيم ـ السعودية

للبتراء جمال لايدركه إلاّ من زار هذه الجوهرة الأردنية الفريدة. فهي مدينة ساحرة تأسرك، وتثير حواسك، وهي مدينة العرب الصخرية، تتميز ببيوتها المنحوتة في الصخر منذ قبل أكثر من ٢٠٠٠ سنة! وما زالت باقية على حالها حتى وقتنا الحاضر، شاهدة على المعجزة البشرية التي تخرج المدن من بطون الجبال.

كذلك تعد البتراء من أهم المواقع السياحية والتاريخية في دولة الأردن . بل أروع أماكن كنوز الآثار العالمية، وترتبط بالأنباط الذين جعلوا منها عاصمة لهم، ولم يكن الأنباط شعباً يحتفي بالموت فقط، ويقيم له الأضرحة الضخمة، فقد شهدت بلادهم احتفاءً بالحياة ومتطلباتها، ومع توسع تجارتهم أخذوا يهتمون أيضاً بالصناعة، فقد استخرجوا النحاس من وادي عربة، والقطران من البحر الميت، والبلسم من أشجار أريحا، وأقاموا عدة أفران لصناعة الخزف الذي تميزوا به، كما اهتموا بالزراعة، فقد كانت بلادهم موطناً لكثير من الأشجار المثمرة. كما تتميز مملكة الأنباط بموقعها الإستراتيجي المهم، فهي تقع في قلب العالم القديم، وفي ملتقى ثلاث قارات؛ لذلك سيطر الأنباط على بعض طرق التجارة في بلاد العرب قديمًا، فأصبحت البتراء إحدى المحطات المهمة على طريق التوابل. ومن عاصمتهم تلك استطاعوا تأسيس شبكة محكمة من طرق القوافل، وكانوا يفرضون الضرائب، ويؤوون القوافل المحملة بالتوابل والحرير الهندي والبخور والتمر والذهب والفضة، والعاج وجلود الحيوانات الإفريقية، واللبان والمر المستعملين كبخور،



جانب من مبنى شكله يوحي بأنه مكان للتعبد

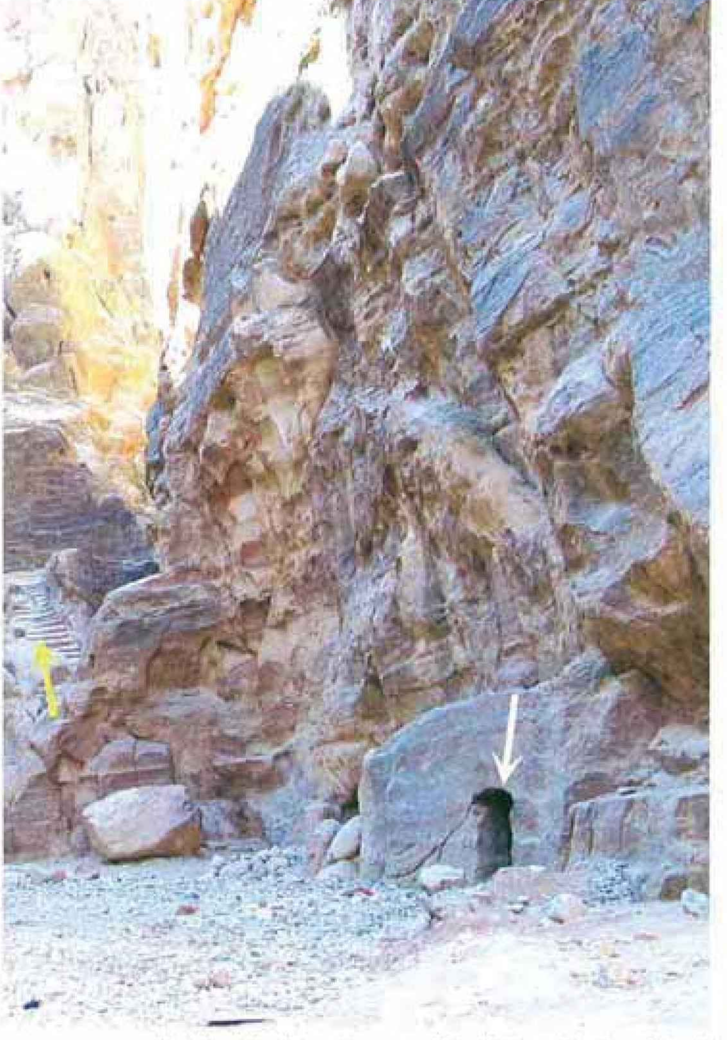
والأحجار الثمينة من الهند والجزيرة العربية.

والبتراء من آثار عاصمة مملكة الأنباط، تعرف باسم (المدينة الوردية) نسبة إلى لون صخورها. حيث ترسم الطبيعة عبر تعاقب الفصول لوحات نادرة في تكوينات عروق الرمل، وألوانها ذات التموجات والأطياف التي تسر الناظرين. وقد وصفها الشاعر الإنجليزي (بيرجن) بأنها المدينة الشرقية المذهلة، المدينة الوردية التي لا مثيل لها. والبتراء مدينة الأحلام والأسرار، فالأنباط كانوا يتكلمون لغة نادرة متفرعة من الآرامية، ولم يخلّفوا سوى القليل من السجلات المكتوبة، لذا لم يُعرف إلاّ القليل عن جوهر المدينة. يضاف إلى ذلك أن بعض العوامل الجوية أتلفت بعض واجهات بيوتها، ومن المعلوم أن النصوص تكتب عادة في نظيرتها الحجْر داخل اللوحة المخصصة لكتابة النقش التي تعلو مدخل البيت.

أولاً: البتراء:

الموقع:

تقع في دولة الأردن جنوب العاصمة عمّان على بعد



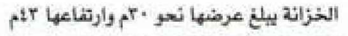
السهم الأيسر يشير إلى صخرة ذات شكل هندسي، والسهمان السفليان يشيران إلى بيوت منحوتة في الجبل، وأما الأسهم العلوية فتشير إلى درج منحوت في الصخر

١٩٣كم (بخط مستقيم)، أما طول الطريق المعبّد (المسفلت) فهو ٢٦٢كم تقريباً. وهي تقع أيضاً في الجهة الشمالية من الحِجْر، وتبعد عنها ٤٦٣كم، وشمال البِدْع على بعد ٢٠٩كم (بخط مستقيم) وإحداثيات الموقع كالآتي:

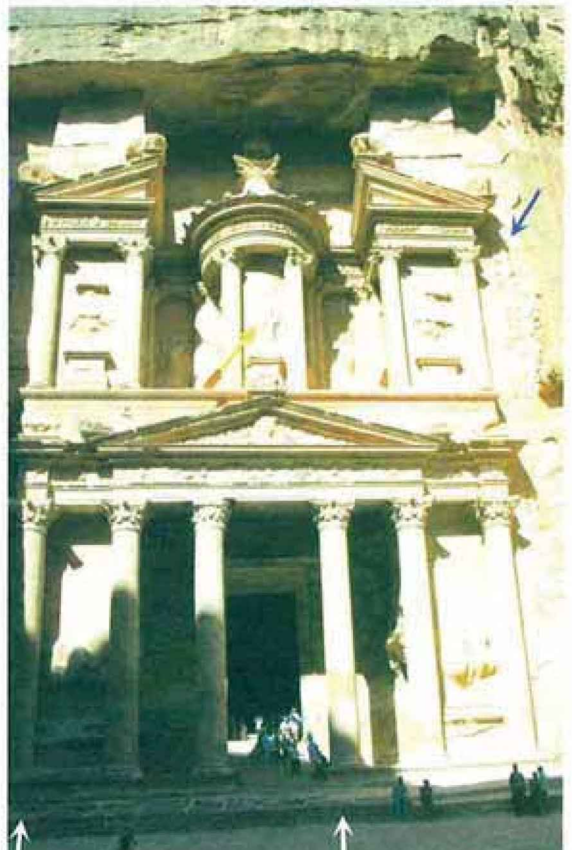
٥٤٨ ١٩َ ٣٠ً

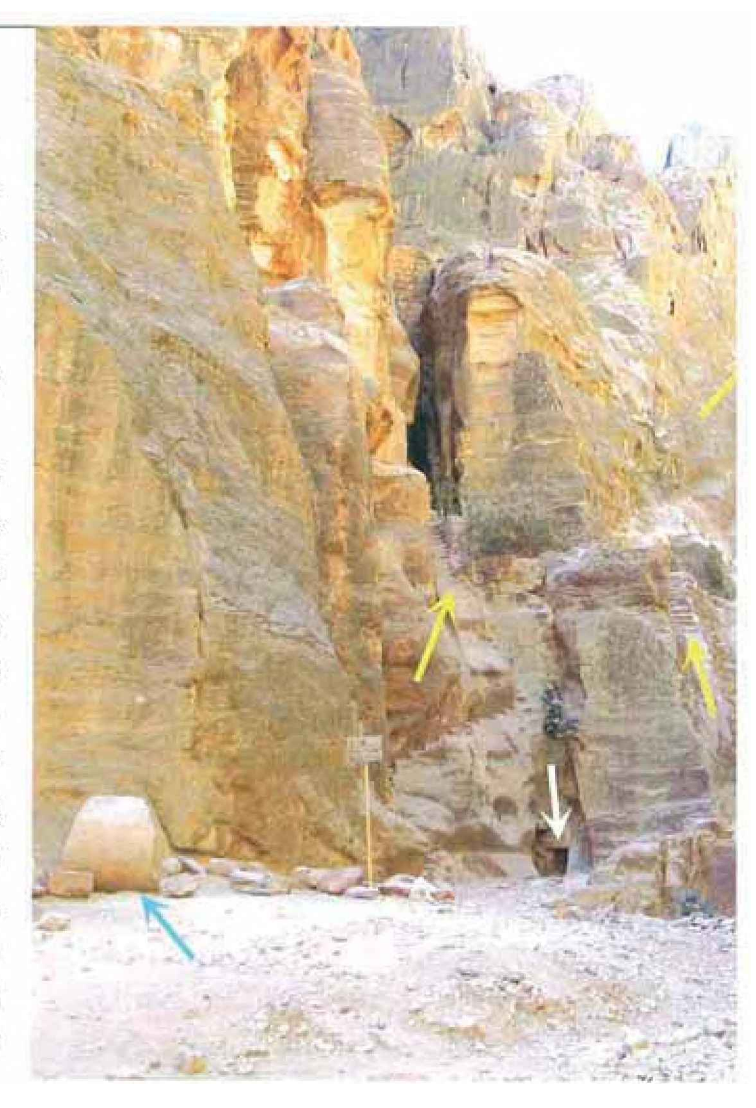
٠٩٣ ٢٨َ ٣٥ً

وتقع البتراء بالقرب من بلدة وادي موسى، وهذا هو اسمها في الوقت الحالي. أما قديماً فهي تعرف باسم الجي. ووادي موسى منسوب إلى موسى بن عمران عليه السلام. قال عنه ياقوت: «هو واد في قبلي بيت المقدس بينه وبين أرض الحجاز وهو واد حسن كثير الزيتون وإنما سمي وادي موسى لأنه عليه السلام لما خرج من التيه ومعه بنو إسرائيل كان معه الحجر الذي ذكره الله تعالى في القرآن كان إذا ارتحل حمله معه وخرج فإذا نزل ألقاه على الأرض فخرجت منه اثنتا عشرة عينا تتفرق على اثني عشر سبطا قد علم كل أناس مشربهم فلما وصل إلى هذا الوادي وعلم بقرب أجله عمد إلى ذلك الحجر فسمره في الجبل هناك فخرجت منه اثنتا عشرة عينا وتفرقت على اثنتي عشرة قرية، كل قرية لسبط من الأسباط ثم مات موسى عليه السلام وبقي الحجر على أمره هناك». ويضيف الحموي: «حدثني القاضي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف - أدام الله علوه - أنه رآه هناك، وأنه في قدر



الخزانة يبلغ عرضها نحو ٣٠م وارتفاعها ٤٣م





راس العنز، وأنه ليس في هذا الجبل شيء يشبهه» (١).

ويجب علينا التنبه إلى أن هنالك أماكن أخرى تسمى بـ (البتراء) في جزيرة العرب، منها البتراء في منطقة القصيم. أيضاً وردت البتراء في بعض المصادر الإسلامية، ولكنها غير بترائنا هذه، وقد مرَّ بها رسول الله ﷺ عندما خرج في غزوة بني لحيان، وأظهر أنه يريد الشام ليصيب منهم غرة فخرج من المدينة فسلك على غراب، ثم على مخيض، ثم على البتراء، ثم صفق ذات اليسار فخرج على بين، ثم على صخيرات الثمام، ثم استقام به الطريق على السيالة فأغذ السير سريعا حتى نزل على غران (٢).

المدلول الاصطلاحي

البتر كما يذكره ابن منظور: استئصال الشيء (٣). وجاء في (الروض المربع): بل تجزئ البتراء التي لا ذنب لها (٤). وفي (حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح): فلقوله: (لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: تقولون: اللهم صل على محمد وتمسكون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد (٥). وفي حديث زياد أنه قال في خطبته البتراء كذا قيل لها البتراء؛ لأنه لم يذكر فيها الله عز وجل، ولا صلى فيها على النبي ﷺ وفيه كان لرسول الله ﷺ درع يقال لها البتراء سميت بذلك لقصرها (٦). وفي حديث سعد أنه أوتر بركعة فأنكر عليه ابن مسعود، وقال: ما هذه البتراء وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر، والأبتران العير والعبد، سميا أبترين لقلة خيرهما، وقد أبتره الله أي صيره أبتر، وخطبة بتراء إذا لم يذكر الله تعالى فيها (٧). ومن مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة وتبوك: مسجد تبوك، ومسجد بطرف البتراء، ومسجد بالحجر، ومسجد بوادي القرى (٨).

لمحة تاريخية

يرى بعض المؤرخين أن الأنباط قبيلة عربية بدوية كانت ترعى الماشية، ثم أغرت التجارة الأنباط بترك حياة البداوة، واتخذوا البتراء مقراً لهم يخزنون فيها بضائعهم، ويحتمون فيها. وتأسست عاصمة الأنباط قرابة عام ٣١٢ قبل الميلاد، ونتيجة للثروة التي حصلوا عليها، قاموا بتزيين مدينتهم بالقصور والمعابد والأقواس. والكثير من المنشآت قد اختفت في الوقت الحالي، وهذه الثروات أغرت الطامعين والأعداء



منظر عن قرب لواجهة الخزانة

فيها. وفي أوج قوتها امتدت إلى دمشق وأجزاء من صحراء سيناء والنقب. وظلت البتراء شامخة أمام الأعداء فترة من الزمن، بفضل صعوبة الوصول إليها، وإحاطة الجبال بها، وتمديدات المياه الرائعة فيها، فأصبحت كالقلعة المحصنة من جميع الجهات. ولمَّا رأت روما في نفوذها وازدهارها المتزايدين تهديدًا لها، ضمَّتها إليها في عام ١٠٦م، وبقيت ولاية عربية عاصمتها البتراء تابعة لروما، وبعد سيطرة الرومان على طرق التجارة حولوها نحو بُصْرى (في سورية)؛ مما أدى إلى انحطاط البتراء. ومما لا شك فيه أن مرور الطرق المهمة بالمدن يزيدها ازدهاراً وتطوراً، وتنتعش لذلك أسواقها وتجارتها، والعكس صحيح بالنسبة إلى البتراء، وهذا ما عجّل بفقدان أهميتها.

ومع قدوم الإسلام وانتشاره، وطرده لجيوش البيزنطيين في معركة اليرموك الشهيرة عام ٦٣٦م، أصبحت البتراء خاضعة للحكم العربي، لكن هذه المدينة لم تكن مركز جذب لهم، كذلك لم تلقَ أي اهتمام من الدولة الأموية حين قيامها في عام ٦٦١م. فعاش من تبقى من سكان البتراء على الزراعة. وحين ضرب المدينة زلازل عام ٧٤٦م/٧٤٨م، وزلازل أخرى.. فإنها، على ما يبدو، قد أسهمت إلى حد كبير، في تفريغها من أهلها وهجرانها أيضاً، وهكذا ظلت البتراء شبه مهجورة يكاد ذكرها يضيع من التاريخ.. ثم دخلت في تاريخ مظلم، وبحلول القرن ١٦م، فُقِدَتْ البتراء بالنسبة إلى الغرب، حتى قام الرحالة «جوهان بوركهارت» بالكشف عنها في عام ١٨١٢م، وكتب في ملاحظاته التي كان يدونها سراً عند زيارته للمكان: «يبدو محتملاً جداً أن تكون الخرائب الموجودة في وادي موسى هي بقايا البتراء القديمة». ثم زارها ألويس موصل في عام ١٨٩٦م، وكتب عنها كتاباً أسماه «Arabia Pe-traea»؛ مما لفت أنظار العالم إليها.

وفي الوقت الحالي اهتم المعنيون في دولة الأردن بتطوير البتراء لتصبح مركزاً سياحياً عالمياً وأعجوبة طبّقت شهرتها كل الآفاق.

ثانياً الأنباط:

المدلول الاصطلاحي:

ن ب ط نَبَطَ الماء نبع وبابه دخل وجلس والاسْتِنْبَاطُ الاستخراج والنَّبَطُ بفتحتين والنَّبِيطُ قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين والجمع أَنْبَاطٌ. يقال رجل نَبَطِيٌّ ونَبَاطِيٌّ ونَبَاطٍ مثل

يرى بعض المؤرخين أن الأنباط قبيلة عربية بدوية كانت ترعى الماشية. ثم أغرت التجارة الأنباط بترك حياة البداوة، واتخذوا البتراء مقراً لهم يخزنون فيها بضائعهم، ويحتمون فيها. وتأسست عاصمة الأنباط قرابة عام ٣١٢ قبل الميلاد



منظر عن قرب يوضح تفاصيل الأجزاء الساقطة من مادة التلبيس في أحد أعمدة الخزانة

كان ضريح الجندي متصلاً بالتريكلينيوم بواسطة هذا الفناء المعمد

يَمَني ويماني ويمان، وحكى يعقوب نُبَاطِيٌّ أيضًا بضم النون (٩).

والاستباط استخراج الماء من العين من قولهم نبط الماء إذا خرج من منبعه (١٠). والنبط كما يذكره ابن منظور: نبط النبط الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت، وقد نبط ماؤها ينبط وينبط نبطا ونبوطا، وانبطنا الماء أي: استنبطناه، وانتهينا إليه. ابن سيده نبط الركية نبطًا، وأنبطها، واستنبطها، ونبطها، الأخيرة عن ابن الأعرابي: أماهها، واسم الماء النبطة والنبط، والجمع أنباط ونبوط، ونبط الماء ينبط وينبط نبوطا نبع، وكل ما أظهر فقد انبط، واستنبطه، واستنبط منه علمًا وخبرًا ومالاً استخرجه، والاستنباط الاستخراج، واستنبط الفقيه إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه، قال الله عز وجل ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ النساء: ٨٣، قال الزجاج معنى يستنبطونه في اللغة يستخرجونه، وأصله من النبط، وهو الماء الذي يخرج من البئر أول ما تحفر، ويقال من ذلك: أنبط في غضراء أي استنبط الماء من طين حر، والنبط والنبيط الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت، قال كعب بن سعد الغنوي:

قريب ثراه ما ينال عدوه
له نبطًا عند الهوان قطوبُ..

ويروى قريب نداه، ويقال للركية هي نبط إذا أميهت، ويقال فلان لا يدرك له نبط أي: لا يعلم قدر علمه وغايته (١١).

ويضيف صاحب كتاب (لسان العرب) في موقع آخر: «وفرس أنبط بين النبط محركة، وشاة نبطاء بيضاء الشاكلة، والنبَط محركة: أول ما يظهر من ماء البئر كالنُّبطة بالضم، وأنبط الحافر: انتهى إليها، وغور المرء، وجيل ينزلون بالبطائح بين العراقين كالنبيط والأنباط وهو نَبَطي محركة ونُباطي مثلثة ونَباط كثمان وتبط تشبه بهم او تسبَّ إليهم،

والكلام استخرجه. ونبيط كزبير ابن شُرَيْط صحابي. ونبط الركية وأنبطها واستنبطها وتنبطها أماهها. وكل ما أظهر بعد خفاء فقد أُنْبِط واُسْتُنْبِط مجهولين والنُّبَيْطاء كحميراء جبل بطريق مكة. ووعساء النبيط (ع) والإنباط التأثير، واستنبط الفقيه استخرج الفقه الباطن بفهمه واجتهاده (١٢).

وقال ابن منظور: «من غدا من بيته ينبط علمًا فرشت له الملائكة أجنحتها»؛ أي: يظهره ويفشيه في الناس، وأصله من نبط الماء ينبط إذا نبع، ومنه الحديث: «ورجل ارتبط فرسًا ليستنبطها»؛ أي: يطلب نسلها ونتاجها، وفي رواية: يستبطنها؛ أي: يطلب ما في بطنها. ابن سيده: فلان لا ينال له نبط إذا كان داهيًا لا يدرك له غور، والنبط ما يتحلب من الجبل، كأنه عرق يخرج من أعراض الصخر، أبو عمرو: حفر فأثلج: إذا بلغ الطين، فإذا بلغ الماء قيل: أنبط، فإذا كثر الماء قيل: أماه، وأمهى، فإذا بلغ الرمل قيل أسهب، وأنبط الحفار بلغ الماء، ابن الأعرابي يقال للرجل إذا كان يعد ولا ينجز: فلان قريب الثرى بعيد النبط، وفي حديث بعضهم، وقد سئل عن رجل فقال: «ذاك قريب الثرى بعيد النبط» يريد أنه داني الموعد بعيد الإنجاز وفلان لا ينال نبطه إذا وصف بالعز والمنعة حتى لا يجد عدوه سبيلاً لأن يتهضمه. ونبط واد بعينه، قال الهذلي:

أضـــرّ بـه ضـــاحٍ فنبطا أســـالةٍ

فـمـرٌ فـأعلى حـوزها فـخـصـورُها

والنبط والنبطة بالضم بياض تحت إبط الفرس وبطنه وكل دابة وربما عرض حتى يغشى البطن والصدر، يقال فرس أنبط بين النبط، وقيل: الأنبط الذي يكون البياض في أعلى شقي بطنه مما يليه في مجرى الحزام، ولا يصعد إلى الجنب، وقيل: هو الذي ببطنه بياض ما كان وأين كان منه، وقيل: هو الأبيض البطن والرفغ ما لم يصعد إلى الجنبين، قال أبو عبيدة: إذا كان الفرس أبيض البطن والصدر فهو أنبط، وقال ذو الرمة يصف الصبح:

وقـد لاح للسـاري الذي كـمل السـرى

على أخـريات الليل فـتق مـشـهـر

كـمـثل الحـصـان الأنبط البطن قـائمـا

تمايل عنه الجلُّ فـاللون أشـقـر

شبه بياض الصبح طالعا في إحمرار الأفق بفرس أشقر قد مال عنه جله فبان بياض إبطه. وشاة نبطاء بيضاء الشاكلة، ابن سيده شاة نبطاء بيضاء الجنبين أو الجنب، وشاة نبطاء موشحة أو نبطاء محورة فإن كانت بيضاء فهي نبطاء بسواد، وإن كانت سوداء فهي نبطاء ببياض» (١٣).

وأورد الزمخشري في كتابه (الفائق) ما نصه: نبط عمر رضي الله تعالى عنه: كتب إلى أهل حمص لا تنبطوا في المدائن، ولا تعلّموا أبكار أولادكم كتاب النصارى، وتمعززوا، وكونوا عربًا خُشُنًا، أي: لا تشبهوا بالأنباط في سكنى المدائن والنزول بالأرياف، أو في اتخاذ العقار، واعتقاد المزارع، وكونوا مستعدين للغزو، مستوفزين للجهاد (١٤).

ويقول ياقوت: «عرفة نباط: جمع نبط، وهو الماء الذي يخرج من قعر البئر إذا حفرت وقد نبط ماؤها» (١٥).

وفي شرح سنن ابن ماجه: أنبط العلم من الأنباط، نبط العلم أي يظهره ويفشيه والاستنباط: الاستخراج، والنبط والنبيط الماء الذي يخرج من قعر البئر إذا حضرت كذا في «الدر النثير» أي جئت لإظهار العلم وتحصيله من العلماء (١٦).

تتميز مملكة الأنباط بموقعها الإستراتيجي المهم، فهي تقع في قلب العالم القديم لذلك سيطر الأنباط على بعض طرق التجارة في بلاد العرب قديمًا، فأصبحت البتراء إحدى المحطات المهمة على طريق التوابل

الأنباط في المصادر التاريخية والجغرافية

ذكر صاحب كتاب «المنتظم» انه ولد ليونان نبطي، ومن اولاده الروم حيث قال: أما الذين تيامنوا فالأزد وكندة وحمير والأشعرون وأنمار ومذحج، فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال هم الذين منهم خثعم وبجيلة والفرس والنبط من اولاد سام أيضًا ذكر اولاد يافث من أولاده يونان وولد ليونان نبطي ومن أولاده الروم (١٧).

وكان للأنباط دولة قوية من أشهر ملوكها:

الحارث الأول (١٦٩ ـ ١٤٩ قبل الميلاد).

الحارث الثاني (١١٠ ـ ٩٦ قبل الميلاد).

عبادة الأول (٩٠ قبل الميلاد) الذي اشتبك مع اليهود الذين حاولوا الاستيلاء على فلسطين.

الحارث الثالث (٨٧ ـ ٦٢ قبل الميلاد)، وقد استطاع أن يهزم اليهود في وقعات كثيرة واستنجد به أهل دمشق فأغاثهم، واستولى على البلاد .. وجاء بمعماريين سوريين (شيدوا) له قبراً يعدّ من آيات الفن الرائع يعرف باسم «الخزنة» (١٨).

ما بين عامي ٣٠ و٩ قبل الميلاد ظهر عبادة الثاني ووزيره القوي (سلي) أو صالح، فقد زار هذا الوزير روما، وقابل إمبراطورها آن ذاك أغسطس. ومن الواضح أن مملكة الأنباط كانت على تحالف وثيق حينها مع الإمبراطورية الرومانية.

الحارث الرابع (عام ٢٧ بعد الميلاد) يلقب بـ: رحم شعبه ـ أو محب لأمته ـ كما كان يلقب نفسه كملك، شهد عهده ازدهاراً، وتنمية واسعين، كما أنجز الكثير من المباني المهمة في مدينة البتراء، وقد وصلت حدود مملكته حتى العُلاَ جنوباً، ومنطقة النقب وحوران.

وكان الأنباط يمرون عبر القرون بتبدلات صميمية في العبادات الوثنية بحثاً عن التوازن الروحاني، وتقرباً من العلي القدير ـ الذي تعالى عن أي شيء تشبيهًا ـ فقد كان للأنباط ثالوثٌ صحراوي ذَكَري هو: ذو الشرى، وهبل، وشيع القوم. وثالوثٌ صحراوي أنثوي هو: اللات، والعزى، ومناة. ومع دخول العقيدة الزراعية تبدلت آلهتهم نحو (بعل وإدرادا) وقد انفتح أفقهم الروحي على عقائد كثيرة مصرية وآرمية وكنعانية ويونانية ورومانية. وظهرت تبدلات كثيرة لآلهتهم، حيث كان لكل إله دلالته الخاصة التي تنعكس على حياتهم اليومية، وتبدلاتها المستمرة. لقد قدسوا أيضاً الكتابة والمعرفة عن طريق إله الكتبة ـ أي إله الكتابة ـ التي كانت تماثيلها تنتشر في أنحاء المملكة.

ويذكر بعض المؤرخين، أن حكم الأنباط امتد من القرن الأول قبل الميلاد إلى عام ١٠٦ميلادي عندما سقطت دولتهم في أيدي الرومان. واستولوا على البتراء دون مقاومة، وجعلوها جزءاً من المقاطعة العربية التي أنشأها الرومان في الطرف الجنوبي من سورية لصد هجمات البادية، وجعلوا قاعدتها بُصْرى (١٩).

وعن سعيد بن المسيب قال: يستحب ان تبعث الأنباط في الجزية، قلت: ثم آخر امرهم أنهم يخرجون أنصارًا للدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم ﷺ؛ وذلك آخر الزمان (٢٠).

وجاء في تفسير الطبري عن قتادة: ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم، قال بعث عليهم هذا الحي من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة. وقال عبد الكريم الجزري يستحب ان تبعث الأنباط في الجزية (٢١).

كانت في البتراء حضارة عظيمة، وقد تم اكتشاف ما يقارب ٥٠٠ موقع نبطي، ما بين قلعة، أو مرقد، أو قرية، أو خربة، معظم هذه المواقع كانت قد شكلت دور المساند والجار، المزود الحيوي للبتراء

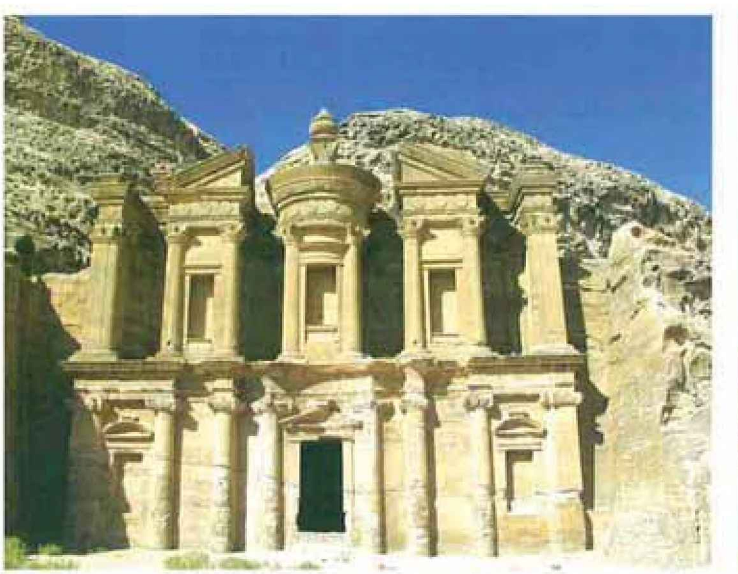
أصناف النبط وأماكنها:

بعد رجوعي إلى بعض المراجع تبين لي أن النبط أصناف، ومنازلهم في عدة أماكن. وفي ما يأتي عرض لبعض ما ورد في كتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين:

يؤكد صاحب كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» أن النبط أصناف حين قال: أما نبط العراق والسورانيون



أطلال قصر بنت فرعون



الدير أكبر الآثار الباقية في البتراء

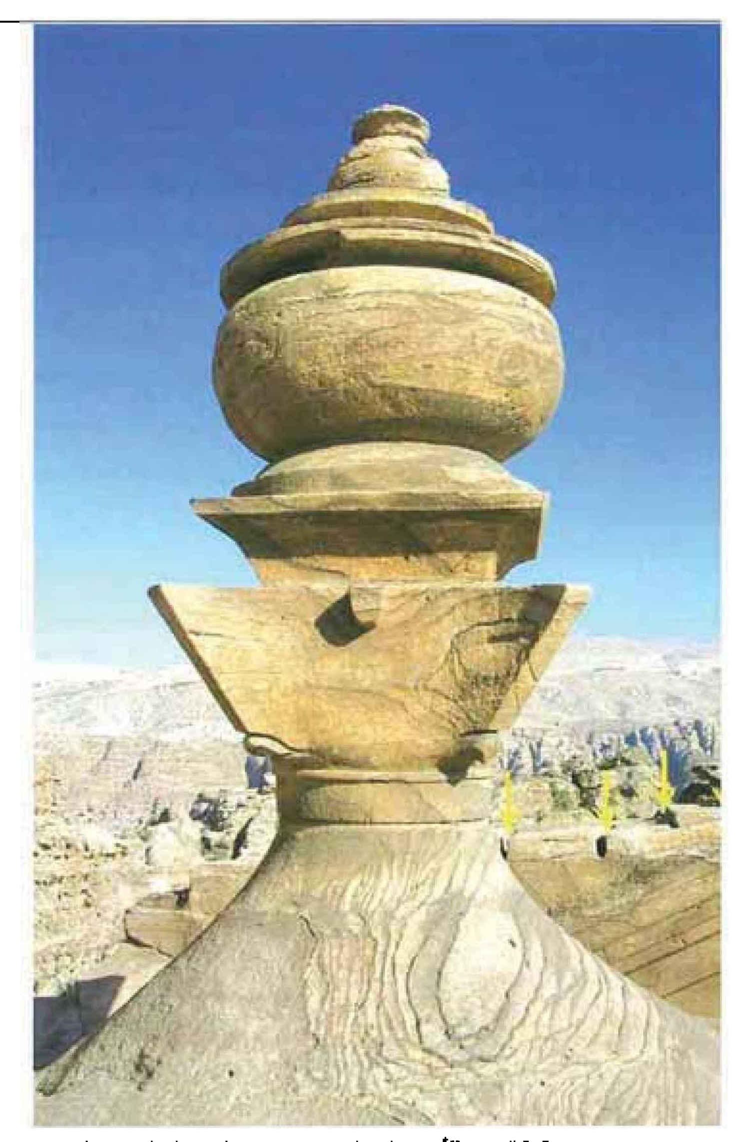
والكلدانيون والكسدانيون وغيرهم من أصناف النبط القدم فيدعى لهم أنهم اكتشفوا مبادئ صناعة الطب (٢٢).

ومعنى كسداني نبطي، وهم سكان الأرض الأولى، وهم من ولد سنحاريب، وله من الكتب في السحر والطلسمات كتاب «طرد الشياطين»، ويعرف بالأسرار وكتاب «السحر الكبير» وله كتاب «السحر الصغير» وكتاب «دوار على مذهب النبط»(٢٣). أما صاحب كتاب «الترغيب والترهيب» فيُعرف الأنباط بأنهم: فلاحون من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين (٢٤).

وفي حديث وهب قال: قال طالوت لداود ﷺ: أنت رجل جريء، وفي جبالنا هذه جراجمة يحتربون الناس، أي: لصوص يستلبون الناس وينتهبونهم، والجراجمة: قوم من العجم بالجزيرة، ويقال: الجراجمة نبط الشام قال ابن بري: ومنه قول أبي وجزة:

لو أن جمع الروم والجراجما (٢٥).

وأول من أخذ نصف العشور من أهل الذمة إذا اتجروا.. عمر بن الخطاب وكان يأخذ من تجار الأنباط.. أهل الشام إذا قدموا المدينة (٢٦).



قمة الدير، والأسهم تشير إلى صخور مقسمة إلى مكعبات مستطيلة

وذكر صاحب كتاب «التاريخ الكبير»: يوسف بن سابور أنه كانت بضاعته مع ناس من قومه بالسراة مع الأنباط في القمح والشعير، فإذا جاؤوهم يتقاضونهم أطعموهم (٢٧).

كما أورد صاحب كتاب «الكامل في التاريخ» معلومات مفيدة حين قال: فوجدوا الأرمانيين وهم الذين ملكوا أرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل يقاتلون الأردوانيين، وهم ملوك الطوائف، وهم ما بين نفر، وهي قرية من سواد العراق إلى الأبلة، فدفعوهم عن بلادهم، والأرمانيون من بقايا إرم فلهذا سموا الأرمانيين، وهم نبط السواد (٢٨). ولما أقبل خالد بن الوليد المخزومي يريد الحيرة في سلطان أبي بكر (بعث إلى أهل الحيرة أن أرسلوا إلينا رجلاً من عقلائكم وذوي انسابكم نسأله عن أمركم، فبعثوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس الغساني.. (وبعد أن سأله خالد عدة أسئلة) قال له: أسأله عن الشيء فيجيب عن غيره، قال: كلا والله ما أجبتك إلا عما سألتني عنه فسل عما بدالك. فقال: خالد أعرب أنتم أم نبط. فقال عبد المسيح: عرب (٢٩). وعندما تكلم صاحب كتاب «شذرات الذهب» عن الأحداث في سنة أربع وثمانين ذكر أن: أهل البحرين نبط استعربوا، وأهل عمان عرب استنبطوا (٣٠). وجاء في كتاب «أخبار مكة»: ضاءة النبط بعرنة في الحرم كان يعمل فيها نبط بعث بهم معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - يعملون الآجر لدوره بمكة فسميت بهم (٣١).

وقال صاحب كتاب «تاريخ مدينة دمشق»: أغار ملك نبط هذا الجبل على لوط فسباه وأهله، فبلغ ذلك إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام، فأقبل في طلبه في عدة من أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر، فالتقى هو وملك الجبل في صحراء يعفور (٣٢). كما ورد في «المطلع على أبواب المقنع»: النبطي منسوب إلى النبط والنبيط، وهم قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين، والجمع أنباط، ورجل نبطي ونباطي ونباط كيمني ويماني ويمان (٣٣).

وأكد ابن منظور أن دياف من نبط الشام حين قال: دياف موضع بالجزيرة، وهم نبط الشام، قال: وهو من الواو قال الفرزدق يهجو عمرو بن عفراء:

ولكن ديافي أبوه وأمه

بحوران يعصرن السليط أقاربه

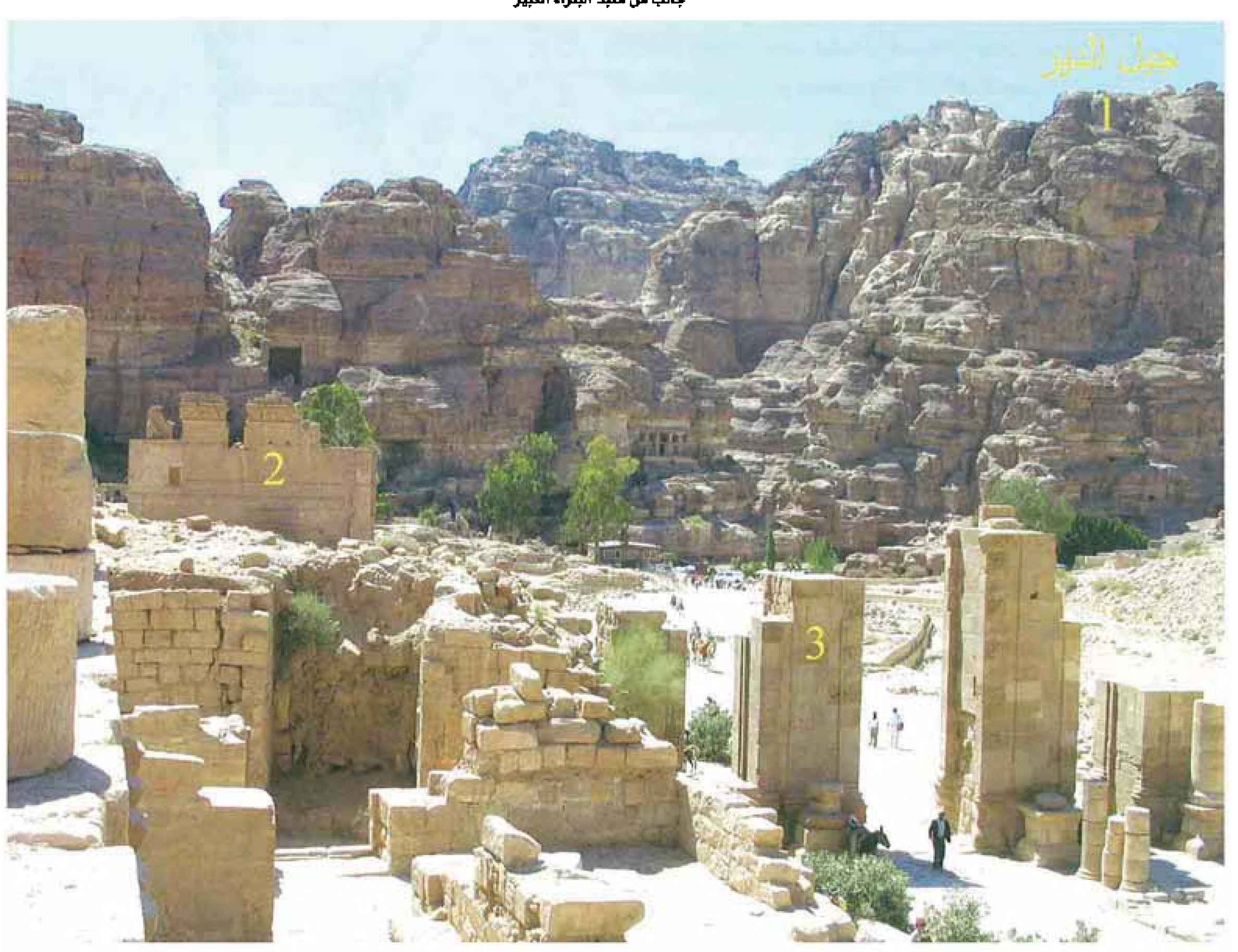
قال قوله: يعصرن إنما هو على لغة من يقول أكلوني البراغيث، وأنشد ابن بري لسحيم عبد بني الحسحاس:

كـأن الوحـوش به عـسـقـلا
نصـادف فـي قـرن حـج ديافـا

اي: صادف نبط الشام(٢١).

ويقول ياقوت: الطِّيب بالكسر ثم السكون وآخره باء موحدة بلفظ الطيب، وهو الرائحة الطيبة التي يتبخر بها أو يتضمخ ويتطيب: بليدة بين واسط، وخوزستان وأهلها نبط إلى الآن، ولغتهم نبطية. حدثني داود بن أحمد بن سعيد الطيبي التاجر - رحمه الله - قال: المتعارف عندنا أن الطيب من عمارة شيث بن آدم ﷺ وما زال أهلها على ملة شيث، وهو مذهب الصابئة إلى أن جاء الإسلام فأسلموا، وكان فيها عجائب من الطلسمات، منها ما بطل، ومنها ما هو باق إلى الآن، فمنها أنه لا يدخلها زنبور إلا

جانب من معبد البتراء الكبير



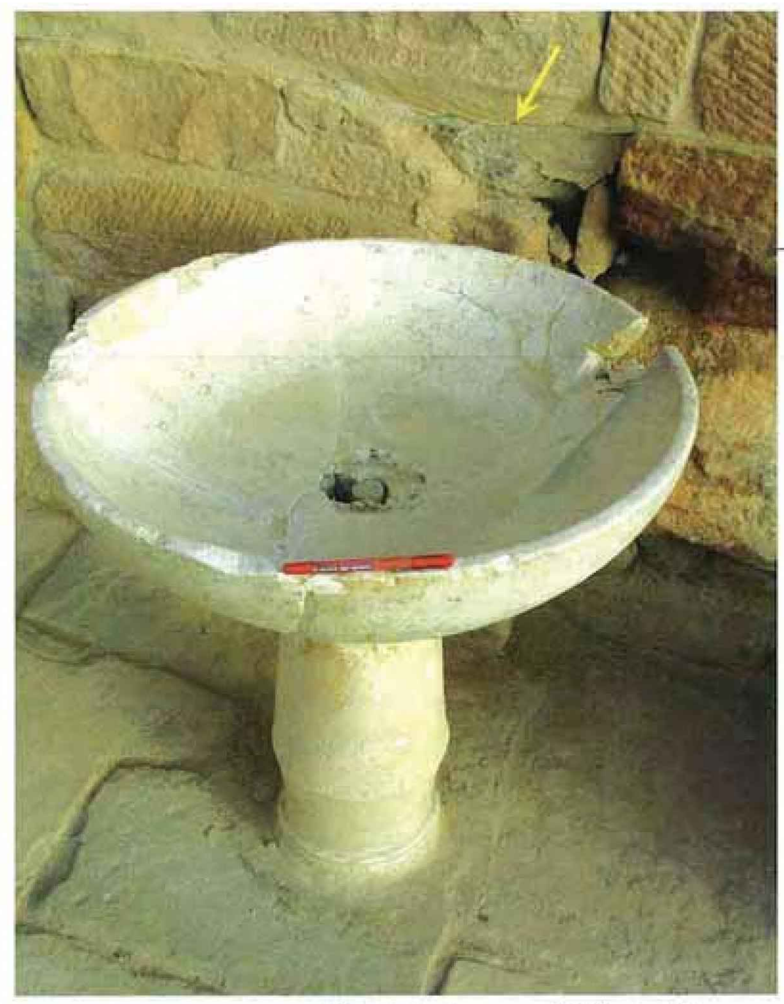
مات، وإلى قريب من زماننا ما كان يوجد فيها حية، ولا عقرب ولا يدخلها إلى يومنا هذا غراب أبقع ولا عقعق قال: والطيب متوسط بين واسط وخوزستان، وبينها وبين كل واحدة منهما ثمانية عشر فرسخا (٣٥).

وفي (حوادث السنة التاسعة) أورد صاحب كتاب «سمط النجوم العوالي»: كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء. فكان ذلك عسرة في الماء، وفي الظهر والنفقة فسميت غزوة العسرة. وسببها أنه بلغه من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل (٣٦).

كما جاء في «فتح الباري»: بلغ المسلمين من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعًا، وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من متنصرة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء، فندب النبي ﷺ الناس إلى الخروج (٣٧).

أيضاً وذكر صاحب كتاب «تاريخ مدينة دمشق»: كانت الطائفة، وهم الأنباط، يقدمون المدينة بالدرمك والزيت في الجاهلية، وبعد أن دخل الإسلام فإنما كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط، فقدمت منهم قادمة فذكروا أن الروم قد جمعت جموعًا كثيرة بالشام (٣٨). ويضيف في موقع آخر: فعدلوا

ظلت البتراء شامخة أمام الأعداء فترة من الزمن، بفضل صعوبة الوصول إليها، وإحاطة الجبال بها، وتمديدات المياه الرائعة فيها. فأصبحت كالقلعة المحصنة من جميع الجهات. ولَمّا رأت روما في نفوذها وازدهارها المتزايدين تهديدًا لها، ضمّتها إليها في عام ١٠٦م



شكل شبيه بنافورة الماء مصنوع من صخور الجرانيت

ما بقي بيد الأنباط من بقية الأرض على تعديل مسمى، ولم تعدل الغوطة في تلك السنة، وكان من كان بيده شيء من تلك الأشرية من أهل الغوطة يؤدي العشر، حتى بعث أمير المؤمنين عبد الله بن محمد، وهضاب بن طوق، ومحرز بن رزيق فعدلوا الأشرية وأمرهم ألاّ يضعوا على شيء من القطائع القديمة، ولا الأشرية خراجًا، وأن يمضوها لأهلها عشرية، ويضعوا الخراج على ما بقي منها بأيدي الأنباط (٣٩). ويضيف الشافعي: أخبرني غير واحد عن مسير الروم إلى مدينة طرابلس ورحيلها عنها، وأنه لم يعد إليها ولم يظهر الحراجية في جبل لبنان حتى ظهر بها رجل يقال له بندار من أهل المنيطرة شاب مديم الجسم؛ وذلك في سنة اثنتين وأربعين ومئة وسنة ثلاث وأربعين ومئة ويسمى بالملك، وتوج نفسه، وأظهر الصليب، واجتمع عليه أنباط جبل لبنان، وغيرهم، وقالت الأنباط: طلبنا إسماعيل

بن الأزرق والجزري، وكان على خراج بعلبك، وتعمد علينا، وأمسك الناس عن قتالهم مما شكوه من إسماعيل حتى كثروا ونظروا، فسبوا بعض قرى البقاع، فقتلوا المسلمين، وأخذوا ما وجدوا (٤٠). يضيف أيضًا في موقع آخر: عن عطية بن قيس الكلابي قال: رافقني يهودي قدم من الحجاز من بيت المقدس إلى دمشق، فنزلنا ببيسان، قال: ألا أريك شيئاً حسنا، فانحدر إلى النهر، فأخذ ضفدعا، فجعل في عنقها شعرة من ذنب فرس فجاءت مني التفاتة، فإذا هي خنزير في عنقه حبل شريط فدخل به بيسان فباعه من بعض الأنباط بخمسة دراهم. ثم ارتحلنا فسرنا غير بعيد قال: فإذا الأنباط يتعادون في أثرنا، فقلت له: قد أقبل القوم قال: فأقبل رجل منهم جسيم فرفع يده فلكمه في أصل لحيته لكمة فصرعه (٤١).

وأورد صاحب كتاب «تاريخ مدينة دمشق»: ثم ارتحل عمر حتى أتى دمشق فشاطرهم منازلهم وكنائسهم، وجعل يأخذ الحيز القبلي من الكنيسة لمسجد المسلمين؛ لأنها أنظف وأطهر وجعل يأخذ هو بطرف الحبل، ويأخذ النبطي بطرف الحبل حتى شاطرهم منازلهم قال: فربما أزحف، فأخذ الحبل منه، فأعقبه ففرغ عمر من دمشق وحمص وبعث أبا عبيدة إلى قنسرين وحلب ومنبج، ففعل بها كما فعل عمر، ورجع عمر من حمص إلى المدينة. قال: فلما نزل أبو عبيدة منبج بعث عياض بن غنم في عشرين فارسًا فأتى الرها، وقد اجتمع أهل الجزيرة من الأنباط، فأتاهم ابن غنم فوقف عند بابها الشرقي على فرس أحمر محذوف (٤٢).

ويقول صاحب كتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب»: لما كانت أيام ابن الزبير.. خرجت خيل للروم إلى جبل اللكام، وعليها قائد من قوادهم، ثم صارت إلى لبنان، وقد ضوت إليها جماعة كثيرة من الجراجمة وأنباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين، فاضطر عبد الملك إلى أن صالحهم.. ويضيف في موقع آخر: فتفرق الجراجمة بقرى حمص

الأنباط كانوا يتكلمون لغة نادرة متفرعة من الآرامية. ولم يخلفوا سوى القليل من السجلات المكتوبة. لذا لم يُعرف إلاّ القليل عن جوهر المدينة. يضاف إلى ذلك أن بعض العوامل الجوية أتلفت بعض واجهات بيوتها

ودمشق، ثم رجع أكثرهم إلى مدينتهم باللكام، وأتى الأنباط قراهم، ورجع العبيد إلى مواليهم (٤٣).

وقال ابن منظور: «النبيط والنبط كالحبيش والحبش في التقدير جيل ينزلون السواد». وفي «المحكم»: «ينزلون سواد العراق، وهم الأنباط، والنسب إليهم نبطي». وفي «الصحاح»: «ينزلون بالبطائح بين العراقين» ابن الأعرابي يقال: رجل نُباطي بضم النون.. ونباطي ولا تقل نبطي. وفي «الصحاح»: «رجل نبطي ونباطي ونباط مثل يمني ويماني ويمان وقد استنبط الرجل وفي كلام أيوب بن القرية أهل عمان عرب استنبطوا وأهل البحرين نبيط استعربوا. ويقال: تنبط فلان إذا انتمى إلى النبط، والنبط إنما سموا نبطا لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين». وفي حديث عمر ﷺ «تمعددوا ولا تستنبطوا أي تشبهوا بمعد ولا تشبهوا بالنبط». وفي الحديث الآخر: «لا تنبطوا في المدائن، أي: لا تشبهوا بالنبط في سكناها واتخاذ العقار والملك». وفي حديث ابن عباس «نحن معاشر قريش من النبط من أهل كوثى ربا قيل: إن إبراهيم الخليل ولد بها، وكان النبط سكانها» (٤٤).

الصلة بين العرب والأنباط

أورد الشيخ حمد الجاسر عدة أدلّة تحمل على القول بأن الأنباط قدموا من الحجاز، نوجزها فيما يأتي:

معبوداتهم التي كان من أشهرها اللات الصنم المذكور في القرآن، وكانوا يجسدونه على هيئة كتلة أو عمود من الصخر. وذو الشرى وكانوا كثيراً مايقرنونه بالينابيع والماء. وهذان الإلهان هما أكبر آلهة الأنباط. قلت: ودوشارا إله الشمس، الذي مثلوه على هيئة حجر أسود.

كثير من أسماء بلادهم لا يزال لها ارتباط بالحجاز، فمثلاً:

السيق: وهو طريق البتراء. والسِّيق من أودية جبل اللوز قرب البِدْع في السعودية.

وعيرة: وهو جبل قرب البتراء، ويقرب المدينة جبل يقع شرق أُحد يعرف بهذا الاسم حتى الآن. ومن أشهر قمم جبال حِسْمَى قمة وُعَيْر.

سلع: يطلق على وادي البتراء، الذي تقع فيه آثارها الضخمة. كما يطلق على جبل يقع داخل مباني المدينة المنورة.

الجيُ: قرية مجاورة لمدينة البتراء، وتتزود من مياه النبع الغزيرة، ولكنها لا تصل بجريانها إلى البتراء. وبقرب المدينة وادي الجي تنحدر فروعه من جبل قدس الأبيض وورقان (١٥).

قلت: أيضاً حدد لنا ياقوت وادي الجي حين قال: الجي بكسر أوله على وزن فِعْل موضع أسفل من وادي الجي بين الرويثة والصفراء على ليلتين من المدينة (١٦). وفي مادة قُدْس يقول البكري: «ويقابل القدسين عن يمين الطريق للمصعد جبلان يقال لهما نهبان: نهب الأسفل، ونهب الأعلى. وهما لمزينة، ولبني ليث فيهما شقص، وفي نهب الأعلى ماء عليه نخلات يقال له ذو خيم، وفيه أوشال غير هذه البئر المذكورة ويفرق بين النهبين وبين قدس وورقان الطريق». (معجم ما استعجم ج:٣ ص:١٠٥٢) قلت: المقصود بالطريق هو طريق الحج بين مكة والمدينة، والمصعد، أي المتجه إلى مكة، وقدس في الزمن القديم هو (جبال عوف، جبل إدقس، وجبال السراة) في الوقت الحالي، اما نهبان في الزمن القديم فهو جبال صُبح في الزمن الحديث، الأسفل: أي الشمالي، الأعلى: أي الجنوبي، الوشل: ماء قليل يخرج من بين الصخر من أعلى الجبل. وأما ورقان فهو جبل يقع شمال جبال عوف مازال محتفظاً باسمه حتى وقتنا الحاضر.

وبعد رجوعي إلى بعض المراجع والمصادر تبين لي أن العلاقة بين العرب والأنباط غير جيدة بشكل عام.. وفي ما يأتي عرض لبعض ما ورد في كتابات المؤرخين:

وجاه في صحيح مسلم: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرَّ هِشَامُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الأَنْبَاطِ بِالشَّامِ قَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ فَقَالَ مَا شَأْنُهُمْ قَالُوا حُبِسُوا فِي الْجِزْيَةِ فَقَالَ هِشَامٌ أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ.. وحَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا جَرِيرٌ كُلُّهُمْ عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ قَالَ: وَأَمِيرُهُمْ يَوْمَئِذٍ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ عَلَى فِلَسْطِينَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَحَدَّثَهُ فَأَمَرَ بِهِمْ فَخُلُّوا (١٧).

قوله (أناس من الأنباط) هم فلاحو العجم. اما قوله (وأميرهم يومئذ عمير بن سعد) هكذا هو في معظم النسخ (١٨).

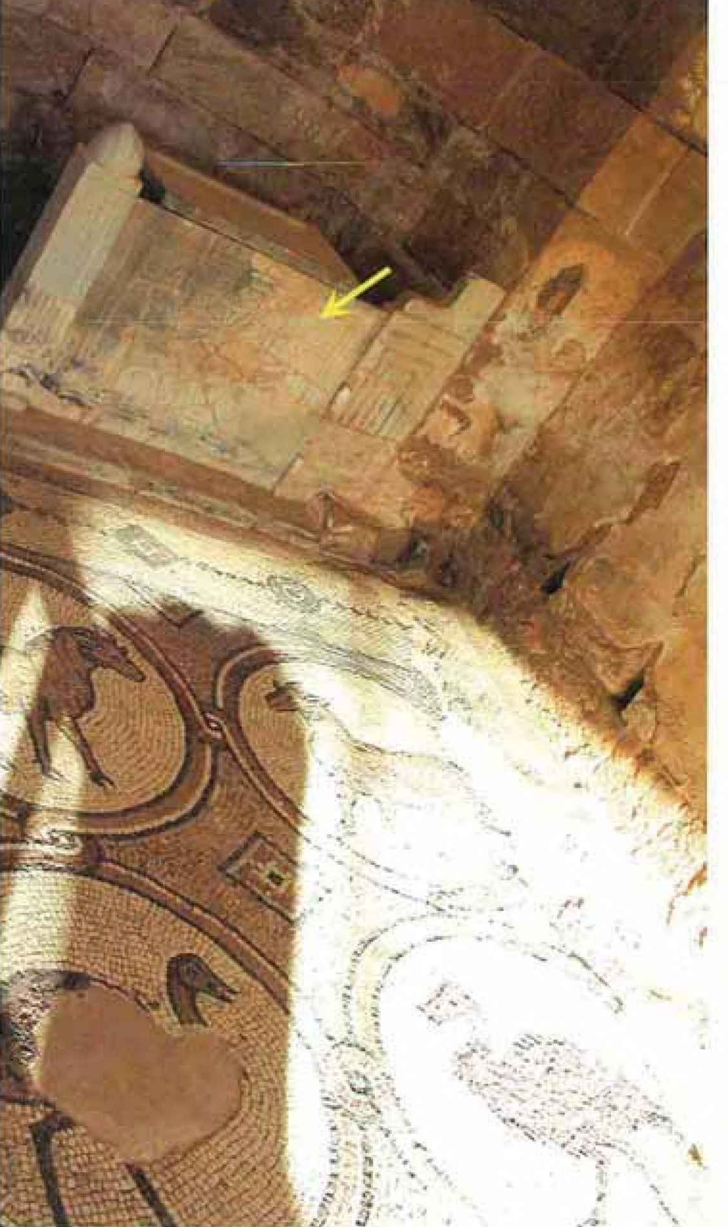
وروى مسلم عن هشام بن حكيم بن حزام، ومر على ناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس في رواية،

عثر في إحدى واجهات جبل الخُبثَة الخلفية على حفر روماني لنسر حيث يمثل رمزاً للقوة العسكرية التي حرص الرومان على ترسيخها، ويمكن للراغب في الوصول إليه أن يسلك طريق النفق المظلم قبل الدخول إلى الطريق الرئيس للمدينة عبر السيق

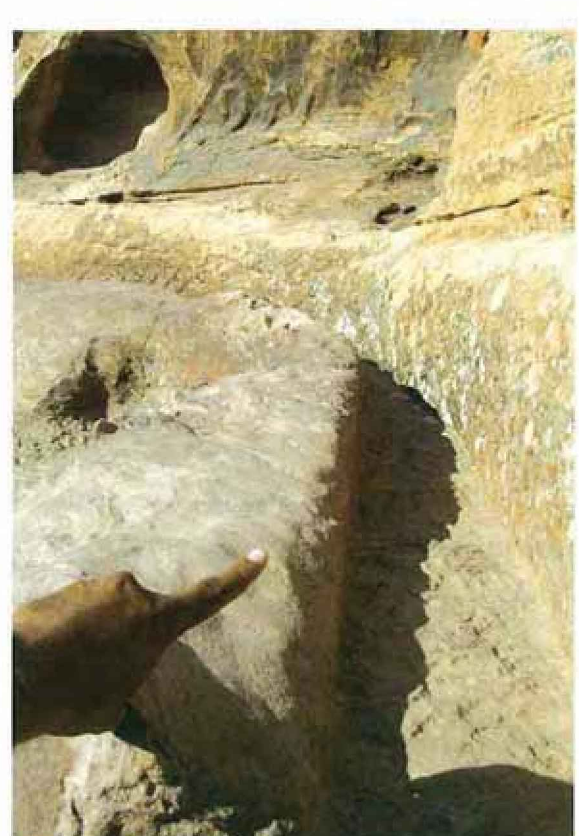
وصب على رؤوسهم الزيت، فقال: ما شأنهم؟ فقال يحبسون في الجزية (٤٩).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إذا فشا الإسلام في الأنباط، واتخذوا فيكم الدور، وقعدوا في الأفنية فاحذروهم فإن فيهم الدغل والنغل والفتنة (٥٠).

قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾. آل عمران: ١١٢.



رسومات لحيوانات أليفة على أرضية الفسيفساء



الباحث يشير إلى مجرى ماء في قمة الدير



قاعدة قمة الدير، الأسهم تشير إلى صخور مقسمة إلى مكعبات مستطيلة

قال القرطبي: يعني اليهود.

وجاء في أحكام القرآن للجصاص: الحبل الذمة التي عهدها الله لهم، وأمر المسلمين بها فيهم، وروى عبدالكريم الجزري عن سعيد بن المسيب أنه كان يستحب أن يتعب الأنباط في الجزية إذا أخذت منهم. قال أبو بكر: ولم يرد بذلك تعذيبهم ولا تكليفهم فوق طاقتهم، وإنما أراد الاستخفاف بهم وإذلالهم (٥١).

وقال ابن كثير في تفسيره: «قال تعالى ﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾؛ أي: ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون ﴿إلا بحبل من الله﴾: أي: بذمّة من الله، وهو عقد الذمة لهم، وضرب الجزية عليهم، وإلزامهم أحكام الملة ﴿وحبل من الناس﴾، أي: أمان منهم لهم، كما في المهادن والمعاهد والأسير إذا أمّنه واحد من المسلمين.

وعندما تحدث صاحب كتاب «الروض المربع» عن صريح القذف قال: قوله (يا زاني يا..) ولعربي يا نبطي ونحوه (٥٢). وأورد صاحب كتاب (الكامل في التاريخ): أنت ابن يهودية علج نبطي سبيت من عين التمر (٥٣). أما صاحب كتاب (التحفة اللطيفة) فقد نقل لنا ما نصه: إن ببغداد رجلاً يقول لفظه بالقرآن مخلوق، فقال: هذا كلام خبيث نبطي (٥٤).

ونقل لنا صاحب كتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب»: «ضربني، وقال لي: يا نبطي فغضبا له وقاما معه حتى أخذا له بحقه» (٥٥). ويضيف في موقع آخر: «إن حجر بن عدي كان عند زياد، وهو يومئذ على الكوفة إذ جاءه قوم قد قتل منهم رجل، فجاء أولياء القتيل وأولياء المقتول فقالوا: هذا قتل صاحبنا. فقال أولياء القاتل: صدقوا ولكن هذا نبطي، وصاحبنا عربي ولا يقتل عربي بنبطي، فقال زياد: صدقتم، ولكن أعطوهم الدية، فقالوا: لا حاجة لنا في الدية إنما كنا نرى أن الناس فيه سواء، فقام حجر بن عدي فقال: تعطيل كتاب الله وخلاف سنة نبيهﷺ (٥٦).

وعن مجاهد أنه شهد وفاة عمر بن عبدالعزيز فمر بعبادي أو نبطي، وهو يثير على ثورين له، فقام حين مرت به، فقال له العبادي أو النبطي من أين أقبلت، أشهدت وفاة هذا الرجل؟ قال: قلت: نعم، فذرفت عيناه، وترحم عليه، فقلت له: تترحم عليه، وليس على دينك، قال: إني لا أبكي عليكم، ولكن أبكي على نور كان في الأرض فطفئ (٥٧).

وفي «مصنف عبد الرزاق»: «عن الشعبي أنه سئل عن رجل قال لرجل عربي يا نبطي، قال: كلنا نبطي، ليس في

في شارع الأعمدة تنبسط ساحة مكشوفة كانت تضم الأسواق. وفي نهاية الشارع تبدو البوابة الثلاثية. وما يلفت الانتباه في هذا المكان وجود زهرة شبيهة كل الشبه بشكل الزهرة على واجهات بعض المقابر في الحِجْر


جانب من الديوان المزركش (التريكلينيوم الثلاثي) يقابل قبر الجندي

هذا حد (٥٨). كما جاء في «غريب الحديث للخطابي»: قوله كلنا نبط يريد الجوار والدار دون الولادة؛ وذلك أن البلاد التي سكنوها بلاد النبط، وإنما سموا نبطًا لأنهم أنبطوا المياه؛ أي: استخرجوها. والنبط الماء الذي يخرج من البئر أول ما يحفر. يقال للحافر إذا بلغ الماء قد أنبط، وأماه، وأمهى، وأنهر، وأعين (٥٩).

وذكر الزمخشري في كتابه «الفائق»: «نبط الشعبي - رحمه الله - قال في رجل قال لآخر يا نبطي: لا حد عليه، كلنا نبط، ذهب إلى ما تقدم من قول ابن عباس نحن معاشر قريش حي من النبط من أهل كوثى، وسموا نبطًا؛ لأنهم يستنبطون المياه» (٦٠).

وفي دعاء ابن هبيرة: أعوذ بك من كل شيطان مستغرب، وكل نبطي مستعرب، قال الحربي: أظنه الذي جاوز القدر في الخبث كأنه من الاستغراب في الضحك، ويجوز أن يكون بمعنى المتناهي في الحدة من الغرب: الحدة (٦١).

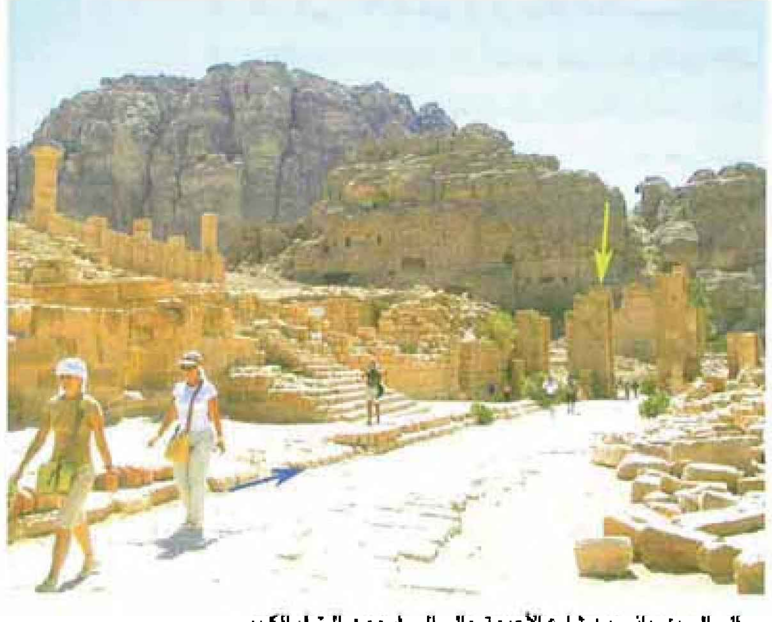
وعن أبي وائل عن عبد الله قال جاء رجل من الأنباط في حاجة، فالتفت إليه ابن مسعود، فقال: سمعت رسول الله يقول: «تاركوا الترك ما تركوكم، ولا تساكنوا الأنباط في ديارهم، فإذا أدوا الخراج فأذموهم، فإذا أظهروا الإسلام وقرؤوا القرآن، وتكلموا بالعربية واختبؤوا في المجالس، وزاحموا الرجال في الكلام، فالهرب من بلادهم» (٦٢).

وجاء في «مسند عبد الله بن عمر»: لا تساكنوا الأنباط في بلادهم، فإن نازعوكم الكلام واختبؤوا في الأفنية، فالهرب الهرب، ولا تناكحوا الخوز فإن لهم أصولا تدعو إلى غير الوفاء (٦٣).

ولما سأل عمر بن الخطاب عَمْرو بن معد يكرب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: أعرابي في حبوته، نبطي في جبوته؛ أراد أنه في جباية الخراج وعمارة الأرضين كالنبط حذقًا بها، ومهارة فيها، لأنهم كانوا سكان العراق وأربابها. وفي حديث ابن أبي أوفى: كنا نسلف نبيط أهل الشام، وفي رواية أنباطًا من أنباط الشام، وفي حديث الشعبي أن رجلا قال لآخر: يا نبطي، فقال: لا حد عليه كلنا نبط، يريد الجوار والدار دون الولادة وحكى أبو علي أن النبط واحد بدلالة جمعهم إياه في قولهم أنباط، فأنباط في نبط كأجبال في جبل، والنبيط كالكليب، وعلك الأنباط هو الكامان المذاب يجعل لزوقا للجرح، والنبط الموت. وفي حديث علي ود السراة المحكمة أن النبط قد أتى علينا كلنا. قال ثعلب:

بعد رجوعي إلى بعض المصادر الحديثة تبين لي أن بعض الباحثين المتأخرين يؤكدون أن الأنباط عرب. ومنهم الأستاذ حمد الجاسر الذي أكد أن الأنباط جاؤوا من الحجاز ثم سكنوا البتراء

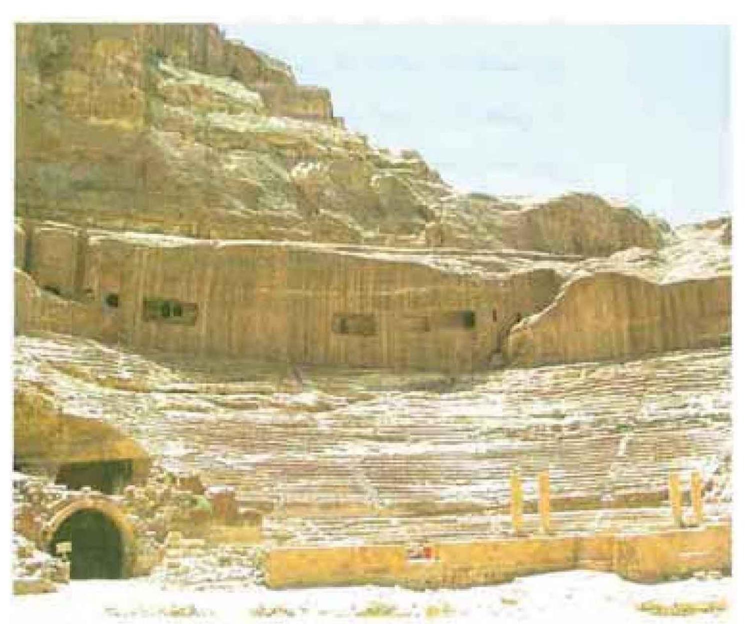
النبط: الموت، ووعساء النبيط: رملة معروفة بالدهناء، ويقال وعساء النميط. قال الأزهري، وهكذا سماعي منهم، وإنبط اسم موضع بوزن إثمد. وقال ابن فسوة: فإن تمنعوا منها حماكم فإنه مباح لها ما بين إنبط فالكدر (٦٤).



إلى اليمين جانب من شارع الأعمدة، وإلى اليسار معبد البتراء الكبير

هل الأنباط عرب؟

بعد رجوعي إلى بعض المصادر الحديثة تبين لي أن بعض الباحثين المتأخرين يؤكدون أن الأنباط عرب، ومنهم الأستاذ حمد الجاسر الذي أكد أن الأنباط جاؤوا من الحجاز، ثم سكنوا البتراء، حين قال: أهلها جاؤوا من بلادنا من الحجاز، فأسسوا حضارة بقيت آثارها مسجلة في الصخور والأحجار في هذه البقعة من الأرض (٦٥). ويؤكد - رحمه الله - في موقع آخر: أن هؤلاء الأنباط من عرب شمال الجزيرة، بل هم أقرب العرب إلى أهل الحجاز، بحكم لغتهم وأسمائهم، ومعبوداتهم، وعاداتهم وتقاليدهم (٦٦). ويضيف الجاسر: وتبقى الإشارة إلى أن الأنباط كانوا قبيلة احتلت الجزء الشمالي الغربي من الجزيرة، وكان من آثارها إيجاد نوع من الكتابة تعرف بالنبطية، منها اشتقت الكتابة الكوفية. وكان مما نقلته هذه القبيلة العربية من الآثار الغربية في جزيرة العرب عبادتها للأصنام معروفة عند عرب الحجاز، مثل: العزى، وهبل، وذي الشرى واللات، والأخيران هما الآلهة الكبرى عندهم، وكان الأنباط يستعملون اللغة الآرامية السائدة في كل بلاد الشرق الأوسط، ويعبر مؤرخو العرب المتقدمون عن الآراميين باسم العمالقة، وعن آثارهم حجر تيما المعروف (٦٧).



المسرح نحت في سفح الجبل، وهو يتسع لـ ٧٠٠٠ شخص وتبدو آثار الزلازل عليه

قلت: مع أن هناك عدة محاولات في التشكيك في عروبة الأنباط الذين سكنوا في الحِجْر وادعاء أنهم ينتمون

إلى الميرانيين. إلاَّ أنه تبين لي أن هناك عدة نصوص تشير إلى أن الأنباط لا يعدون من العرب. فهم معروفون حتى ظهور الإسلام، بل كانوا يتاجرون مع سكان (يثرب) - أي المدينة المنورة في الوقت الحالي - وفي ما يأتي عرض لبعض ما ورد في كتابات المؤرخين والجغرافيين المسلمين الأوائل:

جاء في الشعر الفصيح أعاريب والنسبة إلى الأعراب أعرابي؛ لأنه لا واحد له، وليس الأعراب جمعًا للعرب كما كان الأنباط جمعًا لنبط (٦٨).

ونقل لنا صاحب كتاب «المنتظم»: قال لي الشافعي: رأيت ببغداد ثلاث أعجوبات، قلت: ما هن؟ قال: رأيت نبطيًا ينحو حتى كأني أنا نبطي، وهو غلامي، ورأيت أعرابيًا قحًا يلحن حتى كأنه نبطي، وهو غلامي (٦٩). عَرَّفَ ياقوت النبطي أيضًا بقوله: كما قيل للفارسي فارسي، لأن بلاده فارس، وكما قيل للرومي رومي: لأن بلاده الروم، وأما النبطي فكل من لم يكن راعيًا أو جنديًا عند العرب من ساكني الأرضين فهو نبطي (٧٠). ويضيف ياقوت في موقع آخر: ولما فرغ الحجاج من بناء واسط أمر بإخراج كل نبطي بها، وقال: لا يدخلون مدينتي فإنهم مفسدة، فلما مات دخلوها عن قريب (٧١).

كذلك نقل لنا صاحب كتاب «المعرفة والتاريخ»: فتطاول له الحجاج حتى رأى وجهه، ثم قال: اللسان لسان عربي، والوجه وجه نبطي (٧٢).

وعند حديث صاحب كتاب «الوافي بالوفيات» عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه قال: النعمان بن ثابت بن زُوْطَى بضم الزاي، وسكون الواو، وفتح الطاء المهملة، وبعدها ألف مقصورة اسم نبطي (٧٣).

كما نقل لنا صاحب كتاب «سير أعلام النبلاء» قول المزني: يقول سمعت الشافعي يقول: رأيت ببغداد نبطيًا ينتحي علي حتى كأنه عربي، وأنا نبطي، فقيل له: من هو؟ قال الزعفراني (٧٤).

مع قدوم الإسلام وانتشاره، وطرده جيوش البيزنطيين في معركة اليرموك الشهيرة عام ٦٣٦م. أصبحت البتراء خاضعة للحكم العربي، لكن هذه المدينة لم تكن مركز جذب لهم. كذلك لم تلقَ أي اهتمام من الدولة الأموية حين قيامها في عام ٦٦١م

وعن أنس قال: كان للنبي ﷺ موليان: حبشي، ونبطي، فاستبا، والنبي ﷺ يسمع، فقال أحدهما لصاحبه: يا حبشي، فقال الآخر: يا نبطي، فقال النبي ﷺ «لا تقولوا هذا، إنما أنتما رجلان من أصحاب محمد ﷺ» (٧٥).

ويقول صاحب كتاب «أضواء البيان»: لو قال لأعجمي: إنك عربي، ولو قال للعربي: أنت نبطي أو فارسي فلا حد عليه، وعليه التعزير نص عليه أحمد؛ لأنه يحتمل أنك نبطي اللسان أو الطبع (٧٦). كما ورد في «الإنصاف» للمرداوي: أو يقول لعربي: يا نبطي، يا فارسي، يا رومي (٧٧). وفي «المغني»: ولو قال للعربي: أنت نبطي، أو فارسي فلا حد فيه، وعليه التعزير، نص عليه: لأنه يحتمل أنك نبطي اللسان أو الطبع (٧٨). وعندما تحدث صاحب كتاب «المدونة الكبرى» في من نسب رجلاً من العرب أو من الموالي إلى غير قومه، ذكر: (قلت) أرأيت الرجل يقول للرجل من العرب: يا نبطي، أيضرب الحد في قول مالك (قال): قال: نعم يضرب الحد (قلت): فإن قال ذلك لرجل من الموالي: يا نبطي (قال) يستحلف (٧٩).

وقال أبو محمد في حديث سعد رضي الله عنه إن عمر رضي الله عنه سأل عنه عمرو بن معدي كرب، فقال خير أمير نبطي في حبوته أو جبوته، عربي في نمرته، أسد في تأموره،

ويروي في ناموسه يعدل في القضية، ويقسم بالسوية، وينقل إلينا حقنا، كما ينقل الذرة.

قوله: نبطي في حبوته: لم يرد أنه يحتبي احتباء النبطي؛ لأن الاحتباء للعرب، كان يقال: حبى العرب حيطانها، وعمائمها تيجانها، ولكنه أراد في حبوة العرب كالنبطي في علمه بأمر الخراج، وعمارة الأرضين وإن كان المحفوظ حبوته فإنه يراد جباية الخراج، يقال: جبيت المال وجبوته، وهو حسن (٨٠).

وجاء في غريب الحديث لابن الجوزي: في حديث سعد: نبطي في جبوته، ويروى جبته يعني استيفاء الخراج (٨١). ويضيف ابن الجوزي في موقع آخر: في الحديث: فلان أعرابي في حبوته نبطي في جبوته؛ أي: أنه في حبوة العرب، وكالنبطي في عمله بالخراج وجبايته(٨٢).

قال ابن منظور: الحردي من القصب: نبطي معرب (٨٣)، ويضيف صاحب كتاب (لسان العرب) في موقع آخر: الجنازة: الميت، قال ابن دريد زعم قوم إن اشتقاقه من ذلك. قال ابن سيده: ولا أدري ما صحته وقد قيل: هو نبطي (٨٤)، ويضيف ابن منظور: قال أبو سعيد الأشول: هي الحبال، وهي لغة من لغات النبط، قال: ولولا أنني نبطي ما عرفته (٨٥). وقال البكري: كَرْخ بغداد بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده خاء معجمة نبطي

يذكر بعض المؤرخين، أن حكم الأنباط امتد من القرن الأول قبل الميلاد إلى عام ١٠٦ ميلادي عندما سقطت دولتهم في أيدي الرومان. واستولوا على البتراء دون مقاومة. وجعلوها جزءاً من المقاطعة العربية التي أنشأها الرومان في الطرف الجنوبي من سورية لصد هجمات البادية

ليس من كلام العرب (٨٦).

وذكر ابن منظور: كنا عند جدة النهر بالهاء، وأصله نبطي أعجمي كد فأعربت (٨٧). ويضيف ابن منظور في موقع آخر: أما كوثى التي بالسواد فما أراها عربية، ولقد قال محمد بن سيرين سمعت: عبيدة يقول: سمعت عليًا ﷺ يقول: من كان سائلاً عن نسبتنا فإنا نبط من كوثى (٨٨).

وذكر الطبري في تاريخه: فأتوا الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة - عامل ابن الزبير على الكوفة - فسألوه أن يبعث معهم جيشًا، فوجه معهم، فلما لقوا عبيد الله قاتلهم ساعة، ثم غرقت فرسه، وركب معبرًا، فوثب عليه رجل من الأنباط، فأخذ بعضديه وضربه الباقون بالمرادي، وصاحوا: إن هذا طلبة أمير المؤمنين، فاعتنقا فغرقا، ثم استخرجوه فجزوا رأسه، فبعثوا به إلى الكوفة، ثم إلى البصرة (٨٩).

وجاء في «المبدع»: يا خبيثة، وهي صفة مشبهة من خبث الشيء فهو خبيث، أو يقول لعربي: يا نبطي، منسوب إلى النبط، وهم قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين يا فارسي، منسوب إلى فارس (٩٠).

الأنباط في عيون الشعراء:

أول شعر قيل في الإسلام شيء قاله ضرار بن الخطاب ابن مرداس الفهري في ذلك: (٩١).

تداركت سعدًا عنوة فابتدرته
وكان شفاءً لو تداركت منذرا

فأجابه الشاعر المخضرم حسان بن ثابت فقال:

لستَ إلى عمرو، ولا المرءِ منذر،
إذا ما مطايا القوم أصبحنَ ضُمَّرا
فلولا أبُو وَهْبٍ لَمَرّتْ قَصَائِدٌ،
على شرفِ البرقاءِ، يهوينَ حُسَّرا
فإنا ومنْ يهدي القصائدَ نحونا،
كمستبضعٍ تمراً إلى أهلِ خيبرا

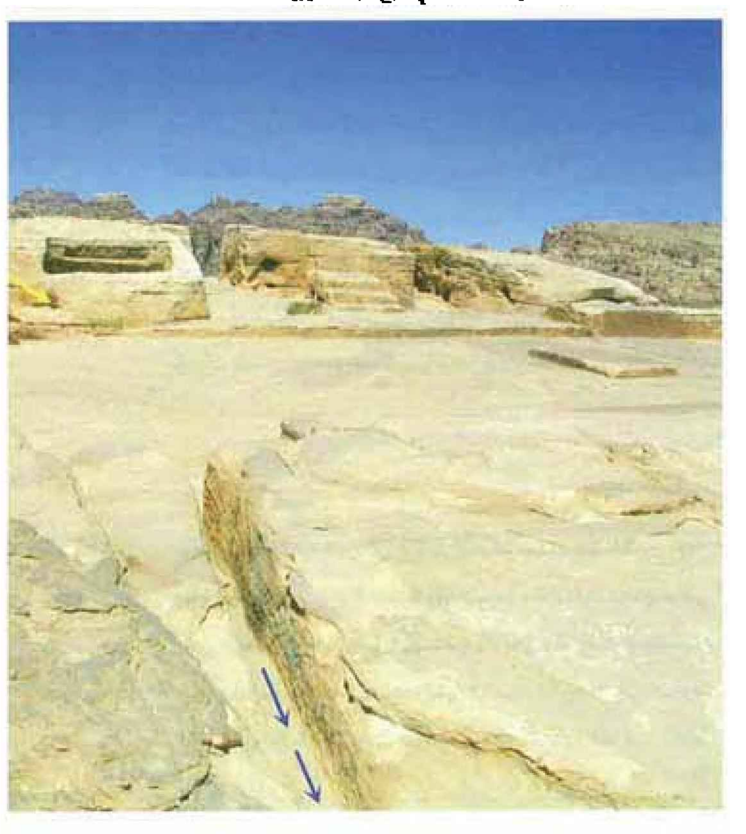

السهمان يشيران إلى مسلتين يعتقد أنهما تمثلان أهم إلهين نبطيين، دوشارا والعزى

أناس من الأنباط أكثر فخرهم
إذا فخر الأشراف بعضًا على بعض
تنحل أصلا في المجوس ودعوة
إليهم نفاها من بحكمهم يقضي(٩٢).

وقال ابن إسحاق في «السيرة» حدثني بعض أهل المدينة قال: لما أسلم الحجاج بن علاط شهد مع رسول الله ﷺ خيبر.. وللحجاج أخ اسمه صالح أظنه مات في الجاهلية ذكره حسان بن ثابت في قصيدته الطائية التي يقول فيها: (٩٣).

مَعْ نَدَامَى بِيضِ الوُجُوهِ، كِرَامٍ،
نُبِّهُوا، بعْدَ خَفْقَةِ الأشْرَاطِ

مكان مقدس به المنصة التي تذبح عليها القرابين



فلا تك كالوسنان يحلمُ أنه
بقرية كِسْرى ، أو بقرية قيصرا
ولا تكُ كالشاة التي كانَ حتفها
بحفرِ ذراعيها، فلمْ ترضَ محفرا
ولا تكُ كالعاوي، فأقبلَ نحرهُ،
ولمْ يخشهُ، سَهْماً من النَّبل مُضْمَرَا
أتَفْخَرُ بالكَتّان لمّا لَبِسْتَهُ،
وقَدْ يَلْبَسُ الأنْبَاطُ رَيْطاً مُقَصَّرا

وجاء في (معجم الأدباء): ومولى القوم، منهم وبعد فإنهم بنو عمي، وأنت العداوة بيننا فأنت من أنت، قال: أنا مولاك يا أمير المؤمنين، قال: دعنا من هذا البرود، اهج الرجل وإلا أمرته أن يهجوك، فوقف ساعة متفكرًا فاندفع مروان يقول:

الا إن يحيى لا يقاس إلى ابي
وعرض علي لا يقاس إلى عرضي

لكميتٍ كأنها دمُ جوفِ،
عُتّقتْ منْ سُلافةِ الأنْباطِ
فاحْتوَاهَا فَتًى يُهِينُ لَها الما
لَ، ونادمتُ صالحَ بنَ علاطِ (١٤).

كما جاء في (الأمالي): الصَّقْع: كل ضرب على يابس كُدَّة كُسَّرٌ، والقارعة: كل هَنَة شديدة القَرْع، ويقال: هَبَش له وحَبَش: أي: جَمَع له وهو يَهتَبش ويَحْتَبش، والأُحْبوش الجماعات قال رؤبة:

لولا حُبَاشاتٌ من التَّحْبيش
لِصِبْيةٍ كأفْرُخِ العُشوش

وقال العجاج:

كأنَّ صيرانَ المَهَا الأخلاطِ
بِرَمْلِها من عاطِفٍ وَعَاطِ
بالرمل أُحْبُوش من الأنباط ... (١٥).

وفي «المحيط الأعظم»: الحبش: جنس من السودان، وهم الأحبش والحبشان، وقد قالوا: الحبشة، وليس بصحيح في القياس؛ لأنه لا واحد له على مثال فاعل، فيكون مكسرًا على فعلة والأحبوش جماعة الحبش، قال العجاج:

كأنَّ صِيرَانَ المَهَا الأخْلاطِ
بالرَّمْلِ أُحْبُوشٌ منَ الأنْبَاطِ (١٦).

وقال أحدهم:

وفتى يَحلف ما إن
عرِّقت فيه الكرام
ثم قالوا جاسمي
من بني الأنْباط حام
كذبوا ما انت إلاّ
عربيٌّ والسَّلام (١٧).

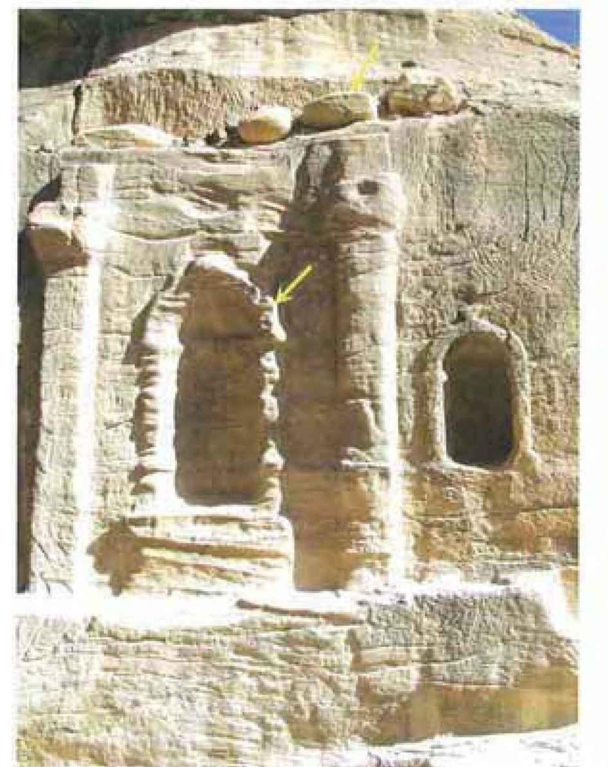
وأنشد ابن بري لذي الرمة يهجو امرأ القيس:

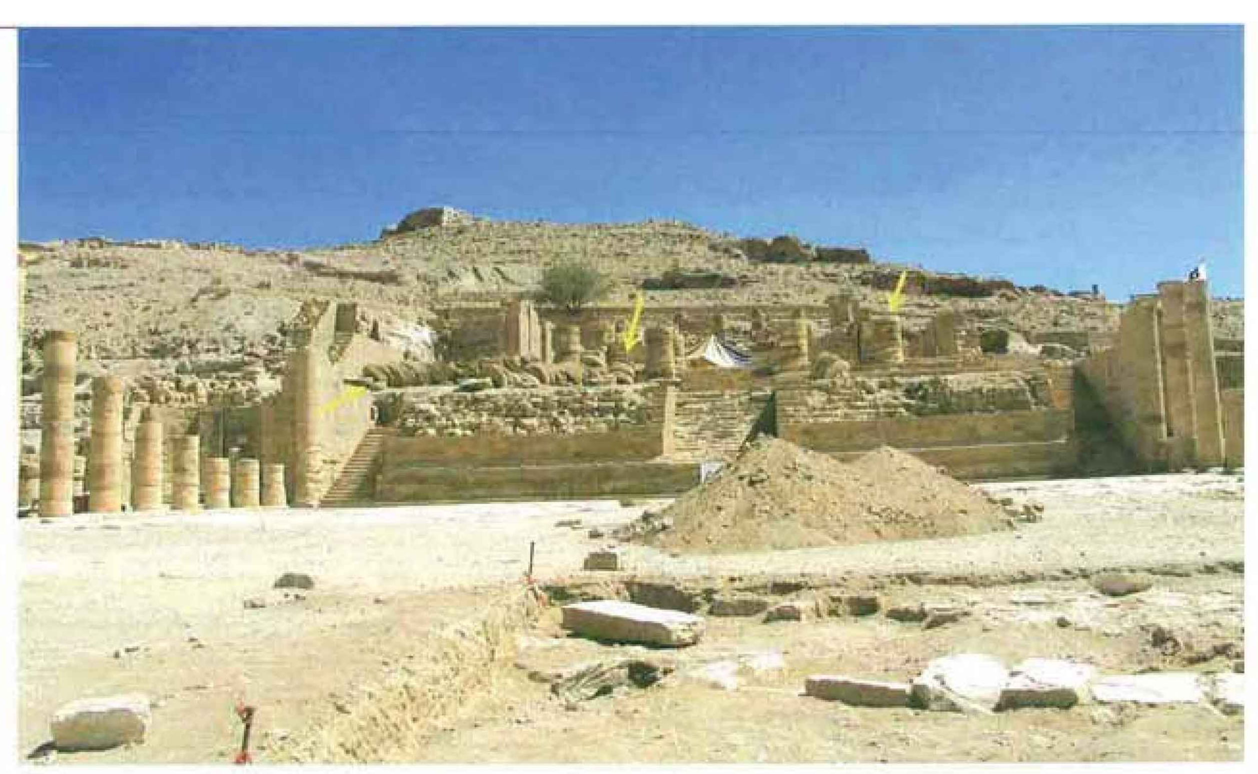
إنِّي إذَا مَا عَزَمَ الوَطْوَاطُ
وَكَثُرَ الهِيَاطُ وَالمَيَاطُ
وَالْتَفَّ عِنْدَ الْمَعْرَكِ الخِلاَطُ
لاَ يُتَشَكَّى مِنِّي السِّقَاطُ
إنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ هُمُ الأَنْبَاطُ
زُرْقٌ، إذا لاقَيْتَهمْ سِنَاطُ
لَيْسَ لَهُمْ فِي حَسَبٍ رِبَاطُ
ولا إلى حَبْلِ الهُدى صِرَاطُ

قال ابن الأعرابي: جمع الوطواط الوُطُط. والوُطُطُ: الضُّعَفَى العُقولِ والأبدانِ من الرجال، الواحد وَطْواط (١٨).

قالَ الفرزدق:

محرابان في الممر تحيط بهما علامات أداة الحفر والنحت





منظر عام لمعبد البتراء

يَقـولُ لِيَ الأَنْبـاطُ إذْ أنا بـارِكٌ
به لا بظَبْيٍ بالصُّرَيْمةِ أَعْفَرِ (٩٩).

يَعْفُر اسم رجل، والعُفرة في اللون أن يضرب إلى غيره في حمرةٍ، كلون الظّبي الأعْفَر، وكذلك الرّمل الأعفر (١٠٠).

وقَالَ الحسن بن هانئ (عباسي):

من كُميتٍ لَذيذةِ الطّعمِ والرّيـ
ـحِ، عُقارٍ، عتيقةٍ ؛ خُرْطومِ
عتّقَتْها الأنباطُ عَشراً فعَشراً،
ثمّ عشراً في مُدمَجٍ ، مَختومِ
فهي فيه عرُوسُ خِدْرٍ وكِنٍّ ،
ربِّيَتْ في النّعيمِ بَعدَ النّعيمِ
في ظِلالٍ مَحفُوفةٍ بظِلالٍ،
من كرُومٍ ومن عريشِ كرُومِ

وقَالَ السري الرفاء، (عباسي):

والرّوْضُ قد نشرَ الحَيا أنماطَه
فكأنّهنّ غرائبُ الأنماطِ
ما للزّمانِ سطَا على أشرافِنا
فتَخرّموا وعَفا عن الأنباطِ
أعداوَةٌ لذوي العُلى أم هِمّةٌ
سَقَطَتْ فمالَ بها إلى السُّقّاطِ
خضَعَتْ رِقابُ بني العَداوَةِ إذ رَأَتْ
آسارَها يتعد تحتَ سياطي
حتى إذا نَكَصَتْ على أعقابِها
دَلَفَ النّبيطُ إليَّ من شِمْشاطِ
صَدَقَ المُعلِّمُ إنه من أسرَةٍ
عربٍ يَسُوسُهُمُ بنو سُنْباطِ
آباؤكَ الأشرافُ إلا أنهم
أشرافُ موشَ وشاطحٍ وخِلاطِ

نَسَبٌ يُبَيِّنُ عن سُقوطِكَ نَشرُه
كالثَّوبِ تَنشُرُهُ عن الأسفاطِ
ثَكِلَتْكَ داميةُ القَرا مجلودَة
نَبَذَتْكَ خائِفَةً بغَيرِ قِماطِ

وقالَ مهيار الديلمي، (عباسي):

دعوتُ لها العريبَ ورهطَ كسرى
فلا القربى حمدتُ ولا القصيَّا
ونامتْ نُصرة الأنباط عنها
فنبَّهتُ الغلام القيصريَّا
فهبَّ فقام يلقى الضيمَ عنها
كريمَ العودِ أروعَ شمَّريَّا

أعمدة حجرية

يعارض دونها فيسدُّ عنها
طريقَ البغي أرقمَ عالجيَّا

وقالَ مهيار الديلمي:

تنخَّلَ الغالونَ منْ آبائها
صفوة ما خلَّفَ فيهم وفرطْ
لمْ تتحرَّشْ بشميمِ أمِّها
هجائنُ الفرسِ ولاغبسُ النُّبطِ
لها منَ العُربِ ضمورٌ ناسبٌ
يغنى بهِ عنِ الوسومِ منْ غلطْ

قال الشاعر:

وَصَدَّقْتُما قول الفرزدق فيكما
وكذَّبْتُما بالأمس قول جريرِ
فإنْ أنتما لم تَقذِعا الخيلَ بالقنا
فصيرا مع الأنباط حيث تصيرُ
تسومكما بغياً نميرٌ مضيمة
ستُنجدُ أخبارٌ بهمْ وتغور(١٠١).

قال ابن مفرغ يهجو عبيد الله بن زياد:

تبين هل بيثرب زَنْدَوَرْد
قرى آبائك النبط العلاج.

كما ورد البيت برواية أخرى، فقد جاء في كتاب (تاريخ دمشق):

قد اشتدت به العزوبة فالتمس لي بغيًا، قال: هل لك في جارية الحارث بن كلدة سمية امرأة عبيد؟ قال: هاتها على طول ثدييها، وذفر إبطيها، فجاء بها.. فادعاه معاوية فقال يزيد بن مفرغ لزياد:

تذكر هل بيثرب زيدورد
قرى آبائك النبط القحاح (١٠٢).

أما في «الأغاني» فقد وردت الأبيات على النحو الآتي:

ألاَ أبلغْ عُبيدَ اللهِ عنِّي
عُبيدَ اللؤم عبدَ بني عِلاجِ

عَليٌّ لكم قـــلائدُ باقِـــيـــاتٌ

يُثِـــرْنَ عليكمُ نَقْعَ العَـــجـــاجِ

تدْعَـــيّت الخَـــضَـــارِمَ من قُـــرِيشٍ

فَـــمـــا في الدِّين بعـدك من حِـجـاجِ

ابِنْ لي هـل بيـــثْـــربَ زَنْـدُ وَرْدٍ

قُـــرَى آبائك النَّبَط العَـــجـــاج (١٠٣).

قال البكري: زَنْدَوَرْد: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده دال مهملة مفتوحة وواو مفتوحة وراء مهملة ساكنة ودال مهملة، وهو منزل من منازل الأنباط بالسواد (١٠٤). وجاء في «النهاية في غـريب الأثر»: زندورد وهو بسكون النون وفـتح الواو والراء: ناحية في أواخر العراق، لها ذكر كثير في الفتح (١٠٥).

وقَالَ الشاعر العباسي / ابن الرومي:

ولحـــيـــة مـــثل غـــراب الحَـــمْتِ

كـــأنهـــا مـــدهـونة بزفتِ

سـرَّحـهـا اللّه له بالسُّلْتِ

تعـــرفُـــهُ الأنبـــاط بالبَـــذْنَقْتِ

وفـــارس الأحـــرار بالبَـــذْنَخْتِ

قـــضـى عليـــه بقـــضـــاء بَتٍّ

وقَالَ ابن الرومي:

يا رُبَّ بصـريٍّ رصـاصيِّ الشَّـمط

عـــاندني فلو تنفَّـــستُ ضَـــرَطْ

في الرأس واللحـيـة منه شُـهْـبـة

زَرقــاءُ والوجـه لطرمـوسِ النَّبط

كـــأنه جـــوزة هـند أخـــذتْ

فـــقُـــشّـرتْ أطرافـهــا دون الوسطْ

وقَالَ ابن الرومي:

لا تحـــسب النَّبطُ الأوغـــادُ أنَّهُمُ

أولى من العـرب الأمْـجـادِ بالقلمِ

وإن غـــدوا دون أهل الأرض إخـــوته

أبوهُمُ ـ وأبـيـــهـمْ ـ منبتُ الأجم

البــتـــراء من آثار عـــاصـــمـــة مملكة الأنبـــاط. تعـــرف باسم (المدينة الوردية) نســـبة إلـى لون صـخـــورها، حـــيـث ترسم الطبـيـعـة عـبـر تعـاقب الفـصـول لوحـات نادرة فـي تكوينات عـروق الرمـل، وألوانهـا ذات التـمـــوجـــات والأطـيـــاف التي تـســـر الناظـرين

كم من أخٍ لو أخـــوه كـــان هاديه

إذاً لـضلَّ ضـــلالا ليس بالأمم

هداه أقـصى غـريب قـصـد وجْـهـتِـه

من بعـد مـا حـار في داجٍ من الظُّلَم

هذا أبو الصـقـر فـردٌ في كـتـابتِـه

وهو ابن شـيـبـانَ بيْن الطلح والسَّلَم

مـا جـاورتْ نبطي الزل نبـعـتـه

بل جـاورت .. النبع والبـشم

وقَالَ ابن الرومي:

عـجـبتُ من مـعـشـر بعـقـوتنا

باتوا نَبـيطاً وأصـبـحـوا عَـرَبا

مِـثْلِ أبي الصَّـقـرِ إنَّ فـيـه وفي

دَعْـواهُ شـيـبـانَ آية عَـجَـبـا

بَيْناهُ عِلْجـاً عَلى جـبِـلَّتِـه

إذ مَـسَّـهُ الكيـمـيـاءُ فـانْقَلَبـا

عَـرَبَهُ جَـدُّهُ الـسـعـيـدُ كـمـا

حَـوَّلَ زِرْنيخَ جَـدِّهِ ذَهَـبـا

وهـكذا هذه الجُـــدودُ لَهـــا

إكـسـيـرُ صـدق يُعـرِّبُ النَّسـبـا

بدَّلَكَ الدهرُ يا أبا الصَّـقـر من

خـالكَ خـالاً ومن أبيـكَ أبا

فهل يراك الإله معترفاً
بشكر نعمائه الذي وهبا
يا عربياً آباؤه نبطٌ
يا نبعةً كان أصلها غربا
كم لك من والد ووالدة
لو غرس الشوك أثمر العنبا (١٠٦).

وقال ابن الرومي:

قيل لي إنَّ أباه
شيروي نبطيُّ
فلئن كان ففي
ل فجسمٌ نبويُّ
لأبيه فيه لا شكَّ
لك شريكٌ هاشميُّ

وقال أحدهم:

فتستر عورةً كانت قديماً
وتمنع أمك النبط البطانا (١٠٧).

قال العجاج:

فهنَّ يعكفن به، إذا حجا
عكف النبط يلعبون الفنزجا (١٠٨).

قال الأعشى:

كستهُ بعوضُ القريتين قطيفةً،
متى ما تنل من جلدِهِ يتزندِ

لا يمكن أن تكتمل زيارة عاصمة الأنباط دون أن يمر الزائر على الدَّير. ففي مكان حصين وبعيد يرتكز أضخم المعابد النبطية، يصعد إليه عبر درج متعرج مخطط بجانبيه التكوينات الصخرية الحادة ذات التشكيلات المدهشة

كأنَّ ثياب القوم حول عرينه،
تباينُ أنباطٍ لدى جنب محصدِ
رأى ضوء ناري بعدما طافَ طوفة
يُضيء سناها بين أثلٍ وغرقدِ

وقال الشاعر الجاهلي/ الأعشى:

وما فلجٌ يسقي جداول صعنبى
لهُ شرعٌ سهلٌ على كُلِّ موردِ
ويروي النبيطُ الزرقُ من حجراته
دياراً تُروّى بالأتي المعمدِ
بأجودَ منهُ نائلاً، إنَّ بعضهم
كفى ما لهُ باسم العطاء الموعدِ

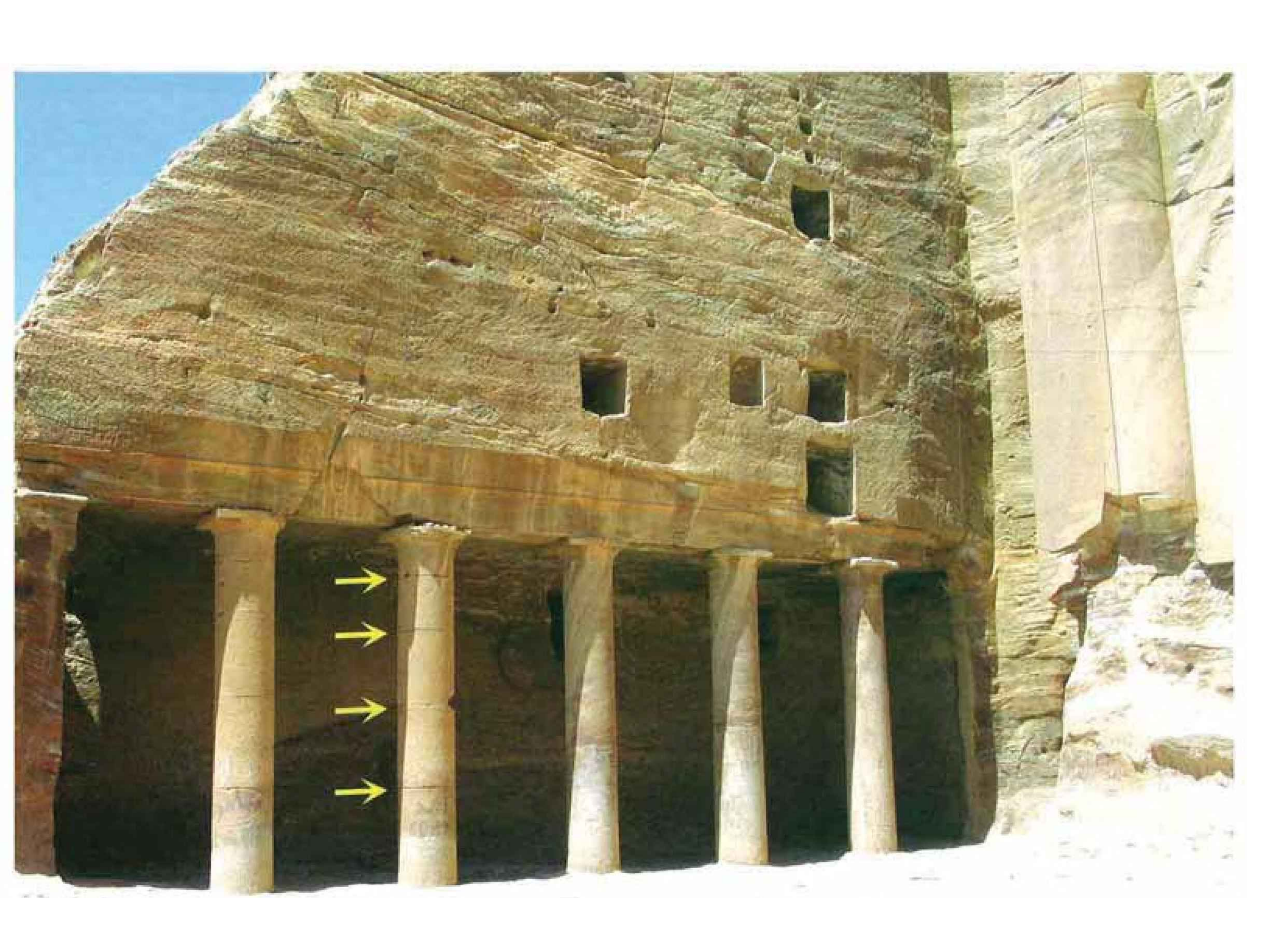
وقال خالد بن الصقعب:

كأنَّ عثير ايكته تلاقى
به جمعانِ من نبطٍ وروم
نُباحُ الهُدهُد الحوليّ فيه
كنبح الكلب في الأنس المقيم (١٠٩).

وقال الشاعر الأموي الراعي النميري:

لا تعمَ أعينُ أصحاب أقولُ لهمْ
بالأنبط الفردِ لما بذّهمْ بصري
هل تؤنسون بأعلى عاسم ظعنًا
وركنَ فحلين واستقبلنَ ذا بقرِ
بيَّنهُنَّ بَيْن ما يُبينُهُ صحبي
وما بعيون القوم من عورِ
يَبْدُون حيناً وأحياناً يُغَيّبُهُمْ
منّي مكامنُ بين الجُرِّ والحُفَرِ
تخدو بهمْ نبطٌ صُهبٌ سبالُهُمْ
من كلّ أحمرَ من حوران مؤتجرِ
عومَ السَّفين على بخت مخيّمة
والبُخْتُ كاسية الأعجاز والقصرِ

وقال الشاعر العباسي / أبو العلاء المعري:



صف من الأعمدة في الجهة الشمالية من ساحة ضريح الجرة

استنبطَ لعربُ لفظاً وانبرى نبطٌ
يخاطبونك من أفواه أعراب
كلّمتُ باللّحنِ أهلَ اللحنِ أنفسَهُم،
لأنَّ عيبيَ عند القومِ إعرابي

وذكر صاحب كتاب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» قول الشاعر العباسي / المتنبي في القصيدة المقصورة التي يذكر فيها مسيره إلى الكوفة، ويصف منزلاً ويهجو كافورًا: (١١٠).

وماذا بمصرَ من المضْحِكات
ولكنّه ضحكٌ كالبُكا
بها نبطيٌّ من أهل السّواد
يُدرِّسُ أنْسابَ أهْلِ الفَلا
وأسْوَدُ مِشْفَرُهُ نِصْفُهُ
يقالُ له أنت بدر الدجى (١١١).

إن المراد بالنبطي أبو الفضل والأسود كافور، وبالجملة فهذا القدر ما غض منه، فما زالت الأشراف تهجى وتمدح (١١٢).

وقَالَ الأخطل:

وما كانت الأنصار لولا محمد
يعدون إلا أن يصوغوا المفارسا
بني نبطيٍ ما تخاف عصاهم
ولكن جبنًا فيهمُ ووساوسا (١١٣).

وقَالَ أبو يعقوب:

يا عليّ بنَ هَيْـثَم يا جَـوْنَقَـا
أنت عندي من الأراقم خـقـا
عـربيٌ وجَـدُّه نَـبَطِيٌّ
فَـدَبَنْقَـا لِذَا الحـديث دَبَنْقَـا
قـد أصـابتك في التـقـرُّب عينٌ
فـاستنارتْ لشـهبـهـا الفلك برقـا
وإذا قـال إنـنـي عـربيٌّ
فـانتـهِـرْه وقل له أنت شـفـقـا (١١٤).

وقال الشاعر:

عـربي في مـجـان
نبطي في الحـقـيـقـة (١١٥).

وقال الشاعر العباسي / بشار بن برد:

ومـوار بالـدين لا يذكـر الـدين إذا مـا خـلا مِن الأرصَـادِ
نبطيٌّ يُدعى زياداً وقـد عـاش زَمَـانـاً يُدْعَى بغـيـر زِيَاد
كـان قَـوْلي لَهُ تَنَحَّ فَـإني رجُلٌ مِنْ صَـلاةِ أَهْلِ السَّـوَادِ

وقال بشار بن برد:

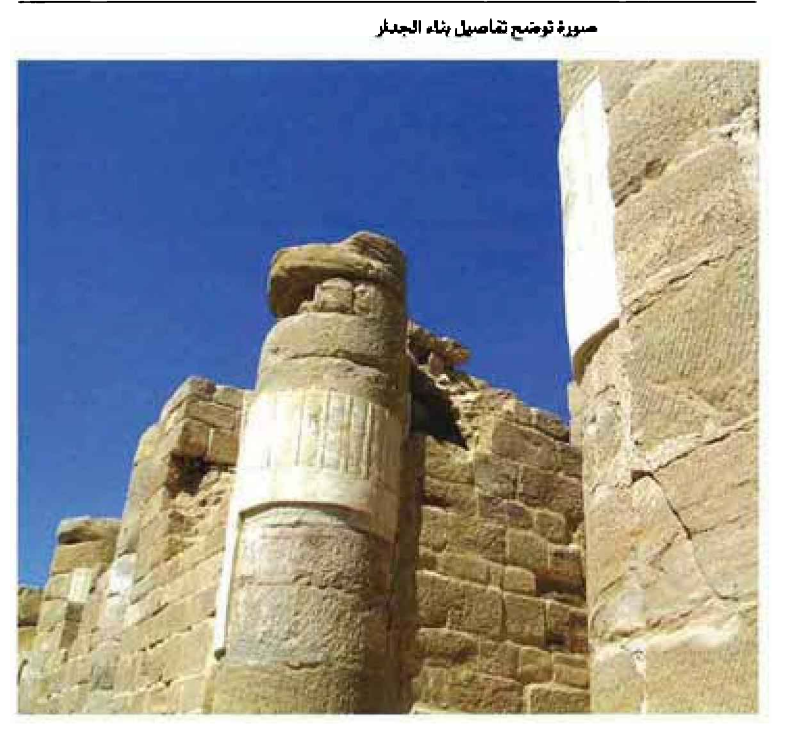
ترفق بعـمـرو إذا حـركت نسـبتـهُ
فـإنه عـربي من قـوارير
مـا زال في كـيـر حـداد يردده
حـتَّى بَدَا عَـرَبِيًّـا مُظْلِمَ النُّورِ
إنْ جَـازَ آباؤُه الأَنْذَالُ في مُـضَـر
جـازت فلوس بخـارى في الدنانيـر
واشـدُدْ يَدَيْكَ بِحَـمَّـاد أبي عُـمَـر
فَـإنَّهُ نَبَطِيٌّ من دَنَانِيـر

ثالثاً: المشاهدات الميدانية:

كانت في البتراء حضارة عظيمة، وقد تم اكتشاف ما يقارب ٥٠٠ موقع نبطي، ما بين قلعة، أو مرقد، أو قرية، أو خربة، معظم هذه المواقع كانت قد شكلت دور المساند والجار، المزود الحيوي للبتراء. وفي يوم الجمعة ١٤٣٦/٦/١٦هـ الموافق ٢٠٠٥/٧/٢٢م قمتُ بزيارة ميدانية لمنطقة البتراء، فألفيتُ آثار هذه المدينة تنتشر بشكل عام على جوانب أودية صغيرة وروافد وممرات، تمتد لمسافة ١,٠ كم تقريباً، من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، وبيوتها على ما يبدو منحوتة من الأعلى إلى الأسفل. وما زالت آثار الصقالات ماثلة على بعض الواجهات من الجانبين. ويمكن وصف أهم المشاهدات الميدانية من المدخل في الشرق باتجاه آخر معلم (الدير) في الغرب على النحو الآتي:

نوعية صخور المنطقة من الصخور الرسوبية، ذات حجر رملي Sandstones

صورة توضح تفاصيل بناء الجدار





جانب من منصة المسرح، ويظهر في وسط الصورة أحد المداخل

بعد عشرات الأمتار من المدخل سلكتُ طريقاً واسعاً من الشرق إلى الغرب، تظهر فيه صهاريج الجن، وهي ثلاثة صروح حجرية تقع في الجهة الشمالية من الممر المؤدي إلى البتراء، اختلفت الآراء في غرض استعمالها الأصلي، فبعضهم يعتقد أنها أضرحة، بينما يظن آخرون أنها كانت مكرسة للإله النبطي «دوشارا». كما تشاهد الكثير من التجويفات والمقابر، بعضها متهدم، وبعضها الآخر بحالة جيدة، تظهر فيها حلية بارزة، وشرفات لها خمس درجات شبيهة كل الشبه بمقابر الحِجْر.

قبل مدخل الممر يشاهد وادي المظلم، وهو مجرى طبيعي حفرته السيول، وينتهي عند سد المعجم حيث نحتت عدة محاريب للأنصاب، ويوجد عندها كتابات نبطية تذكارية لذي الشرى والعزى وجميع الآلهة، وعند نهاية الوادي يقع مدفن سكستيوس فلورنتينوس (١١٦)، وهو الضريح الوحيد في البتراء الذي يحمل تاريخًا، فقد نُحت نحو عام ١٣٠م للحاكم الروماني «سكستيوس فلورنتينوس» الذي حكم الولاية العربية، ويسرد نقش موجود فوق مدخله حياة الحاكم وأعماله.

كما يشاهد عند مدخل الممر سد أقامه الأنباط عند مدخل السيق لتحويل مجرى وادي موسى إلى وادي المظلم، ثم المحاطة، وذلك من خلال النفق.

السيق: وهو ممر في جبل الخُبْثَة يمتد من الشرق إلى الغرب بطول ١٢٠٧م، وبعرض يراوح بين ٣م و١٦م، وهو عبارة عن شق طبيعي يتلوى بين جبلين يضيق ويتسع من مكان إلى آخر، ويبلغ ارتفاع جداري الجرف نحو ١٠٠م، ويضم نقوشًا قديمة، وحفرًا منحوتة في الجرف، كما يحوي تشكيلات جيولوجية خلابة قام الأنباط بحفر صخوره بهدف توسعته، وقد استخدم الأنباط السيق الذي تم رصفه في القرن الأول قبل الميلاد كممر للمواكب الدينية النبطية إلى البتراء، وتدل بقايا قائمة عند المدخل على أن عقداً كبيراً كان قائماً في هذا المكان، وقد كشفت الحفريات عن آثار بارزة تقع في الجبال بالإضافة إلى كوات كثيرة تحوي صوراً محفورة نحتت بالحفر البارز، بالإضافة إلى كتل صخرية مربعة تمثل آلهة نبطية خاصة العزى.

على جدار الممر نحت مجرى لقناة ماء مكشوفة على ارتفاع متر واحد، وفي بعض المواقع القليلة تكون مسقوفة. ويعتقد أن هذه القناة كانت تحمل مياه عيون موسى إلى وسط المدينة.

على جوانب الممر تظهر بعض الروافد الصغيرة المنحدرة من الشقوق، وفيها تشاهد المنشآت، كالسدود، والعبارات، والجسور على الممر، خصوصاً إذا كان الرافد مواصلاً طريقه بحيث يتقاطع مع الممر.

في نهاية الممر تمر بالخزنة بعد مخرج السيق يسلك

الزائر ممر الواجهات، ويضم مجموعة من الأضرحة مصفوفة، ويعتقد أنها من أصل آشوري. كما يؤدي هذا الشارع إلى المدرج النبطي الذي يعتقد أن نحته تم في القرن الأول الميلادي، ثم تمر بشارع الأعمدة، وأخيراً الدير.

من الجهة التي تقابل المقابر الملكية يمكن الصعود جنوباً نحو قمة جبل المذبح، عبر ممر متعرج، ويحتاج الأمر إلى لياقة بدنية عالية، وجهد غير قليل عبر درجات حجرية، ومرتفعات صخرية حادة لرؤية مشهد يستحق كل هذه المعاناة (المذبح) ومنه سلكتُ طريقاً آخر خاصًا وضيقًا، باتجاه ضريح الجندي، ووادي فراسة مروراً بنافورة الأسد، وهي عبارة عن أسد ضخم تعلوه قناة من الماء يصل إليها من عين براق على طريق الطيبة، ثم يخرج الماء من فكي الأسد ليصب في حوض، وبعد ذلك

قاعة البستان، والأرقام حسب الترتيب: سد، فتحات لخروج الماء، خزان، صخرة فيها حفرة، صخور مهذبة

يسيل إلى الخزان الضخم عند سفح الجبل.

في شارع الأعمدة تنبسط ساحة مكشوفة كانت تضم الأسواق. وفي نهاية الشارع تبدو البوابة الثلاثية (بوابة الساحة المقدسة)، ومما يلفت الانتباه في هذا المكان وجود زهرة شبيهة كل الشبه بشكل الزهرة على واجهات بعض المقابر في الحِجْر. والسؤال هنا: هل الزهرة رمز لمعبود مقدس؟

بعد البوابة الثلاثية يمر الزائر بالمتحف، وهو بناء صخري تعلو بوابته خمس نوافذ وفي داخله مجموعة من الآثار النبطية والرومانية، منها: أوان فخارية، وحلي ذات عدة أشكال مما جاد به الموقع على أيدي الباحثين منذ بداية القرن.

الدّيْر: لا يمكن أن تكتمل زيارة عاصمة الأنباط دون أن يَمُر الزائر على الدّيْر، ففي مكان حصين وبعيد يرتكز أضخم المعابد النبطية، يصعد إليه عبر درج متعرج تحيط بجانبيه التكوينات الصخرية الحادة ذات التشكيلات المدهشة، وتواجه الزائر خلال ذلك قاعة الأسود الجنائزية ضمن ممر خاص وضيق، وواجهات لكهوف منحوتة ومجوفة، ومع مشاق الصعود إلاّ أن التمتع برؤية الدّيْر بعد الوصول تستحق كل هذه المعاناة.

ويُعْتَقَد أن تاريخ هذه المضافة النبطية يعود إلى القرن الأول الميلادي، يطلقون عليه اسم الدّيْر؛ لأنه استخدام في الفترة المسيحية، فحين أعلنت الإمبراطورية الرومانية أن المسيحية هي الديانة الرسمية لها عام ٣٢٤م. ومع انتقال عاصمتهم إلى بيزنطة، دخلت البتراء في هذا العهد الجديد برموزه المسيحية، وتحولت دور العبادة الوثنية فيها إلى تبدلات جذرية انتصاراً للدين الجديد.

كما تضم البتراء الكثير من المعالم السياحية والأثرية في عدة أماكن متفرقة، منها:

القلعة الصليبية:

يسمونها قلعة (الوعيرة) وهي قلعة صليبية رئيسة، بنيت

نحو عام ١١١٦م، ثم هجرت نتيجة الانتصار الذي حققه القائد صلاح الدين الأيوبي، ولم يبقَ اليوم منها إلاّ مداميك حجرية سفلية لجدران دفاعية، وبقايا ابراج وابنية داخلية.

قرية زراعية

كشفت الحفريات عن وجود قرية زراعية شهدت وجوداً بشرياً خلال القرن السابع قبل الميلاد، وما زالت الآثار هناك تشهد على أسلوب حياتهم اليومي، وعمارة بيوتهم في ذلك العهد البائد.

نحت لنسر في جبل الخُبْثَة:

عثر في إحدى واجهات جبل الخُبْثَة الخلفية على حفر روماني لنسر حيث يمثل رمزاً للقوة العسكرية التي حرص الرومان على ترسيخها، ويمكن للراغب في الوصول إليه أن يسلك طريق النفق المظلم قبل الدخول إلى الطريق الرئيس للمدينة عبر السيق.

المراجع والهوامش

١. معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٤٦.
٢. الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٧٩.
٣. لسان العرب، ج٤، ص ٣٧.
٤. الروض المربع، ج١، ص ٥٣٢.
٥. حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح، ج١، ص ٨.
٦. النهاية في غريب الأثر، ج١، ص ٩٣.
٧. لسان العرب، ج ٤، ص ٣٧.
٨. معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢٢٣.
٩. مختار الصحاح، ج ١، ص ٢٦٨.
١٠. التعريفات، ج ١، ص ٣٨.
١١. لسان العرب، ج ٧، ص ٤١٠.
١٢. القاموس المحيط ج١/ص٨٩٠.
١٣. لسان العرب، ج ٧، ص ٤١١.
١٤. الفائق للزمخشري، ج ٣، ص ٤٠٢.
١٥. معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٧.
١٦. شرح سنن ابن ماجه ج١/ص٢٠.
١٧. المنتظم ج١/ص٢٤٩.
١٨. الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٦٥ - ٤٦٦.
١٩. الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٦٦.
٢٠. تفسير ابن كثير ج٢/ص٢٦٠.
٢١. تفسير الطبري ج٩/ص١٠٣.
٢٢. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ١، ص ١٨.
٢٣. الفهرست، ج ١، ص ٤٢٣.
٢٤. الترغيب والترهيب ج٣/ص١٥٣.
٢٥. لسان العرب، ج ١٢، ص ٩٦.
٢٦. مصنف عبد الرزاق ج٦/ص٩٧.
٢٧. التاريخ الكبير ج٨/ص٣٨٣.
٢٨. الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٦٢.
٢٩. سمط النجوم العوالي، ج ١، ص ٢٠٢.
٣٠. شذرات الذهب، ج ١، ص ٩٣.
٣١. اخبار مكة، ج ٤، ص ٢٠١.
٣٢. تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ٣٢٦.
٣٣. المطلع على أبواب المقنع، ج١/ص٢٧٢ - ٢٧٣.
٣٤. لسان العرب، ج ٩، ص ١٠٨.
٣٥. معجم البلدان، ج ٤، ص ٥٢ - ٥٣.
٣٦. سمط النجوم العوالي، ج ٢، ص ٢٩٠.
٣٧. فتح الباري ج٨/ص١١١.
٣٨. تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ٣٤.
٣٩. تاريخ مدينة دمشق، ج ٢، ص ٢٠٨.
٤٠. تاريخ مدينة دمشق، ج ١٨، ص ٢٦٧.
٤١. تاريخ مدينة دمشق، ج ١٩، ص ٧.
٤٢. تاريخ مدينة دمشق، ج ٦٧، ص ٢٣٥.
٤٣. بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ١، ص ٣٣٢.
٤٤. لسان العرب، ج ٧، ص ٤١١.
٤٥. الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٦٨ - ٤٦٩.
٤٦. معجم ما استعجم ج١/ص٢٤٠.
٤٧. صحيح مسلم، حديث ٤٧٢٤.
٤٨. شرح النووي على صحيح مسلم ج١٦/ص١٦٧.
٤٩. تفسير القرطبي ج٨/ص١١٥.
٥٠. تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٧، ص ١٩.
٥١. أحكام القرآن للجصاص ج٤/ص٢٩٢.
٥٢. الروض المربع ج٣/ص٣١٥.
٥٣. الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٩٣.
٥٤. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج ١، ص ١٢٦.
٥٥. بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٤، ص ١٧٥٥.
٥٦. بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ٥، ص ٢١٢٥.
٥٧. تاريخ مدينة دمشق، ج ٥٧، ص ١٩.
٥٨. مصنف عبد الرزاق ج٧/ص٤٢٧.
٥٩. غريب الحديث للخطابي ج٣/ص١١٩.
٦٠. الفائق للزمخشري، ج ٣، ص ٤٠٤.

أعشاش الحمام:

في الواجهة الغربية للحبيس يقع قبر نبطي، وهو (الكولمباريوم) أو أعشاش الحمام. ويعتقد أن حناياه المربعة كانت تضم أشجاراً خاصة برماد الموتى وجثثهم، وربما لتربية الحمام خلال الفترة البيزنطية اللاحقة.

مقام هارون:

في أعلى قمة ضمن سلسلة جبال البتراء يقع مقام النبي هارون (على ارتفاع ١٣٥٠م) فوق سطح البحر، تحديداً، والصعود إليه يحتاج إلى ثلاث ساعات من التسلق الصعب، ويعود هذا المسجدُ والمزار إلى القرن الرابع عشر ميلادي، وقد جددت عمارته في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون. وهناك الكثير من الأضرحة الأخرى، وهي منحوتة أو مشيدة في عهود مختلفة، وتنتشر في عدة أماكن متعددة من ضواحي المدينة، وقد تحدثتُ عنها بما فيه الكفاية، وبما يغني عن الإعادة، عندما أوردتُ صوراً فوتوغرافية لها مُبيِّنة بمعلومات وافية عنها.

٦١. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ج٢/ص٣٥٢.
٦٢. تاريخ أصبهان، ج ٢، ص ٣٤٠.
٦٣. مسند عبد الله بن عمر ج١/ص٢٩.
٦٤. لسان العرب، ج ٧، ص ٤١٢
٦٥. الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٦٤.
٦٦. الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٦٦.
٦٧. الجاسر، في شمال غرب الجزيرة، ص ٤٦٥.
٦٨. تفسير القرطبي ج٨/ص٢٣٢.
٦٩. المنتظم، ج ١١، ص ٢٧٢.
٧٠. معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٧.
٧١. معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٥٠.
٧٢. المعرفة والتاريخ، ج ٣، ص ١٠٧.
٧٣. الوافي بالوفيات، ج ٢٧، ص ٨٩.
٧٤. سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٣٦٤.
٧٥. مسند أبي يعلى ج٧/ص١٧١.
٧٦. أضواء البيان ج٥/ص٤٥٤.
٧٧. الإنصاف للمرداوي ج١٠/ص٢١٥.
٧٨. المغني ج٩/ص٨٢.
٧٩. المدونة الكبرى ج١٦/ص٢٢٧.
٨٠. غريب الحديث لابن قتيبة ج٢/ص١٦٧.
٨١. غريب الحديث لابن الجوزي ج١/ص١٢٦.
٨٢. غريب الحديث لابن الجوزي ج٢/ص٢٨٧.
٨٣. لسان العرب ج٣/ص١٤٧.
٨٤. لسان العرب ج٥/ص٣٢٤.
٨٥. لسان العرب ج١١/ص١٦.
٨٦. معجم ما استعجم ج٤/ص١١٢٤.
٨٧. لسان العرب، ج ٣، ص ١٠٨.
٨٨. لسان العرب، ج ٣، ص ١٨١.
٨٩. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٠٧.
٩٠. المبدع ج٩/ص٩٣.
٩١. تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٠، ص ٢٤٧.
٩٢. معجم الأدباء، ج ٤، ص ٣٧١.
٩٣. الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٣، ص ٢٤.
٩٤. الإصابة، الطاء، ٣٤/٢ك.
٩٥. الأمالي للقالي، الشين، ٢/٩٩.
٩٦. المحيط الأعظم٣، ٣/١١٥.
٩٧. العقد الفريد، الميم، ٤/١٧٣.
٩٨. لسان العرب، ج ٧، ص ٤٣٢.
٩٩. الحماسة المغربية، الراء، ٢/١٢٣٢.
١٠٠. العين، الألف، ٢/١٢٣.
١٠١. الأغاني، الراء، ١٣/٣٠٨.
١٠٢. تاريخ دمشق، الحاء، ١٩/١٧٣.
١٠٣. الأغاني، الجيم، ١٨/٢٩٠.
١٠٤. معجم ما استعجم ج٣/ص٧٠٣.
١٠٥. النهاية في غريب الأثر ج٣/ص٣١٥.
١٠٦. الحماسة المغربية، الألف، ٢/١٢٨٦.
١٠٧. الأغاني، الألف، ١٨/٢٩١.
١٠٨. لسان العرب، الألف، ١٤/١٦٦.
١٠٩. أساس البلاغة، الميم، ٤/٦١٣.
١١٠. محاضرات الأدباء١، الألف، ١/٥٨.
١١١. سير أعلام النبلاء، الألف، ١٦/١٩٢.
١١٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ١، ص ٢٤٨.
١١٣. تاريخ دمشق، الألف، ٢٤/٢٩٩.
١١٤. الأغاني، الألف، ١١/٣٤٦.
١١٥. محاضرات الأدباء، التاء، ١/٤٢٩.
١١٦. استفاد الباحث من اللوحات الإرشادية في البتراء، ومن مطوية نشرتها هيئة تنشيط السياحة الأردنية، ومن فلم (البتراء، مدينة الحلم والدهشة) إنتاج التلفاز الأردني، ٢٠٠٠م. كما نقل منها بعض المعلومات. ويسرني هنا أن أقدم شكري للمعنيين على جهودهم بهذا الشأن.





الإعلان التلفازي وأثره في تشكيل الذوق العام

عبدالعظيم محمود حنفي

القاهرة ـ مصر

ارتبط الإعلان من قديم الزمان بتبادل السلع والخدمات، كما ارتبط بالأنشطة الاقتصادية، وخضع للظروف الاجتماعية، ويشير إلى ذلك ما تضمنته قطعة من ورق البردي، محفوظة بالمتحف البريطاني، يرجع تاريخها إلى ألف عام قبل الميلاد «يعلن فيها أحد الأمراء عن مكافأة لمن يرد إليه عبده الذي هرب منه».

وقد أخذت الإعلانات عدة أشكال، ومع اختراع الطباعة بدأ إنتاج الوريقات الإعلانية في شكل رسائل للعملاء والمستهلكين، ثم ظهرت سلسلة من المخترعات ساعدت على نجاح الإعلان، مثل: الصحافة، والإذاعة، والسينما، والفيديو، والتلفاز، ومن ثم أصبحت وسائله وأنواعه كثيرة ومتعددة، ومن ذلك:

١. إعلانات الوسائل المقروءة (إعلانات مرئية) في الصحف، والمجلات، والطرق.

٢. إعلانات الإذاعة (إعلانات مسموعة)، وهي واسعة الانتشار، متعددة المحطات.

٣. إعلانات مرئية مسموعة، وأنواعها كالآتي:

أ. إعلانات سينمائية (مباشرة ـ غير مباشرة).



ب ـ إعلانات تلفازية (مباشرة ـ غير مباشرة).

ج ـ إعلانات فيديو.

د ـ إعلانات تسويقية (محطات المترو ـ السوبر ماركت).

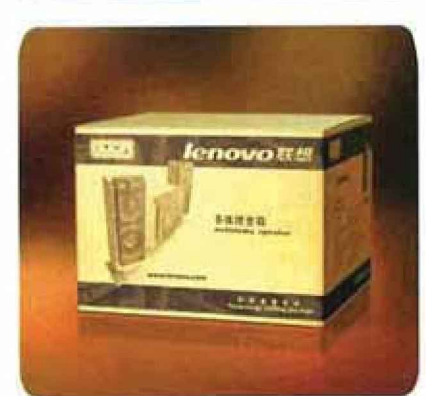
ويعدّ التصميم الفني للإعلان بمنزلة الهيكل العظمي للحملة الإعلانية، فإذا كان هذا الهيكل قويًا كان البنيان قويًا، حتى وإن كان هذا التصميم الفني يعالج موضوعًا فنيًا ذا بعدين (الصحف ـ المجلات ـ إعلانات الطرق). والهدف من التصميم في هذه النوعية من الإعلانات أن يكون أداة للتعبير البصري، وجذب انتباه المتلقي من خلال العناصر المرئية التي تثير في النفس أحاسيس بعينها؛ وذلك بعلاقتها بعضها ببعض، ومساحة الإعلان به علاقة إيقاعية بين الجزء والكل. كما توجد علاقة بين الكتلة والفراغ في حدود إطاره، فينشأ عنها إيقاع بصري؛ وذلك من خلال التكوين حسب رؤية الفنان، ويكون الهدف دائمًا هو جذب انتباه المتلقي.

ويعتمد الإعلان على الفكرة المبتكرة، والفكرة هي













الفكرة أساس الإعلان

الأساس الذي يبنى عليه الإعلان، وكلما كانت الفكرة قوية وجذابة وجديدة، كان التعبير عنها قويًا وجذابًا. ولا بد لهذه الفكرة أن تخاطب عقل المشاهد ومشاعره، وتؤثر في وجدانه إلى أقصى درجة ممكنة، بحيث يتحقق الهدف النهائي للإعلان. وقد اتفق خبراء الاتصال على أن الإعلان عملية اتصال بين مرسل ومستقبل.

وتدل الدراسات الخاصة بالجوانب النفسية والسلوكية والفنية في مجال الإعلان، على أن العمل الفني في التصميم الإعلاني، الذي يتركز أساسًا في الصورة أو الرسم، هو العنصر الرئيس، أو العامل الأساسي في جذب الانتباه إلى الإعلان، وإثارة الاهتمام بموضوعه.

أما إعلانات الطرق التي يراها المشاهد وهو يركب سيارته، ويتحرك بسرعة، فيجب أن يكون

تؤدي الأغنية الإعلانية دورًا مهمًا في إعلانات الإذاعة، ومن هنا يجب علينا أن ندقق في كلمات الأغنية بحيث ترقى إلى المستوى المطلوب. وكذلك في الموسيقا المختارة، والألحان المؤلفة والمصاحبة لتلك الكلمات

تصميمها الفني ذا نداء بصري خاطف لجذب الانتباه؛ لأن المسافة التي يرى فيها المتلقي الإعلان حتى يخرج من مرمى بصره هي زمن تلقي الإعلان.

وستكتسب إعلانات الطرق والملصقات الناحية الجمالية عندما يقوم بها فنانون تشكيليون متخصصون دارسون لفن الإعلان. فالإعلانات المرئية، عندما ترقى تشكيليًا، تؤثر في المتلقي جماليًا، وبذلك تؤثر في تشكيل الذوق الفني العام للمجتمع.

أما إعلانات الإذاعة، فيؤدي فيها عنصر الصوت دورًا مهمًا ومؤثرًا، مخاطبًا بذلك حاسة السمع والتخيل؛ ولذلك يجب أن يوظف شريط الصوت توظيفًا دراميًا لخدمة الإعلان.

وتؤدي الأغنية الإعلانية دورًا مهمًا في إعلانات الإذاعة، ومن هنا يجب علينا ان ندقق في كلمات الأغنية بحيث ترقى إلى المستوى المطلوب، وكذلك في الموسيقا المختارة، والألحان المؤلفة والمصاحبة لتلك الكلمات؛ لأن الإعلان يعدّ إحدى وظائف الاتصال في المجتمع، التي تتلخص في التثقيف الذي يؤثر في لغة الطفل والشاب، وبذلك يؤثر في تشكيل الذوق الفني العام للمجتمع.

أما الإعلانات المرئية والمسموعة فيتم تناولها بعرض مبسط للإعلان السينمائي عامة، والإعلان التلفازي خاصة، مع توضيح دور كل منهما في التأثير في تشكيل الذوق العام بالمجتمع. فالإعلان السينمائي يمر بمراحل إنتاجية وتقنية فنية تختلف عن مراحل إنتاج الإعلان التلفازي، إذ يتم عرض الإعلان السينمائي بدور العرض، وكان زمنه يراوح بين دقيقة ودقيقتين، وكان المعلن يسعى إلى عرض إعلانه مع فلم روائي ناجح جماهيريًا، حتى يحظى بأكبر عدد من المشاهدين.

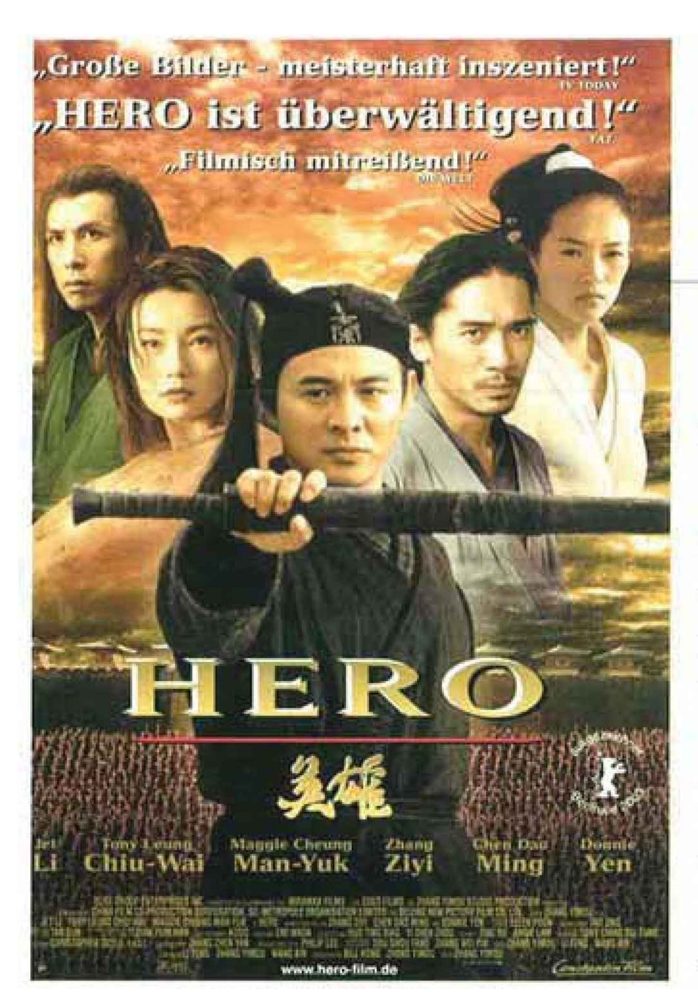
وقد حلّت الإعلانات التلفازية محل الإعلانات السينمائية تدريجيًا، وذلك بظهور التلفاز. ومع اتساع نطاق الإرسال، وتزايد عدد أجهزة التلفاز، وارتفاع مستوى البرامج التي أصبحت تجذب



الألوان والحركة من عناصر الجذب في الإعلانات المقروءة

يعدّ التصميم الفني للإعلان بمنزلة الهيكل العظمي للحملة الإعلانية، فإذا كان هذا الهيكل قويًا كان البنيان قويًا، حتى وإن كان هذا التصميم الفني يعالج موضوعًا فنيًا ذا بعدين (الصحف - المجلات - إعلانات الطرق)


Nicolas
Cage
The
Weather
Man
Das Wetter ändert sich.
Das Leben auch.



الأفلام السينمائية بحاجة إلى إعلانات تروّج لها

المشاهدين، أدرك المعلنون أهمية التلفاز كوسيلة اتصال بينهم وبين الجمهور.

وقد ارتفع المستوى الفني للإعلان التلفازي بظهور مجموعة من الفنانين التشكيليين، الذين اتجهوا إلى دراسة السينما، وخاصة فن الرسوم المتحركة، الذي وظّف في الإعلان التلفازي، ففن الرسوم المتحركة عمل خالص من إبداع الفنان، فهو يبث الحياة والحركة والكلمة والذكاء في شخصيات رسمها من خلال خطوط وألوان لها سيكولوجيتها ومدلولها الدرامي. ومن خلال فن الرسوم المتحركة الإعلاني ظهرت شخصيات كرتونية مصرية، تأثر بها الطفل، وردد كلمات أغانيها، التي تتميز بسرعة الإيقاع، وسهولة اللحن، وعذوبة الكلمات. وكان لارتفاع المستوى الفني في الإعلان التلفازي، في ذلك الوقت، تأثير في تشكيل الذوق العام بالمجتمع.

وبعد صدور القوانين التي تسمح باستثمار رؤوس الأموال الأجنبية والعربية في العالم العربي، والتي أعطاها مميزات عن طريق الإعفاء الضريبي والجمركي لمدة معينة ـ غالت هذه الشركات في الصرف على ميزانية الإعلانات، وقد أثر هذا في إعلانات الرسوم المتحركة؛ لأن فن الرسوم المتحركة الوطني كانت خبراته قليلة، وتتطلب عنصر الوقت، ولما كان المستورد يبحث عن الكسب السريع، فقد تحول الاستيراد إلى سلع استهلاكية وكمالية. واستتبع ذلك تكثيف حركة الإعلان عن تلك السلع، حتى يتمكن المستوردون من تحقيق اكبر ربح ممكن في اقل فترة زمنية، قبل ان يتزاحم السوق باصناف جديدة من تلك النوعية، فاغتيل فن الرسوم المتحركة من خلال الإعلان الوطني في الدول العربية؛ لأن فن الرسوم المتحركة كان يتطلب وقتًا حينذاك. وتحول الإعلان إلى التصوير الحي الذي يتم تنفيذه بسرعة أكثر من الإعلان بالرسوم المتحركة، وأصبحت الإيماءات الجسدية للإثارة، وشد الانتباه في الإعلان هي القاسم المشترك، وسيطر على شريط الصوت الإيقاع الحركي الراقص، كما أثر في سلوكيات الفرد في المجتمع.

إن خطورة فن الإعلان ترجع إلى أنه يستند في أداء رسالته إلى الاتصال الفعال. وخاصة بتكرار عرضه. وبذلك يلتصق بأذهان أطفالنا. فيكتسب الطفل ـ من نوعية معينة من الإعلانات ـ سلوكًا سيئًا، وعادات غير مرغوب فيها

Mom, can I have some more calcium?

Now calcium comes in a new, sweet flavor.

Minute Maid

Bite Into

توظيف الطفل في الإعلان يحتاج إلى معايير وقيم

يسعى إلى بناء جسر من التفاهم المشترك بين المرسل وصاحب الرسالة الإعلانية (المنتج) من ناحية، والمستقبل، وهي الجماعة التي يعنيها المرسل برسالته، وهذه هي خطورة فن الإعلان، وتأثيره في تشكيل الذوق العام للمجتمع وسلوكياته، وهذا الاتصال الفعال لا يتحقق بشكله الأمثل إلاّ من خلال الإجابة عن مجموعة من الأسئلة:

- من هو صاحب الرسالة الإعلانية؟
- إلى من يود أن يتحدث؟
- ماذا يريد أن يقول؟
- ما الوسيلة التي يستخدمها في نقل الرسالة إلى مريديه؟
- ما التأثير الذي تتركه الرسالة في نفوس المستقبلين؟

وحري بنا أن نعرض لتأثير الإعلان في الذوق العام للمتلقي، ولكي يتضح مدى عمق هذا التأثير، يجدر عرض أقسام الإعلان حسب وظائفه التسويقية، وهي: إعلان تعليمي، إعلان إرشادي، إعلان تذكيري، إعلان إعلامي.

ويمكن تقسيم التقنية الفنية للإعلان على النحو الآتي: إعلانات تصوير حي، إعلانات تحريك (رسوم

وتعدّ نظرة «جمعية التسويق الأمريكية للإعلان» من أكثر النظرات شمولاً في تعريف الإعلان، إذ تنظر إليه بوصفه «وسيلة اتصال تهدف إلى الربح بقصد تقديم السلع والخدمات والأفكارللمستهلكين أو المستثمرين الصناعيين ولإقناعهم بها».

فالإعلان لا يهدف فقط إلى مجرد الترويج، وإنما يستند في أداء رسالته إلى الاتصال الفعال، الذي

إن تشويه صورة المرأة في الإعلان جزء من تشويه الذوق العام، وكأن المرأة – بصفة عامة كموضع – مرادف للجنس، كما أن تشويه صورة الطفل في الإعلان جزء من تشويه الذوق العام؛ وذلك بإظهار أطفال يسلكون سلوكـاً لا يتناسب مع طفولتهم



الرسالة الإعلانية تبرز جودة المنتج

بسبب الغزو الثقافي، الذي تتعرض له دول العالم الثالث. أصبحت عملية فرض عادات وسلوكيات جديدة شيئًا مقبولاً إلى حد ما، تحت عنوان الانفتاح على العالم الخارجي؛ وهذا ما أتاح فرصة الظهور لبعض هذه الإعلانات، التي تتسم بشيء من التجاوز

متحركة - جرافيك ٥٢ - جرافيك ٥٣ - دمى - تحريك السلعة). ويجب استخدام التقنية الفنية التي تتمشى مع السلعة المراد ترويجها، والمؤثرة في جمهور المتلقي حتى تنجح الرسالة الإعلانية، ويتحقق الهدف من الإعلان.

ففي عالم اليوم الذي بلغت فيه وسائل الاتصال درجة عالية من التطور جعلت العالم يبدو كما لو كان قرية صغيرة، ومع تزايد التكتلات الاقتصادية


F1 Tea
Worth1000.com

كوسيلة لمواجهة المشكلات. تعاظمت أهمية الفلم الإعلاني بإمكاناته اللامحدودة؛ لأنه يجتذب البشر بأسلوبه الخاص في جميع أنحاء الأرض، ومن ثم أصبح الإعلان جزءًا لا يتجزأ من هيكل الاقتصاد القومي في كثير من المجتمعات.

وقد حقق الإعلان مزيدًا من النجاح في العالم خلال الأعوام الماضية؛ وذلك نتيجة للمتغيرات والمقومات، التي أسهمت في زيادة كفاءته. ومن أهم هذه المقومات:

١. التطور التكنولوجي الذي أدى إلى مـزيد من التوسع الإنتاجي والاتصالي والتسويقي.
٢. زيادة إنتاج الفرد، ومن ثم أصبح الإعلان إدارة لتحريك الإنتاج المتزايد.
٣. زيادة أنواع السلع والعلاقات التجارية، ولذلك أصبح الإعلان أداة للمنافسة.
٤. ظهور المؤسسات الصناعية الكبيرة، التي تعمل على نطاقات دولية، فكان لابد من استخدام الإعلان للوصول إلى الأسواق البعيدة.
٥. نمو المؤسسات الإعلانية المتخصصة وتزايدها، كوكالات إعلانية، أديا إلى زيادة تدعيم الإعلان، كمهنة وصناعة وفن.
٦. تزايد الأبحاث: مما أدى إلى زيادة فاعلية الإعلان نتيجة لاعتماده على الأسلوب العلمي، وعلى نتائج الدراسات والبحوث.
٧. تطور وسائل الإنتاج في مجال الإعلان، كدخول الكمبيوتر، والأجهزة المستحدثة، والتقدم في مجال بحوث فن الإعلان.
٨. تطور البرامج التلفازية، وعدم التدخل في مضمونها من قبل الراعي؛ وذلك لأن البرنامج الناجح هو الذي يجذب الرعاة.

سلبيات الاعلان

ولكن هناك سلبيات كثيرة في بعض الإعلانات أثرت في سلوكيات المتلقي ولغته، وأثرت بشكل غير مباشر في تشكيل الذوق العام للمجتمع، ويمكن تصنيفها على النحو الآتي:

أ. إعلانات تؤثر في السلوكيات:

ففي بعض الأحيان يختار المنتج لحملته الإعلانية سلوكيات شائعة في حياتنا اليومية، ومن هنا فأي تشويه لها له أكبر الأثر في سلوكيات المجتمع، ثم يأتي دور الإعلان الإيجابي في تدعيم مثل هذه السلوكيات عن طريق تناولها بأسلوب علمي سليم، لكن هناك بعض الإعلانات التي تشذ عن هذه القاعدة، وتتناول مثل هذه القيم والعادات بأسلوب يساعد على نشرها بطريقة خاطئة، ومن أمثلة هذه الإعلانات:

إعلان في أحد التلفازات العربية عن سلعة معينة يوحي إلى الطفل برشوة عسكري المرور للسماح بالمرور في الممنوع. ومثل هذا يترك آثارًا سلوكية في نفوس الأطفال خاصة، والمتلقي عامة.

فالرسالة الإعلانية للإعلان تقول: (إن المنتج وسيلة لحل المشكلات، وإن جودته شيء ثمين) ولذلك سيعطيه الطفل العسكري المرور كرشوة للسماح له

تدل الدراسات الخاصة بالجوانب النفسية والسلوكية والفنية في مجال الإعلان على أن العمل الفني في التصميم الإعلاني، الذي يتركز أساسًا في الصورة أو الرسم، هو العنصر الرئيس، أو العامل الأساسي في جذب الانتباه إلى الإعلان، وإثارة الاهتمام بموضوعه



أشكال من الإعلانات في هذه اللقطة

بالمرور في الممنوع.

كانت الوسيلة هنا هي التلفاز، والتأثير الذي تركته هذه الرسالة الإعلانية هو تشويه صورة عسكري المرور، والإعلان في هذه الحالة أدى دورًا مهمًا في التربية الفكرية للأطفال؛ لأن دعائم شخصية الطفل تتكون في سنوات حياته الأولى. ومن هنا يجب أن يكون صانعو هذه الأفلام ذوي مهارات وقدرات ثقافية وإبداعية على مستوى عال من الدراسة والتخصص.



لكل نوع من أنواع الإعلان أصوله وقواعده

إن خطورة فن الإعلان ترجع إلى أنه يستند في أداء رسالته إلى الاتصال الفعال. وخاصة بتكرار عرضه، وبذلك يلتصق بأذهان أطفالنا، فيكتسب الطفل - من نوعية معينة من الإعلانات - سلوكًا سيئًا، وعادات غير مرغوب فيها. وكما نعلم جيدًا فإن من أهم أهداف الإعلان جذب أكبر قدر ممكن

بعد صدور القوانين التي تسمح باستثمار رؤوس الأموال الأجنبية والعربية في العالم العربي، وأعطائها مميزات عن طريق الإعفاء الضريبي والجمركي لمدة معينة - غالت هذه الشركات في الصرف على ميزانية الإعلانات







من المشاهدين، أي: أن تأثيره في المجتمع عامة، والأطفال خاصة تأثير خطير، إذ يكتسب الأطفال عادات وسلوكيات ينبذها المجتمع.

إن تشويه صورة المرأة في الإعلان جزء من تشويه الذوق العام، وكان المرأة - بصفة عامة كموضع - مرادف للجنس. كما أن تشويه صورة الطفل في الإعلان جزء من تشويه الذوق العام: وذلك بإظهار أطفال يسلكون سلوكًا لا يتناسب مع طفولتهم.

ب - إعلانات تؤثر في مفردات اللغة العربية الجميلة:

هناك بعض الإعلانات التي تحتوي رسالتها على ألفاظ وعبارات تؤثر في معجم لغتنا القومية، وذلك بتكرارها من خلال الإعلان التلفازي وتأثيرها في المتلقي. وتصبح هذه العبارات مفردات دخيلة على لغتنا وتنتشر بين الشباب انتشار الوباء، ويا للأسف أصبحت هذه العبارات جملاً حوارية في الأفلام الروائية، وأدى التلفاز دورًا بارزًا - كأهم عوامل فن الاتصال - في نشر هذه الكلمات الدخيلة على لغتنا الجميلة بين أطفالنا وشبابنا، فأثرت بدورها في ثقافة مجتمعنا.

وقد لوحظ في الآونة الأخيرة أن ثمة خطرًا قد دهم الإعلانات، وبالأدق في صياغة كلمات الإعلانات مقروءة ومرئية ومسموعة، وتجلى ذلك

حلّت الإعلانات التلفازية محل الإعلانات السينمائية تدريجيًا، وذلك بظهور التلفاز، ومع اتساع نطاق الإرسال، وتزايد عدد أجهزة التلفاز، وارتفاع مستوى البرامج التي أصبحت تجذب المشاهدين، أدرك المعلنون أهمية التلفاز كوسيلة اتصال بينهم وبين الجمهور

في انعكاسه على البناء الفكري للمتلقي، بل إنه يتعداه إلى التأثير في أطفالنا.

ج - إعلانات تجافي الحياء:

الإعلان رسالة اجتماعية، تتأثر بها ثقافة المجتمع وعاداته الذي تتوجه إليه، ولذلك فأي تعارض بين الإعلان وهذه العادات والتقاليد يجعله غير مقبول إعلانيًا، على الرغم من صدق رسالته.

ولكن بسبب الغزو الثقافي، الذي تتعرض له دول العالم الثالث، أصبحت عملية فرض عادات وسلوكيات جديدة شيئًا مقبولاً إلى حد ما، تحت عنوان الانفتاح على العالم الخارجي: وهذا ما أتاح فرصة الظهور لبعض هذه الإعلانات، التي تتسم بشيء من التجاوز، الذي لم يعتد عليه مجتمعنا، لدرجة حدوث صدمة فكرية للمشاهدين: بسبب ما تنطوي عليه هذه النوعية من الإعلانات من خدش حياء معظم المشاهدين.

وعلى الرغم من عدم تقبل مثل هذه الإعلانات في بدايتها، إلا أنه بالإلحاح والتكرار أصبحت هذه الإعلانات عادية. وفي هذا الاتجاه، فإن بعض الدراسات تشير إلى أنه «في الدول التي تعاني انتشار الأمية وانخفاض دخل الفرد، فإن التلفاز هو أفضل الوسائل لتقديم الرسائل الإعلانية لأولئك الذين لا يقرؤون، ولا يشترون الصحف».

وهذه خطورة الإعلانات واستغلال التلفاز كوسيلة عرض له. وبذلك يتم فرض عادات وسلوكيات مستحدثة على المجتمع العربي من خلال الإعلان.

وللإنصاف فإن ثمة إعلانات إشارية جيدة تتم صياغتها في قالب تمثيلي - وهو الأقرب إلى الجمهور، ولكي يتم القضاء على سلبيات الإعلان، تجب إعادة النظر في عملية صناعته، والقائمين عليها، ووضع ضوابط والتزامات على هذه الصناعة.




كايتاني وفيدا ودورهما في الدراسات الإسلامية

كلاوديو لوياكونو

إيطاليا، مقارنة بالبلاد الإنجليزية، والألمانية، والفرنسية، والإسبانية، فيها القليل من الدراسات المخصصة للجوانب التاريخية والأدبية واللغوية والفنية للثقافة الإسلامية، في بلد لديه القدرة على القيام بأعباء ثقافية وعلمية على المدى الطويل، هناك اهتمام عارض بهذا الجانب، في حين يتوجب الالتفات إلى معرفة حضارة كالحضارة الإسلامية التي يجب عليه التعامل معها، بتأثير الموقع الجغرافي، أو العلاقات الدولية.

تتضح أهمية الأمر عندما نتحدث عن عالمين اثنين قاما بإبراز وجود إيطاليا في مجال الدراسات الإسلامية الأدبية خلال القرن العشرين، خلفاء لميكيلي أماري الذي كتب في القرن التاسع عشر كتاب «قصة المسلمين في جزيرة صقلية»، الذي قامت بترجمته إلى العربية، وزارة الخارجية الإيطالية في مبادرة ذكية لجعله تحت تصرف الدارسين العرب.

بصفتي دارسًا محترفًا، ولكيلا تبدو مبادرتي هذه موصوفة بالعصبية، فإنني أتذكر عندما كتب مؤكدًا من عامين أو أكثر منذ عدة أعوام فولفيو تيستوري، وهو واحد من أكبر المؤرخين الإيطاليين «غير المستشرقين»، يتم البحث في الأدبيات الشرقية عن واحد من أكثر الشخصيات التاريخية، التي هي جديرة بالظهور إلى جانب أشهر الشخصيات الأوربية المعاصرة لها.

بدأ القرن العشرون بتقديم أحد التلاميذ المخلصين لأماري وهو مؤرخ كبير، وشخصية وطنية وسياسية من جزيرة صقلية، ووزير التعليم في إيطاليا الموحدة من ديسمبر عام ١٨٦٢ إلى ٢٣ سبتمبر عام ١٨٦٤م، بصفته



عالمًا ذي شخصية قوية، وكان هذا العالم هو ليوني كايتاني الذي ينتمي إلى عائلة ارستقراطية من روما، وهي إحدى أغنى العائلات ذات الثقل السياسي في المشهد الإيطالي بين القرنين التاسع عشر والعشرين، أمير تيانو، ودوق سيرمونيتا.

سنوات الإسلام

في أثناء حياته الحافلة، وغير المحظوظة، قام بتقديم أشهر عمل تاريخي له عن العمل الإسلامي وهو «سنوات الإسلام» الذي أراد به أن يتكلم على فترة الخلافة الإسلامية؛ أي: من القرن السابع حتى الثالث عشر وصولاً إلى فترة العصر العثماني التي، لأسباب متعددة، تمثل العصر الحديث للعالم الإسلامي.

قام الكتاب بأجزائه العشرة على الرغم من كتابته في أربعة فقط بشرح الأسس المنهجية والأيدولوجية للإسلام بتغطيته لتاريخ الخلفاء الأربعة الراشدين الأوائل، ثلاثون عامًا بالإضافة إلى الصفحات المخصصة عن تاريخ حياة محمد صلى الله عليه وسلم

ورسالته والفصل السابق الذي يتحدث عن الفترة الزمنية السابقة له، وهي الجاهلية.

المحاولة التي قام بها كايتاني كانت استغلالاً لكل ما تمت كتابته عن الحضارة العربية الإسلامية في تلك الفترة، ثم التحدث، من خلال الكتّاب المسلمين والمصادر الآشورية والبيزنطية أيضًا والابتعاد عن الرؤية الأوربية التي كانت صفحة مميزة للدراسات التاريخية عن الإسلام، والمقارنة مع مصادر تاريخية أخرى غير إسلامية، والانعكاسات الشخصية التي قدمها كايتاني أكدت، مع مرور الوقت، الانتباه المنهجي المنظم، الذي يبقى حتى اليوم واحدًا من مظاهر فخر طرائق البحث الغربية.

كانت الانطباعات الشخصية لكايتاني واحدة من الأوجه التي أثرت في كتاب «سنوات الإسلام»، كانت هي الفترة التي أحرز فيها المنهج الإيجابي معظم نجاحه، وإذا كانت التحقيقات المنهجية التي تحاول أن تبحث في أسباب ظهورالحضارات الإنسانية تمثل احد الطرق الجديدة، فإن ما يعد من ذلك هو الشك الذي كان يبديه الدارس من خلال دراسته لتاريخ الديانات، واتصاله خلالها بالشخصيات البارزة التي كان ينكر عليها قدرتها على التأثير بعمق في الأحداث التاريخية.

هذا أحد أوجه الاختلاف بين الإيجابية والمنهج التاريخي اللاحق في القرن التاسع عشر، الدراسة للتاريخ والدين معًا كانت تقدمًا كبيرًا نجح العالم الغربي في تحقيقه بعد مشقة، ومرت عبر دراسات النصوص القديمة وتاريخ التحديث.

كان كايتاني أحد رجال المنهج الإيجابي، كان مهتمًا بصفة خاصة بالقواعد الأساسية التي تتحرك من

الجامعات الإيطالية واهتمام بالدراسات العربية والإسلامية



كايتاني كان أحد رجال المنهج الإيجابي. كان مهتمًا بصفة خاصة بالقواعد الأساسية التي تتحرك من خلالها حركة الحضارات. بالنسبة إليه فإن القوانين الفيزيائية والجيولوجية والمناخية كانت تتحرك بعضها مع بعض كعامل حاسم في حركة التاريخ

خلالها حركة الحضارات، بالنسبة إليه فإن القوانين الفيزيائية والجيولوجية والمناخية كانت تتحرك بعضها مع بعض كعامل حاسم في حركة التاريخ، خصائص الموقع والاقتصاد والمجتمع كانت مهمة لكي تمحو من المادة التاريخية تلك البلاغة اللغوية المتخللة للدراسة، التي كانت تظهر من المبالغة بصمة أساسية مفيدة عن مجرى الأحداث.

ظهر الجزء الأول في عام ١٩٠٦م، وحاز مؤلفه على جائزة في عام ١٩١٠م من أكاديمية لينشي، التي منحته في العام التالي العضوية الفخرية، وفي عام ١٩١٩م العضوية الدائمة، ثم تم إبعاده عنها في عام ١٩٣٥م بعد الأمر الفاشي بحرمانه من المواطنة

يجب ألا نقلل من تأثير الروح الإيجابية في إعطاء الدفعة القوية والنافعة للأبحاث التاريخية الإسلامية، وتجنب الوقوع في مصيدة تطويع الدفاع مثل هؤلاء الذين يأخذون موقفًا مضادًا قرونًا طويلة من الدراسات الاستشراقية من الأوربية المسيحية

الإيطالية، وقد نجح الأمير الشرقي، كما كان يسميه بعضهم بعد تعب كبير أن ينهي كتابة «الثلاثين عامًا التي مرت على موت الرسول»، كان سبب التأخير هو أعباءه العامة التي وضعته على طريق السياسة بسبب مشكلاته العائلية والشخصية أيضًا.

سوف نمر بشكل سريع على هذه المشكلات على الرغم من عدم كونها مبحوثة بشكل تاريخي جاد. من المعروف أن سببها هو مواقفه الشخصية الشجاعة في البرلمان، الذي كان عضوًا فيه من عام ١٩٠٩م عن الدائرة الرابعة بروما، بجانب جايتانو سالفيميني، واعتراضه على مغامرات إيطاليا الاستعمارية في عام ١٩١١م، التي أرادت الاستيلاء على ممتلكات الإمبراطورية العثمانية المنهارة في شمال إفريقية (طرابلس الغرب).

كانت محاولة استعادة المجد من قبل الملكية في إيطاليا بعد هزائمها في تونس بسبب فرنسا، التي عدّها كايتاني محاولة غير عادلة وغير مجدية.

الأمير الأحمر أو الأمير التركي، كما كان ينقبه به خصومه، الذين عدّوه خائنًا للطبقة الاجتماعية التي أتى منها، لم يغير أبدًا من أفكاره، وهذا يسوّغ التقدير الرفيع الذي كتبه فولفيو تيستوري قائلاً «التوجه الإيطالي نحو الشرقيات بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أقل من توجهات أخرى مشروطة بأفكار استعمارية، وقام بانتقاد حتى لو كان الوحيد تقريبًا. للنص الذي كتبه إدوارد سعيد في كتابه «الاستشراق» الذي هاجم فيه بشكل غير عادل جميع أشكال الاستشراق متجاهلاً. بسبب صعوبات في الترجمة. ما كتبه كايتاني على سبيل المثال. حتى لو كان كايتاني، لم يواصل سلك التدريس الجامعي، فقد تم تعيينه أستاذًا للعلم والحياة، وأدهش بمعارفه الدارسين معه والذين كانوا تحت إشرافه بكمية النصوص العربية الموجودة في مكتبات العالم المختلفة في

هذا الوقت، والتي كان بعضها على شكل مخطوطات يدوية، وكانت صعوبة فهمها واستخدامها معروفين لمن كان يهتم، حتى ولو كان مؤقتًا، بفك صعوباتها.

تلقى كايتاني مساعدة وتوجيهًا، وتشجيعًا، وتقديرًا، وعرفانًا، من جميع الدارسين في جميع أنحاء العالم، أكاديميين وغير أكاديميين، بسبب مجهوده الخرافي الذي بدأه. ومن الجدير بالذكر أن كايتاني ترجم بنفسه كل المواد العلمية، وفحص ما قام به زملاؤه وتلاميذه، وناقش معهم بحرارة؛ ولهذا تم تعيينه أستاذًا فقام بصياغة كل هذا بفضل قراءته الشخصية للتاريخ. سوف نتكلم، لاحقًا، على المنهجية التاريخية عند ليوني كايتاني بفضل التحليلات البارعة لليفي ديلا فيدا، ولفرانشسكو جابريللي، ولفولفيوتيبسيتوري؛ لأنها تستحق ذلك.

يجب ألا نقلل من تأثير الروح الإيجابية - التي ذكرناها سابقًا - في إعطاء الدفعة القوية والنافعة للأبحاث التاريخية الإسلامية، وتجنب الوقوع في مصيدة تطويع الدفاع مثل هؤلاء الذين يأخذون موقفًا مضادًا قرونًا طويلة من الدراسات الاستشراقية من الأوربية المسيحية.

تصاحب الشك المنهجي عند كايتاني حول الترجمة ثقة كبيرة في قدرة الدارس على المرور عبر النقد إلى «درجة حقيقة الأمور»، وكل دارس يدين بالعرفان لكايتاني؛ بسبب هذه الطريقة المنهجية في البحث.

على الرغم من عدم ثقته في المعطيات التي تظهرها ترجمة لا تعطي فرصة للعقل للتفكير، لم يخل قلم الأمير من الإشادة بشخصيات تاريخية، أثرت في مجرى التاريخ الإسلامي: في صدارة الجميع الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، وعمرو ابن العاص، وعثمان بن عفان، وغيرهم.

ما سبب عدم التماسك والتغيير في مجرى التاريخ؟ الصعب الإجابة عن ذلك حتى لو كنت أعتقد أن الأحداث التاريخية الصعبة التي مر بها قد أثرت في أفكاره وفي نفسيته، مثل الحرب العالمية الأولى، والفاشية، والمشكلات الشخصية التي مرّ بها، كل هذا انتزع من كايتاني الإيجابية التي مرّ بها، والتي كان يعتقد بوجودها حول تقدم الإنسانية نحو مستقبل سعيد، كناحية أساسية في التيار الإيجابي، الذي كان يعتقد به كايتاني.

الأحداث التاريخية الصعبة أثرت في نفسية كايتاني





جورجو ليفي

كانت قواعد الدراسات التاريخية للتاريخ الإسلامي قد تأصلت بالفعل وعلى الرغم من الصعوبات الكثيرة على المستوى الشخصي التي واجهها جورجو ليفي ديلا فيدا والتي كانت لا تقل عن الصعوبات، التي واجهها أستاذه، فقد قام بحمل الشعلة عند أستاذه، وسار بها بعده.

كان أستاذ علم الساميات في جامعة روما ذا معرفة عميقة بالحضارات، ليفي ديلا فيدا عمل وهو شاب في مبنى بوتتيجي سكوري، الذي كان مملوءًا بوثائق الإسلام، المبنى الذي يستضيف اليوم الدارسين الذين ينضمون إلى مؤسسة الدراسات الإسلامية، التي أراد ليوني كايتاني أن تنشأ داخل جدران أكاديمية لينشي الوطنية، والتي أسست في القرن السادس عشر من عالم الطبيعة والنباتات فيديريكو شيزي (١٥٨٦-١٦٣٠م)، تلك الأكاديمية المجيدة التي تفخر بأن جاليليو جاليلي كان من بين أعضائها في عام ١٦١١م.

أخذ تلميذ كايتاني النجيب عنه أهمية الأخذ شخصيًا عن النص، وتهميش أي نموذج تمت كتابته من دون مرونة، وفي الوقت نفسه التخلص من الإيجابية الساذجة، التي ترى إمكانية الوصول إلى حقيقة التاريخ الذي يسير بالعكس دائمًا نحو التكوين، دائمًا خطوة نحو الأمام بالنسبة إلى الباحث الذي يتتبعه، أي مغامر في شكل باحث أكاديمي.

كان ليفي ديلا فيدا واثقًا من رجاحة الفرض، الذي يتم على أساس النية الحسنة، والذي يجب أن ينير طريق كل باحث يليق به هذا الاسم.

هو أيضًا، كما اماري وكايتاني، لم ينغلق على نفسه داخل «استنتاجات أكيدة» تاريخية قائمة على المنطق، ولكنه يعرض نفسه لمخاطر جسيمة، بمشاركته في المقدمة ضمن الحوادث التاريخية المضطربة التي صاحبت الفاشية في إيطاليا، التي أصبحت ملأى بعنصرية متزايدة وغير متسامحة.

قام، بهذه الطريقة، بتوفير شهادة لنفس مفكرة وصافية لمعاصريه ولاحقيه، على مقدرة أن يواجه عواقب شخصية جسيمة؛ بسبب رفضه أن يعلن الولاء لنظام ديكتاتوري كان ينتظر منه، ومن كل طبقة الأساتذة الجامعيين انحيازًا كاملاً إليه، ليس فقط على المستوى المؤسسي، ولكن أيضًا الفكري.

هو أيضًا مثل أماري وكايتاني، تابع والأوليات المنهجيات حول البحث الشخصي والموثوق به، الذي لا يقوم على «السمع»، ولكن على المصادر الأصلية للثقافة العربية والإسلامية، ومن هذا التحقيق - كما نقول نحن - فإن الدراسة المنطقية، والبنية التاريخية، وهما مكونات لا يمكن إلغاؤها؛ لأنها، كما يقول ماكسيم رودينسون، عن طريق دراسة النصوص والمصادر، الحضارات الشرقية، يمكن إخضاعها للفحص كأي حقل آخر، مع تجنب النقاش الديني، وتجنب الصدام الأيديولوجي، مع جورجو ليفي ديلا فيدا يتحقق التكامل الدقيق بين المنطقية واتجاه حركة التاريخ، عاملين ثنائيين الذي شهد مع ميكيلي أماري، وليوني كايتاني تغلب المكون الثاني على الأول.

تلميذ كايتاني النجيب أخذ عنه أهمية الأخذ شخصيًا عن النص، وتهميش أي نموذج تمت كتابته من دون مرونة، وفي الوقت نفسه التخلص من الإيجابية الساذجة، التي ترى إمكانية الوصول إلى حقيقة التاريخ الذي يسير بالعكس دائمًا نحو التكوين





لقطتان من داخل معرض الصور الذي صاحب الندوة

كان التعمق التاريخي معه ثمرة لا تنفصل عن حبه للتراث الأدبي الغربي، وكان العبء الذي يقوم به، حسب ما كان يعتقده، أكثر ما يمكن أن يكرس به نفسه إلى البحث العلمي الأمين، واستخدام النتائج للوصول إلى الحاضر من خلال رؤية يمكن بها عبر معرفة الماضي فهم الحاضر. على العكس من كايتاني تقبل ليفي ديلا فيدا دور البطل القادر على أن يؤثر في مجرى الحوادث التاريخية، ولو بطريقة استثنائية، كتب ديلا فيدا: «نعم على مر التاريخ، كان هناك عوامل رئيسة، ولكن تلك العوامل لم تتصرف بآلية عمياء، وانتهوا بنهايات مختلفة حسب ما تفاعل معهم الإنسان، سواء كشخص مفرد أو مجتمع، وحسب ما استفاد منها أو أفاد بها».

من الآلية العقلية لكايتاني، والبلجيكي هنري لامنس، انتقد جورجو ديلا فيدا (في ظل الاحترام الفكري الذي يدين به التلميذ لأستاذه من الأجيال السابقة) النظرة التجريدية التعميمية، والفكرة التي كانت تعبر عنها في مواجهة الحداثة، الذي دخل في نقاش حاد مع رجال الدين المسيحي، الكاثوليك وغير الكاثوليك.

في عام ١٩٥٥م كتب: «الإنسان هو حيوان يعتقد في الدين كما هو حيوان يفكر بالمنطق، ونشاطه الفكري لا ينجح أبدًا في التغلب على غريزته في التملك عن طريق عقيدة غير معقولة أو نشاطه الفكري مؤكدة وموزعة»؟.

رؤية تتجاوز وبمراحل كثيرة الرؤية الإيجابية لفكرة الانفصال بين التاريخ الاجتماعي والتاريخ الديني من دون الوقوع في التعميم الفلسفي، الذي كان يعتقد به في المرحلة الأولى من حياته»، والتي قال عنها فيما بعد: «إنها نوع من أخطاء الشباب التي يتم تصحيحها» مع «تقدم العمر»، والتي تظهر في انتقاده الحاد والصريح لبنديتو كروتشي، الذي كان له رد فعل هادئ للتصادم، رغم فلسفيته، مع النظام الفاشي، ولهذا تم العفو عنه أمام محكمة موسوليني، التي لم تر في الأمر ما يستوجب العقاب.

يتذكر ليفي ديلا فيدا من خلال الأساتذة الجامعيين الاثني عشر «يا له من رقم قدري» الذين بمجرد رفضهم أداء القسم للإخلاص ليس للملك، ثم

للوطن. ولكن للنظام الفاشي، تعرضوا أخيرًا للاستبعاد من المنصب مع وقف المرتب.

من اجل هذا يستحق ليفي ديلا فيدا الوصف بأنه تلميذ أمين لكايتاني، ومصدر للاسترشاد به من قبل الأجيال اللاحقة والباحثين المعاصرين له، واخذ هو عن أستاذه مشروع التاريخ الإسلامي، متتبعًا بالمسطرة (ولكن ليس بالمنهج أو الأيدولوجية) هنري لامنس.

إذا كان كتاب «سنوات الإسلام» ينتهي بمقتل الخليفة الرابع، وإذا كان الباحث البلجيكي قد توقف عند شخصية زياد بن معاوية، فإن ديلا فيدا قد اهتم بمصدر لم يتم الالتفات إليه كثيرًا أو غير واضح حتى اليوم: تلك الإسهامات الرئيسة، التي قام بها كايتاني وليفي ديلا فيدا، لفهم ظاهرة الإسلام. لم يكونوا مدفوعين من إرادة ولكن من رغبة في تتبع

يستحق ليفي ديلا فيدا الوصف بأنه تلميذ أمين لكايتاني. ومصدر للاسترشاد به من قبل الأجيال اللاحقة والباحثين المعاصرين له. وأخذ هو عن أستاذه مشروع التاريخ الإسلامي. متتبعًا بالمسطرة (ولكن ليس بالمنهج أو الأيدولوجية) هنري لامنس

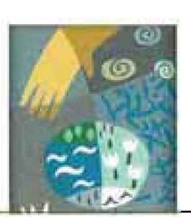
الفضيلة والمعرفة، كما يقول دانتي أليجييري في الكوميديا الإلهية. كلاهما يستند إلى التسامح، وإلى المقدرة (إذا سمحت الضغوط الجارية) أن ينشر السلام في المستقبل، وأن يدفع التنمية البشرية والأخلاقية للشعوب.



المتحدثون في الندوة على المنصة

المحاضر في سطور

- (ولد في روما عام ١٩٤٥م)، أستاذ بكرسي للتاريخ الإسلامي في الشرق الأدنى في الجامعة الإيطالية للدراسات الشرقية في نابولي.
- تتعلق أعماله بالتراث الإسلامي الكلاسيكي (القديم) من وجهة نظر تاريخية تنشرها دور نشر إيطالية رئيسة، وكذلك دور نشر فرنسية وألمانية وإسبانية.
- في عام ٢٠٠٤م نشر كتاباً عن «تاريخ العالم العربي الإسلامي منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى سقوط الدولة المملوكية»، وفي عام ٢٠٠٦م ستتم طباعة كتاب «تاريخ مصر الإسلامية» من قبل دار نشر جاكا بوك في ميلان.
- يشغل منصب رئيس تحرير دورية إيطالية رائدة عن العالم الإسلامي المعاصر باسم «الشرق الحديث» صدرت عام ١٩٢١م من قبل معهد الدراسات الشرقية في روما.





مخطوطات عربية في بعض المكتبات الإيطالية

فالنتينا ساغاريا روسي

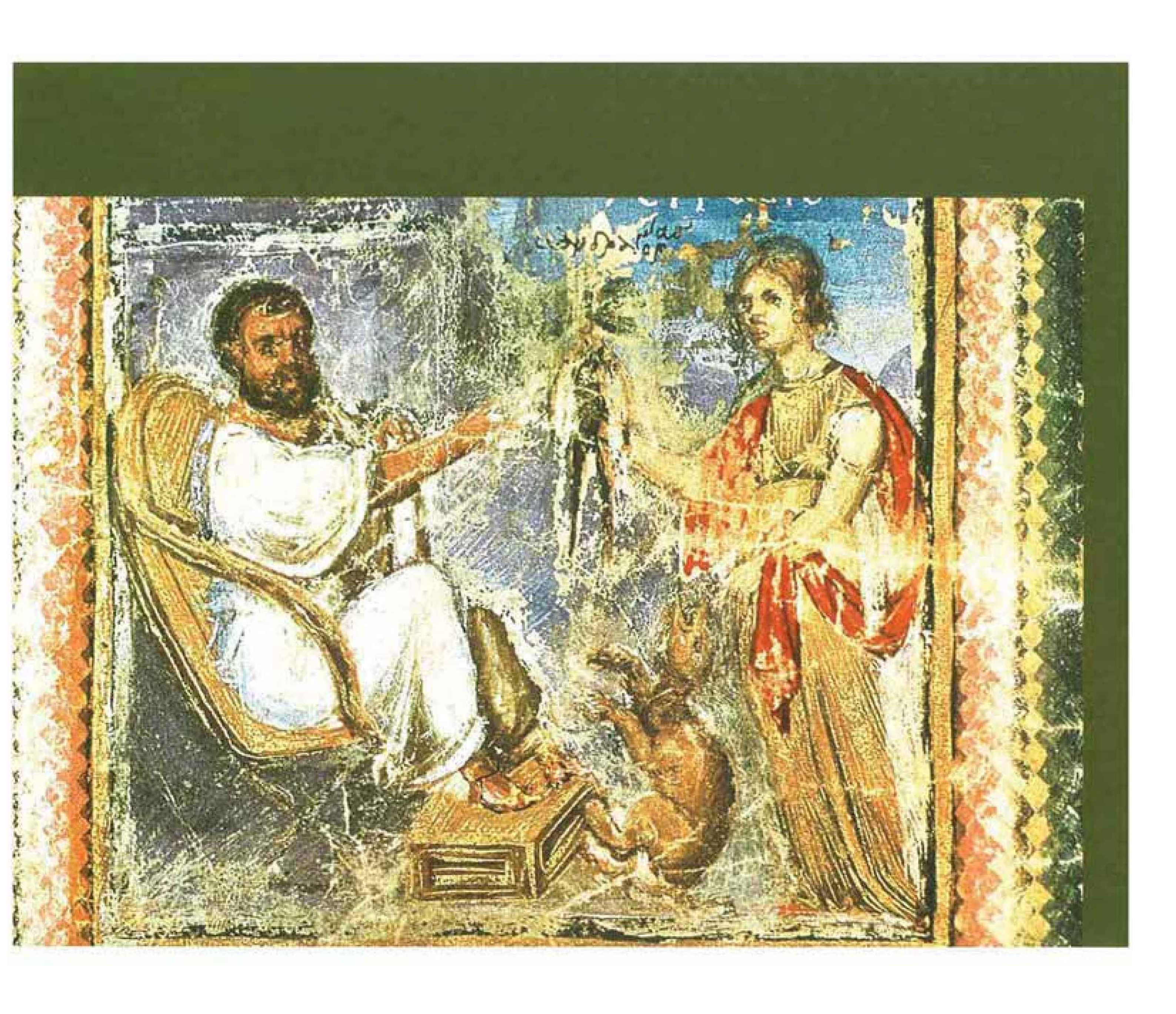
روما – إيطاليا

ترجمة: نعيم الغول

لقد نما حجم المقتنيات من المخطوطات العربية في إيطاليا في القرنين الخامس عشر والسابع عشر من العهد النصراني. كما أصبحت نصوص علمية وأدبية باللغة العربية، وفي ما بعد باللغتين الفارسية والتركية، موضع اهتمام خاص من جانب البلدان الأوروبية بدءًا من إيطاليا.

بدأ النبلاء والملوك باقتناء المخطوطات أو أي مواد توثيقية أخرى كشاهد على الثقافات الألفية الملائمة الأخرى؛ وذلك من خلال السفر والرحلات الاستكشافية والبعثات. وفي الفترة من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر أخذت بلدان مثل هولندا، وفرنسا، وبريطانيا العظمى، وألمانيا، والنمسا بإقامة أسس لتنظيم دراسات، وجمع مقتنيات من نصوص شرقية مكتوبة باليد.

هناك جزء كبير من التراث الأدبي الضخم باللغة العربية محفوظ في المكتبات الإيطالية، ولا يتسع المجال هنا لإيجاز تواريخ هذه المقتنيات ومقتنيها. وسأورد، على سبيل المثال، بعض الأعداد، مع الإشارة فقط إلى المخطوطات العربية الإسلامية، وليس إلى المخطوطات العربية النصرانية، ففي القرن الأخير تم استطلاع بسيط



لتحديد العدد الدقيق للمخطوطات العربية في المكتبات والمعاهد الإيطالية. ففي عام ١٩٣٥م قام يوسف جبرائيل Giuseppe Gabrieli والد فرانسيسكوس Francesco أبرز العلماء المستعربين بنشر أول محاولة لإجراء دراسة إحصائية عن المخطوطات والمقتنيات في المكتبات والأرشيفات الإيطالية. وفي عام ١٩٧١م قام ريناتوس تريني Renato Traini ، ذلك المستعرب والفيلسوف البارز، (مع أوسكار لوفجرين) ، مؤلف فهارس مهمة للمخطوطات العربية في مكتبة أمبروسيانا Ambrosiana في ميلان ، بوضع خلاصة دقيقة للمقتنيات الإيطالية من المخطوطات العربية مع قائمة بالمعاهد التي تحتفظ بتلك المواد في أرشيفاتها، بالإضافة إلى عدد تلك المخطوطات التي تنتشر في كل أنحاء شبه الجزيرة الإيطالية. لقد ورد ذكر سبعة آلاف مخطوطة تقريبًا تمتلك ٧٠٪ منها مكتبتان رئيستان، هما مكتبة الفاتيكان، ومكتبة أمبروسيانا. أما العدد الكلي الدقيق لهذه المخطوطات فلم يتحدد بعد. وخلال السنوات الأخيرة قام علماء إيطاليون آخرون قبل ميخائيل بيومنتيز Michele Piemontese، وباولا أورساتي Paola Orsatti بتركيز

بحوثهما في أول اهتمام إيطالي باللغة العربية، واللغات الشرقية في العصور المتوسطة، وعصر النهضة، بالإضافة إلى بعض جوانب المخطوطات الإسلامية.

وفي أسلوب مختلف لم يسبق اتباعه من قبل خُصص معظمه لمحتويات هذه النصوص من خلال تاريخها وسياقها الخاص بها.

وسأتناول هنا بإيجاز النصوص المكتوبة باليد في سياقها الخاص بها. تُعد المخطوطات العربية أدوات نصوص في المقام الأول، وكثير منها مخطوطات معروفة جيدًا، ومخطوطات أخرى أقل شهرة، بل قد تكون غير معروفة أبدًا، ولكن في جميع الأحوال فمن المهم جدًا العودة إلى أعرافها وتواريخها. قد يكون الرأي العام حول بعض المخطوطات العربية المحفوظة في بعض المكتبات الإيطالية، مثل مقتنيات أحد النبلاء، والمكتبة الملكية، والمقتنيات الكنسية، ومجموعة صغيرة في الجمعية الجغرافية الإيطالية قد تكون رمزًا للاهتمام الإيطالي العظيم بالتاريخ والثقافة العربية وقد حُرِّرَ كثير منها سواء كان حديثًا أو سابقًا، ولكن قيمتها وجدارتها لا تزالان حيتين في الأذهان، وهي تقدم لنا دائمًا شيئًا جديدًا كمنتجات ثقافية فريدة بنصوصها وصناعتها اليدوية.

توجد في المكتبة الأكاديمية في كورسينيانا مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية والفارسية مهداة من الأمير لاون قيطاني Leone Gaetani - أحد أكثر الإيطاليين المعنيين بالشؤون الإسلامية في القرن الأخير.

يوجد ١٥٧ مخطوطة، منها ٨٥ من مقتنيات قيطاني، والمخطوطات الأخرى جاءت من ميراث شخصيات ومقتنيات أخرى. وفي العقد الأول من القرن العشرين أهدى الأمير لاون مكتبته الخاصة - المتخصصة في المصادر العربية الإسلامية - إلى أكاديمية لينسي، كما أنشأ عام ١٩٢٤م مؤسسة تحمل اسمه مخصصة للدراسات الإسلامية، وكانت تلك المؤسسة هي المعهد الأول الذي أنشئ بشكل صحيح للارتقاء بالثقافة الإسلامية في إيطاليا.

لم تُدرس الأهمية الثقافية للمخطوطات العربية من بين المقتنيات الإيطالية، ولم تُدرس أنواعها الأدبية والثقافية المختلفة، كما لم يتم تعقب أصلها ومنشئها من بين قدر كبير من الوثائق التي كُتبت باللغة العربية ومحفوظة في المعاهد الإيطالية

الوافي بالوفيات

إن أحد أشهر الأعمال في مجموعة قيطاني هي المحفوظة تحت رقم ٥، وهي نسخة من بعض أجزاء، «الوافي بالوفيات» ذلك العمل السِّيَري المشهور لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٦٩٦ - ٧٦٤هـ/ ١٢١٦ - ١٣٨٣م). وقد اشتراها لاون قيطاني في عام ١٩٠٨م خلال آخر زيارة له إلى مصر، وسورية، وفلسطين. وقد يعود تاريخ تلك المخطوطة إلى نهاية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وقد أجرى يوسف جبرائيل - المستعرب والموظف

توجد في المكتبة الملكية في تورين مجموعة صغيرة مكونة من ٥٤ مخطوطة عربية قام بفهرستها سيرجيوس نوجا Sergio noja في عام ١٩٨٤م. وقد اقتناها من عام ١٨٤٠ـ ١٨٦٠ البارون رومالدوس تيكوس القنصل الإيطالي في القسطنطينية



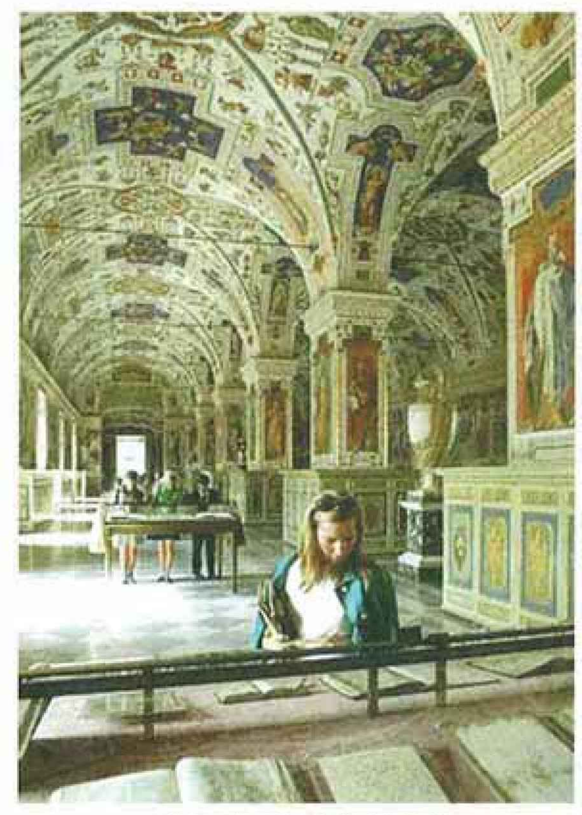
الدكتورة فالنتينا متحدثة في الندوة

في مكتبة أكاديمية دي لينسي. دراسة على نسخ ونصوص مختلفة من هذا العمل (في تونس، ولندن، وباريس، وفيينا، ومدريد، وليبزغ، ولايدن، وجوتا). لا يوجد عنوان للنص على هذه النسخة، وهي ملأى بالفجوات والمبتورات. إن أجزاء هذا العمل الواسع يبدأ مع نهاية محمد بن عبدالرحمن بن محمد القوصي وإلى بداية سيرة حياة محمد بن يعقوب بن علي تميم الأشعري. وبدءًا من صفحة ٣٣٤ نجد مسلسل «العُبَيْد» ومن صفحة ٣٤٩ «العثمان» ويحتوي المجلد بكامله على أكثر من ٨٨٠ مدخلاً سيَرِيًا، ومن صفحة ٣٣٣ ـ ٥٥٧ تعد هذه النسخة فريدة في ما يتعلق بعدد ٣٣٣ مدخلاً.

نور العيون

هناك مخطوطة مثيرة للاهتمام جدًا وهي المحفوظة تحت رقم ٤٧، التي تحتوي على كتاب «نور العيون وجامع الفنون» للطبيب يحيى بن أبي رجاء أبي زكريا (المتوفى سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م»، ويعود تاريخ هذ المخطوطة إلى القرن ٩ هـ/ ١٥م، وهي نسخة واضحة وصحيحة رغم البتر الموجود في بعض صفحاتها الأخيرة، والنص هو نص أصلي، كما انها مقالة نادرة في طب العيون، وهي دراسة حول نظرية البصر، وأمراض العين وعلاجها وشفائها. والنسخة ملأى بالرسومات، والأشكال الهندسية، وأدوات جراحة العين، وفي

بداية المقالة الثانية توجد صور لمقاطع مكبَّرة للعين بألوان حمراء وصفراء وبرتقالية، ولمقاطع ربع العين بأسماء عناصرها المفردة. وفي الصفحة ٢ أ نجد اسم الطبيب شيخ مصطفى الإخلاصي، الذي كتب هذه النسخة له. وهذه المقالة العلمية مبنية على أعمال ديوسكوريديز Dioscuridies، وجالينوس، والرازي، وابن سينا، وابن زهر، بالإضافة إلى خبرة المؤلف نفسه وتجربته. وفي عام ١٩٨٧م قام بنشرها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بعد أن قام بتحريرها محمد ظافر الوفائي، ومحمد روأس قلعجي، وكذلك في عام ١٩٨٧م أشار جريجور شولر Gregor Schoel-er إلى شخصية المؤلف الحقيقي كما نرى في الصفحة ٤ ب، وليس صلاح الدين بن يوسف الكحال الحرماوي، كما ذكر بروكلمان وجبرائيل، أما النسخ الأخرى من هذا العمل في باريس وغوتا (غوطة)، والحميدية Hamidiye فقد حُررت في وقت لاحق، وهي مملوءة بالفجوات. أما نسخة فيطاني مع الدرع المرسوم في الجزء الداخلي للغلاف، فهي نسخة مصقولة وجديرة بكل تقدير.



قاعة المخطوطات العربية في متحف إيطالي



٥٤ مخطوطة عربية

توجد في المكتبة الملكية في تورين مجموعة صغيرة مكونة من ٥٤ مخطوطة عربية قام بفهرستها سيرجيوس نوجا Sergio noja في عام ١٩٨٤م. وقد اقتناها من عام ١٨٤٠ـ ١٨٦٠ البارون رومالدوس تيكوس القنصل الإيطالي في القسطنطينية. ومن بين تلك النصوص المخطوطة تحت رقم ٦٨ وهي نسخة كاملة مما يعدّ أمرًا فريدًا لكتاب «الزهرة في الأدب» لأبي بكر محمد بن داود الظاهري الأصفهاني المتوفى سنة ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م، وهي مجموعة شعرية. وفي علم فقه اللغة نُشر جزؤها الثاني في نابلي نشره المستعرب ميخائيل فالاروس Michele Vallaro في عام ١٩٨٥م. أما النسخة الثانية المعروفة من ذلك العمل، والمحفوظة في دار الكتب المصرية التي نشرها نيكل Nykl عام ١٩٣٢م فيبدو أنها نسخة غير كاملة، وهي غير مؤرخة، ولكن يبدو أنها كُتبت في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر الميلادي، ويوجد في الجانب الداخلي للغلاف درع مع شعار الملك كارلوس ألبيرتو سافويا كاريجنانوس The King Carlos Albert Osavoia Carignaos. وفي المخطوطة المحفوظة تحت رقم ١٢٢ التي كتبها إبراهيم كاراماه (كاراماح) Kara-mah الترجمان في إستانبول ورد فيها قصيدة مهداة إلى الملك فيتوريوس عمانويل Vitorio Emanuele، الذي تولى الملك من عام ١٨٤٩ ـ ١٨٧٨م والصفحة الأولى مزخرفة

إحدى المخطوطات القديمة التي ضمها المعرض

بخيوط ذهبية في الجزء العلوي، وبحليات وردية صغيرة في الدائرة الموجودة أسفل الجزء العلوي. وفي العمود الخارجي للصفحة الثانية يوجد اسم الملك «فيكتور عمانويل»، ودليل وثاقة الصلة هنا موجود في الإهداء الملكي لملك إيطالي.

وهناك مخطوطة قرآن أنيقة ورائعة يعود تاريخها إلى القرن ١١ هـ/ ١٧م في المكتبة الملكية للملك كارلوس ألبيرتو سافويا تحت رقم ١٢٩، وهي مخطوطة ذات أضلاع ثمانية صغيرة الحجم موضوعة في علبة رصاصية مزخرفة ملفوفة بقماش حريري أحمر وذهبي أصفر، والعلبة نفسها موضوعة في مغلف مطرز بالذهب يدويًا تحتوي على مجموعة نفيسة من المخطوطات والكتب التي كانت بحوزة الكاردينال جيرو لاموس كاسينيت Gerolamo Casanate - رجل الدين المولع بالكتب - الذي عاش في القرن ١١هـ/ ١٧م. تحتوي على عدد ٤٥ مخطوطة عربية إسلامية قام بتصنيفها لويجي بونيللي Luigi Bonelli في عام ١٨٩٢م، ويشهد على جمال ذوقه إحدى النسخ الكثيرة للبردة تحت رقم ٢٣٣٧ في المكتبة الكاساناتية التي أخذت اسمها من اسم مؤسسها، وهذه النسخة هي مخطوطة رائعة مكونة من ٢٨ صفحة متعددة الألوان، وفي صفحتها الأولى قصيدة معنونة باسم «القصيدة المباركة» يليها اسم السلطان الملك الناصر زين الدين أبي سعدات فراج سلطان مصر المملوكي الذي توفي سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م.

وكانت قد أهديت له هذه القصيدة، وقد ذكر مكان الإهداء وتاريخه في شهر رمضان سنة ٨١٠هـ/١٤٠٨م، وقد قال ناسخ هذه النسخة محمد بن عماد إسماعيل بن يوسف بن عثمان الجلبي الشافعي وفقًا لما ورد في الصفحة الأخيرة: إنه نسخ هذه القصيدة أكثر من ٤٦٠ مرة، وقد قضى عشر سنوات في القدس وثلاثًا في المدينة وأكثر من اثنتي عشرة سنة في مكة التي كتب فيها هذه القصيدة. أما التخميس فهي بعلم محمد بن منصور بن عبادة وفقًا لما ورد في فهرسة المخطوطات العربية التي قام بها أهلواردت Ahl-wardt في برلين.

وهناك أقلام مختلفة كثيرة تدعو إلى الإعجاب بهذه النسخة الرائعة. وقد كُتبت أبيات شعر قصيدة البردة بخط الثلث الريحاني الأسود Thulth Rihani بأحجام كبيرة، ونسخت بأسلوب فني مُغيَّم ومُذهَّب، وكل بيت مسبوق بثلاثة أسطر: اثنين منها بالأسود، والأوسط بالأحمر. أما في الحواشي الخارجية فيوجد بعض الابتهالات الدينية.

كما أن هناك مخطوطة من تسع وأربعين ورقة في مكتبة كاساناتينس تحت رقم ٢٢١٧ بعنوان «رسالة مفيدة» لم تحدد

هويتها بالضبط من قبل بونيللي Bonelli. إنها مقالة صغيرة تتعلق بالهندسة، والمؤلف هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن علي بن السراج القلانيصي (في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، وذلك وفقًا لـ ستيفانوس إيفوديوس السمعاني Stephanus Evodius al- Sam'ani . ذلك الأسقف الماروني في سورية، رئيس مكتبة الفاتيكان في عام ١٧٦٨م، ومؤلف كثير من المطبوعات عن دراسات باللغة السريانية ولغات شرقية أخرى. وقد يعود تاريخ هذه المخطوطات إلى القرن ١٠هـ/ ١٦م، كما أشار السمعاني في الجانب الخلفي للغلاف إلى أنه لا يعرف نسخة ثانية من هذا النص، ولكن لم تجر أي بحوث أخرى عنها.

هذا العمل مقسم إلى خمسة عشر فصلاً بالحبر الأحمر، ويبدو انه عمل كامل، ولكنه غير مؤرخ. يوجد كثير من الرسومات والأشكال الهندسية في هذا النص، وينتهي بجداول تفاضل وتكامل أنصاف أقطار دوائر. توجد اثنتا عشرة مخطوطة في مكتبة الجمعية الجغرافية الإيطالية جلبتها البعثة الإيطالية من منطقة جالا في أريتريا في القرن ١٩م، وهذه المخطوطات ورد ذكرها في بضع كلمات في جرد قديم أشارت إليه تلك الجمعية. وقد وُجد من بين نصوص قرآنية، وابتهالات دينية، ونصوص أخرى نسخة جيدة ودقيقة من «روضة الطالبين وعمدة المفتين» لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الدمشقي، ذلك الفقيه الشافعي المشهور المتوفى سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م.

ومع ذلك فإنه لم يتم تحليل هذه النسخة وفحصها؛ لأنه لم يرد ذكرها حتى الآن في أي قائمة أو فهرس. يشتمل النص على ما يزيد على ٤٠٠ ورقة غير معنونة، وتحتوي على الثلث الثاني من ذلك العمل، وبالضبط من بداية الجزء الرابع تقريبًا حتى الجزء الثامن. وقد أُجري عليها كثير من الإضافات والنهايات مع الإشارة إلى الناسخ، والتاريخ ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م، ثم الثلث الثاني من «روضة الطالبين وعمدة المفتين» تعليقًا ومقابلة على الأصل المنسوخ منه، وهي نسخة الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن إسماعيل بن محمد بن علوان، تغمده الله برحمته. وكان ذلك نهار الجمعة السابع والعشرين من شهر شعبان الكريم من شهور سنة ثلاث وعشرين وثمانمئة، بخط مالكها الفقير إلى عفو ربه أبي بكر بن محمد بن ابي بكر الصاحب. إنني الآن بصدد إعداد فهرس بهذه المخطوطات، ولا يسعني إلا ان أتقدم بالشكر للمساعدة التي قدمها لي البروفيسور محمد السليمان من جامعة جدة.

المحاضرة في سطور

فالنتينا ساغاريا روسي

- تحمل دكتوراه في اللغات السامية (فقه اللغة العربية)، قامت بتحرير مجموعة الأمثال العربية القديمة وترجمتها ودراسة لها للكاتب ابي الشيخ الأصبهاني (قسم ٤/ ١٠) المطبوع عام ٢٠٠٢م.

- منذ عام ١٩٩٣م أصبحت مديرة قسم المقتنيات الشرقية في المكتبة الأكاديمية الوطنية في روما. وهي مختصة بدراسات فقه اللغة العربية.

- لها مقالات حول تاريخ المعاهد الثقافية في العصر القديم، وفهرسة المخطوطات العربية في إيطاليا. وعن

توجد في المكتبة الأكاديمية في كورسينيانا مجموعة نفيسة من المخطوطات العربية والفارسية مهداة من الأمير لاون قيطاني Guetani أحد أكثر الإيطاليين المعنيين بالشؤون الإسلامية في القرن الأخير



جانب من حضور الندوة

مكتبة المقتنيات الشرقية العائدة إلى الأمير ليون كاتاني؛ ذلك العالم البارز في العلوم الإسلامية.

- قامت بتدريس اللغة العربية من عام ٢٠٠١ إلى عام ٢٠٠٢م في جامعة بيزا. وفي عام ٢٠٠٤م قامت بعقد مؤتمرات عن القوانين والمبادئ الإسلامية. وفي عام ٢٠٠٥م قامت بتنظيم مؤتمر حول مشروعات وبحوث تتعلق بالمخطوطات الإسلامية.

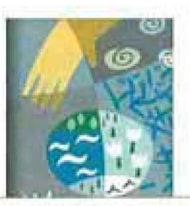
- في عام ٢٠٠٤م قامت بالتعاون مع باولا جيوني بنشر أكثر من ثلاثة عشر ألف وثيقة من أرشيف ليون كاتاني الخاص، وكتبت في الصحافة دراسات عن رحلات ليون كاتاني في مصر والصحراء.

ضمن نشاطه الثقافي لهذا العام، أقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالتعاون مع سفارة إيطاليا لدى المملكة، ندوة بعنوان: «إيطاليا والثقافة العربية» في يوم الإثنين ٢٣ صفر سنة ١٤٢٧هـ الموافق (١٣ مارس/آذار عام ٢٠٠٦م)، بحضور سعادة سفير إيطاليا بالمملكة العربية السعودية، واشتملت الندوة على أربعة محاور هي:

- الطباعة العربية في إيطاليا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين للدكتور يحيى محمود بن جنيد.
- مخطوطات عربية في بعض المكتبات الإيطالية للدكتورة فالنتينا ساغاريا روسي.
- ليوني كايتاني وجورجو ليفي ديلا فيدا، للدكتور كلاوديو لوياكونو.
- رحلة ابن قلاقس الإسكندري إلى صقلية في العهد النورماندي، للدكتور عبد العزيز المانع.

وصاحب الندوة معرض للصور.

وهاتان المحاضرتان هما مما ورد في الندوة.





التنين الوحش ذو الرؤوس



سمير عطا

القاهرة ـ مصر

التنين ... هو الاسم الذي يطلق على أكثر المخلوقات أسطورية في معظم ملاحم العالم القديم والوسيط والحديث وأدبه وتاريخه وفولكلوره على حد سواء. وهو ذلك الحيوان الهائل الجثة الذي يشبه جسمه جسم ثعبان ورل هائل. وله رؤوس متعددة تخرج النار من أفواهها جميعًا، فتحرق الإنسان والحيوان والنبات. وقد تضمن كثير من خرائط العالم القديم تحديدًا لمواطن التنين. سواء على سطح الأرض أو في الكهوف أو باطن الأرض أو داخل البراكين.

ومن مكمنه يمكن أن ينفث ناره الحارقة، وليست تلك النيران التي تنفثها البراكين إلا أنفاس التنين، بل إن الصخور المنصهرة تخرج من أعماق هذا التنين وبطنه، وأنه .كما تشير إلى ذلك بعض أساطير الهند واليونان. يصب في حالة غضبه هذه النار والسحب الكثيفة، والدخان الخانق على كل من يحاول الاقتراب من الكهف الذي يعيش فيه داخل البركان. فما الذي يمكن أن يكون قد حدث لهذا الوحش المفزع الذي عرفناه طوال آلاف السنين الماضية؟ هل كان له وجود في الواقع أم لم يعد إلا أن يكون طفرات تخيلية رافقت الفكر البشري منذ أقدم العصور؟

لقد كان لهذا التنين سمة مميزة دائمًا، فهو حارس الكنوز الدفينة داخل الكهوف. ولا سيما المختفية أو المظلمة، وفي قاع البحيرات والأنهار، بل وبين طيات السحب إلى أن يأتي فارس أو أمير أو قديس فيتغلب عليه بعد أن يطعنه في مقتل ويخلص الناس من شره وأذاه، أو يستخلص من ورائه الكنز الثمين الذي كان يقوم على حراسته، ويصبح الفارس أو القديس ثريًا، ويفوز بحبيبته التي غالبًا ما تكون ابنة ملك أو سلطان، كما



تقام له التماثيل اعترافًا بفضله وقوته، وتؤلف عنه الملاحم والأناشيد تمجيدًا لانتصاره على هذا الوحش.

ولم يكن التنين مجرد صورة فولكلورية فقط، بل قضية علمية أيضًا.. فحتى مئتي عام مضت فقط، كان علماء الأحياء، وما زالوا يصنفونه كحيوان له وجود بين غيره من الحيوانات المعروفة، بل ما زال بعضهم في زمننا هذا المعاصر يعتقدون بوجوده بصورة من صور القداسة أحيانًا، والخوف أحيانًا أخرى..

ففي نوفمبر عام ١٩٧٣م كان بعض المهندسين الحكوميين في «هونج كونج» يمهدون الأرض - بعربات البولدوزر - لإنشاء موقف للسيارات، ولم يكن أحد منهم يتوقع أي عقبات ما عدا احتمال وجود بعض الكتل الصخرية، وبعض الأشجار المتحجرة، وقد ظنوا أن موقف السيارات، الذي سيقام على قمة تل صغير على حدود قرية «لوك - ما - شاو» سوف يتيح الفرصة لعربات الأوتوبيس المملوءة بالسياح للانتظار والوقوف به للتطلع إلى داخل أرض الصين الأم، من خلال المنظار المقرب المقام هناك.. غير أن ما فشل الماسحون في التنبؤ به هو



طقوس شعبية كثيرة محورها التنين

وجود ساكن غير مرئي في الصخر.. ذلك هو تنين يعتقد أهالي القرية أنه يعيش هناك منذ عهد أسرة «سنج» Sung (٩٦٠ - ١٢٩٧م) حتى اليوم.

وكان كاهن القرية «مان - هنج - لاب» يتزعم هذا الاعتقاد، وقال إن عربات البولدوزر أيقظت التنين من نومه، فأخذ يصب انتقامه على سكان القرية.. وكان اول ضحية حفيد «مان» الذي اصيب بحمى غريبة، وبعد ايام قلائل أصيب بالمرض سبعة آخرون من أحفاده.. فقام «مان»، وقد ملأه الرعب، باستدعاء أحد قارئي الغيب المحليين، الذي سرعان ما قرر أن إحدى عربات البولدوزر قد قطعت أنف التنين، وانتقامًا لذلك صب التنين لعنته على أسرة «مان» - التي تؤلف كل سكان القرية - وسكان قرية أخرى مجاورة.. ولتجنب وقوع كارثة نصح المتنبئ بالكف عن إنشاء الموقف في الحال، فتوجه سكان القريتين بالرجاء إلى العمال بالكف عن عملهم حتى يخلد التنين إلى السكون، واستدعى عددًا من الكهان

كانت هذه الفكرة عن التنين، وبالصورة التي عرفها الشرق القديم، قد انتقلت إلى الإغريق والرومان، وكانت سببًا في خلق سلاسل من قصص الفزع في أساطير "حيات الجورجون" و"هيدرا" و"شيمارا"، وغيرها

«الطوائيين» (٢) لاستخراج روح التنين وإبعادها، وحذر من أن حمامًا من الدم سوف تشاهده المنطقة لو استمر العمال في عملهم، ولم يستجيبوا لرجاء أهل القريتين، وبالفعل توقف العمل اتقاءً لغضب التنين.

وقريب من ذلك ما يردده ـ حتى اليوم ـ بعض مواطني شعب «الهانزا» الإسماعيليين ـ وهم مسلمون ـ يعيشون وسط جبال الهملايا، أن تنينًا سجن بين الثلوج منذ ثلاثمئة عام قرب جبل «راكا ـ بوشي» في الطرف الغربي لسلسلة جبال «كيلاش» المتفرعة من جبال كراكوم «شمال الباكستان». ويعتقد هؤلاء السكان أن التنين يحاول دائمًا كل ربيع أن يحطم أغلاله، ويتخلص من سجنه بين الثلوج فيصاب الناس بالذعر، ويسرعون إلى إشعال النيران مع حلول الربيع في مهرجان خاص؛ وذلك لإخافة التنين وإجباره على التراجع وعدم محاولة الفكاك من أغلاله.

وفي أواخر عام ١٩٨٩م أذاعت وكالة الأنباء خبرًا، فحواه أن بعض علماء الآثار الصينيين عثروا على آثار وعاديات قديمة في مقبرة يرجع تاريخها إلى ستة آلاف عام مضت في منطقة تعرف باسم «كسيبو ـ إيبو» بمقاطعة «يو ـ يانج»، وتضم هذه الآثار هيكل رجل يحيطه من جانبيه تنين ونمر مصنوعان من قشور الصدف، ثم ثلاثة هياكل أخرى، ربما كانت لعبيد هذا السيد. وأرجع العلماء وجود التنين والنمر مظهرًا إلى قوة هذا السيد

لم يقتصر كتاب الإغريق والرومان على الحديث عن تنانين بلادهم فحسب، بل راحوا يصفونها في كتاباتهم، مثل: "بليموس" و"فيلو سترو غيوس" و"إيلانيوس" و"ديودور الصقلي" و"سيقفوروس" و"لوكانوس" وغيرهم.

الخوف من شرور التنين يدفع إلى الاحتفاء به

وسطوته. وأضاف النبأ أن هذا الاكتشاف يعد «حجر أساس لأسطورة التنين في الصين» منذ هذا التاريخ.

ويقوم التقويم الصيني على أساس تسمية كل سنة باسم حيوان من الحيوانات تقربًا إليه، أو خشية منه، كالقرد والكلب والقط والتنين، وعند الاحتفال بقدوم العام الجديد يجري عرض للتنين؛ وذلك بأن يرتدي بعض الأفراد زي التنين، ويطوفون به الشوارع، والنار تنفث من فمه، حتى يكون ذلك العام عامًا سعيدًا عليهم، ويمنع الشر عنهم.. كما يعتقد بعضهم أن التنين قادر على التحكم في السحب وإنزال المطر.

وما زالت دولة «بوتان BHUTAN» ـ على حدود الهند وسط جبال الهملايا ـ يحمل علمها صورة التنين، مثلما

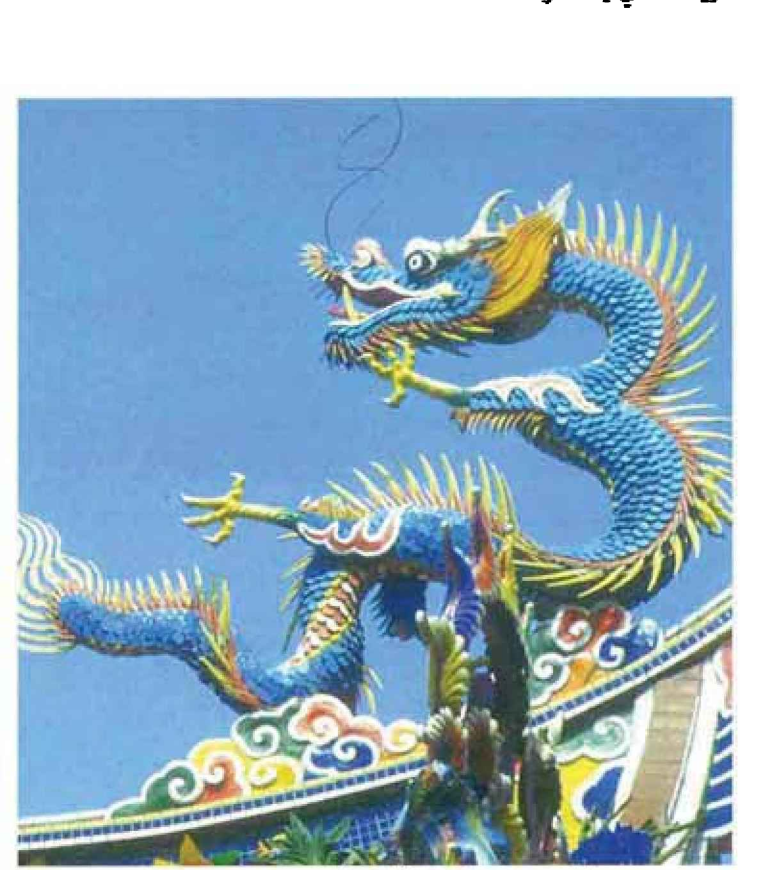
تفعل بعض الدول في أعلامها حين تحمل صورًا للصقر أو النسر أو الأسد، وهي حيوانات تشارك الإنسان حياته.

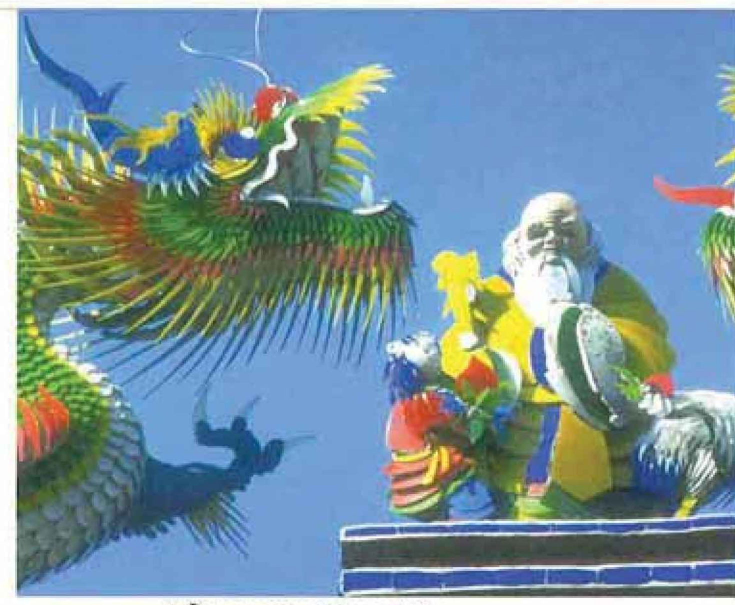
صورة التنين في الحضارات الشرقية القديمة

يقول الدكتور سليم حسن - عالم الآثار المصري - في كتابه عن «أبو الهول» إن التنين كان هو الصورة الأولى التي ظهر بها المارد المركب في آسيا فيما بعد (٣) وهو «أسد ذو رأس وجناحين لطائر من سباع الطير» وإن هذا المخلوق ظهر مصورًا على ختم أسطواني من «سوسا» (٤) يرجع تاريخها إلى عام ٣٠٠٠ ق.م. وربما اتفق هذا في التاريخ المصري مع الأسرة الثانية أو الثالثة، وهو لذلك أحدث بكثير من تنين لوح الأردواز من عصر ما قبل الأسرات.. والمعنى أن صورة التنين كانت تعرف في مصر حتى في عصر ما قبل الأسرات.. وكان «أبو فيس» في الديانة المصرية القديمة هو «الحية العظيمة لعالم الظلام التي قتلها (رع) (٥)». وقد سبقت قصة صراع «حورس» (٦) مع التنين مثيلاتها في العصر المسيحي «برسيه وسان ميشيل وسان جورج» (٧) بآلاف السنين.

وفي «خلقدونية» تشكلت الإلهة «تممات TIAMAT» في شكل تنين، وتطالعنا منذ بدء الخليقة - حسب أساطير التوراة - فكرة وجود وحش التنين الذي تسميه التوراة «لوياثان»، وهو تنين ذو رؤوس متعددة. وتقول أسطورة الخلق التوراتية: إن الرب بعد أن قضى على فوضى الماء أو الغمر البدائي، الذي كان أول موجودات الوجود، وكان محيطًا أزليًا مظلمًا مثلته التوراة في صورة وحش عظيم هو «لوياثان»، قام الرب بشقه نصفين، صنع منهما السماء والأرض.. وفي نص التوراة خطاب إلى الرب يقول: «أنت شققت البحر بقوتك، كسرت رؤوس التنانين على المياه، أنت رضضت رؤوس لوياثان، جعلته طعامًا لأهل البرية» (٩)، «استيقظي، البسي قوة يا ذراع الرب.. استيقظي كما في أيام القدم، كما في الأدوار القديمة.. ألست أنت القاطعة رهب الطاغية التنين» (١٠).. «في ذلك الوقت يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان، الحية الهاربة، لوياثان الحية الملتوية، ويقتل التنين الذي في البحر» (١١).

ومن النصوص التي وجدت في أنقاض مدينة «أوغاريت» الكنعانية القديمة (١٢) نص خاص بقضاء الإله على اليم أو الغمر أو البحر الأول ممثلاً في تنين، هو بالاسم ذاته: لوياثان.. وهذا الأمر يثير الدهشة لشدة التطابق بين ما جاء في التوراة والنص الكنعاني الأقدم تاريخًا الذي يستطرد قائلاً:


التنين من قصص الفزع إلى الجماليات


التنين صورة مقدسة لعدد من الآلهة

وفي الإصحاح الأول من سفر التكوين أن الرب خلق التنانين أول ما خلق على الأرض مع «كل ذوات الأنفس الحية الدبابة» (١٢).

وتخلص النظرة الشرقية القديمة إلى التنين باعتباره منبعًا للموت والخطيئة.. وبهذه الصفة أصبح التنين صورة مقدسة لعدد من الآلهة حين كانت القداسة ترتبط دائمًا بالخوف، ويقوم الإنسان بالعبادة زلفى لهذه الآلهة الأسطورية اتقاء لشرها.

في ذلك اليوم
يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياتان
ويضع نهاية للحية الملتوية الهاربة
.. شالياط.. ذات الرؤوس السبعة
ونص آخر يقول:
ألست أنت الذي أفنى التنين
وسحق الحية
ذات الرؤوس السبعة

الإغريق والرومان

وكانت هذه الفكرة عن التنين، وبالصورة التي عرفها الشرق القديم، قد انتقلت إلى الإغريق والرومان، وكانت سببًا في خلق سلاسل من قصص الفزع في أساطير «حيات الجورجون» و«هيدرا» و«شيمارا» وغيرها، ونرى «ديمتر» يبحث حول العالم عن ابنته التي تركب عربة تجرها التنانين، ونرى «تريبتوليم» يأتي بالقمح للرجال على عربة يجرها تنين ذو أجنحة، ونرى تنينًا آخر يحرس «التفاح الذهبي» في حديقة «هسبريدس»، ويقتله «هرقل»، وتحوله «جينو» إلى نجمة في السماء.. وعند «كلوخيس» نجد تنينًا يحرس «الفروة الذهبية»، ويقتله «جاسون»، ويستولي على هذه الفروة.

وجاء في آدابهم أن «الدراكونت» هي كائنات ذوات بصر حاد تسكن في باطن الأرض وتتكشف خبايا الكنوز، ثم تصبح حراسًا من الجن.. هذا إلى جانب حيات «أسكولابيوس» المقدسة، والتنانين المقدسة في معابد «بوناديا» بروما، أو التنانين الحارسة في معابد «دلفي» باليونان، وعندما تصادم «أبلون» مع حية «البيثون» قتلها «واستأصل عبادتها بحكمة سامية».

هكذا كانت فكرة الشر عن التنانين دافع التقديس والتزلف لها.. ومناصبتها العداء في آن واحد. ولم

صورة التنين كانت تعرف في مصر حتى في عصر ما قبل الأسرات.. وكان "أبو فيس" هو "الحية العظيمة لعالم الظلام التي قتلها (رع)". وقد سبقت قصة صراع "حورس" مع التنين مثيلاتها في العصر المسيحي "برسيه وسان ميشيل وسان جورج" بآلاف السنين





للتنين أشكال وألوان

يقتصر كتاب الإغريق والرومان على الحديث عن تنانين بلادهم فحسب، بل راحوا يفتشون عنها في بقاع العالم، ويصفونها في كتاباتهم. مثل: «بلينوس» و«فيلو سترو غيوس» و«إيلانيوس» و«ديودور الصقلي» و«نيقفوروس» و«لوكانوس» وغيرهم.

فبلينوس وفيلوسترو غيوس يصفان تنانين الحبشة بأن طول الواحد منها نحو عشرين ذراعًا (١٤)، وإيليانوس يؤكد أنه وجد ما طوله ثلاثون قدمًا (١٥)، كما يصف تنين الهند بقوله: إنه «واسع العينين كأنهما «ترسان مقدونيان»».. وقال مؤكدًا أن هذا التنين كان موجودًا أيام الإسكندر الأكبر، وأن الناس عبدوه، وأنه كان يسكن كهفًا يخرج منه رأسه فقط. ويذكر ديودور الصقلي طوله ثلاثون ذراعًا كان موجودًا أيام «بطليموس إفريجيتوس» (١٦).. كما يذكر نيقفوروس تنينًا آخر «ثقيل الجثة لا يجره إلا ستة عشر ثورًا وأن الناس أحرقوه لئلا يفسد الهواء بنتانته لغزارة ما يتولد من فساده من العقوبات في البلاد. ويصف إيليانوس التنين الذكر بأن له عرفًا ولحيةً، وفمًا واسعًا وأسنانًا قوية حادة، ويقول «دينيوس»: إن أسنانه تشبه أنياب الخنزير البري.. غير أن «سولينيوس» يخالف غيره في ذلك فيقول: إن التنين ليس له فم، إلا أن له فتحات أنبوبية لا يستعملها للعض، بل للتنفس وإخراج لسانه، وأما جسمه فمغطى بحراشيف، كفلوس السمك، وعلى رقبته عرف كالأسد». ويعود «بلينوس» إلى الإشارة إلى تنانين الحبشة فيقول: إنها دأبت على أن تقطع البحر أسرابًا من أربعة إلى خمسة، وتذهب إلى جزيرة العرب ورأسها مرفوع فوق الماء. وعند الحديث عن رحلاته إلى بلاد العرب يشير «هيرودوت» (١٧) إلى وجود نوع من الحيات الطائرة في بلاد العرب، ولو أنه لم يرها إلا أنه وصف مقبرة لها، قال عنها: رأيت عظامًا من السلاسل الفقرية والضلوع في أعداد لا تحصى وكلها لثعابين.. فأكوام الضلوع عديدة بعضها ضخم، وبعضها صغير، وبعضها الآخر متوسط الحجم، ويقع المكان الذي به تلك العظام عند مدخل واد صخري ضيق، وسط جبال شديدة الانحدار، تطل على سهل فسيح بسهل مصر العظيم.

ثم قال: إنه سمع أن هذه الحيات المجنحة تأتي في فصل الربيع طائرة من بلاد العرب متجهة شطر مصر

بيد أنها تلتقي في هذا الوادي بطائر يقال له «أبو منجل» (١٨)، يعترض طريقها وهي داخلة إلى الوادي.. ويؤكد العرب، كما يعترف المصريون بأنهم يقدسون «أبو منجل» من أجل الخدمة العظيمة.

ثم يقول هيرودوت: إن هذه الحيات المجنحة قد حيرت كثيرًا من الناس منذ عصر «باوسانيوس» إلى الوقت الحاضر (الوقت الذي عاش فيه هيرودوت)، ثم يصنف هيرودوت الثعبان الطائر بأنه يشبه ثعبان الماء، وأن أجنحته عديمة الريش وتشبه الخفاش.

هكذا كان التنين، ولعصور طويلة، تختلط صورته بصورة الحية الضخمة الشريرة، ومنذ القدم كان للحية «سمعة سيئة» باعتبارها رمزًا للشر.. وبدأت منذ أول الخليقة في جنة عدن، وهي التي تغلبت على «جلجامش» (١٩) في ملحمته القديمة التي تقول: إن الإنسان المؤله «أوتنا بشتيم» أفشى للبطل جلجامش سر نبات يعطيه كما يعطي غيره من البشر ميزة الخلود الدائم، غير أن حية استطاعت أن تسرق من هذا النبات كمه، ومن ثم تمتعت هي بميزة الخلود. وحكم على البشر بالفناء.. وربما جاءت فكرة خلود الحية من كونها ذات قدرة على تغيير جلدها، وكأنها تنفض بين الحين والآخر عوادي الزمن، وهذا الأمر تصور معه إنسان العصر القديم أنها مراحل جديدة في حياة الحية.

وقد كان العرب قديمًا يعتقدون أن الحية لا تموت إلا إذا قتلت، أي لا تكون ميتة طبيعية، فهي تكبر، ثم تصغر، وتعود لتكبر، وتصغر إلى أبد الآبدين ما لم يقتلها إنسان، وفي ذلك يقول الشاعر:

أما لك عمر إنما أنت حية

متى هي لم تقتل تعش آخر الدهر

ومنذ القرن الأول الميلادي أشار عالم الأحياء الروماني «بليني PLINY» إلى أن التنين هو حية ماردة أصلها من الهند. وقال: إن تنين الهند له جسم ضخم، حتى إنه يمكن أن يبتلع فيلا بعد أن يلف نفسه حول الفيل، ويهصر جسده، وإن كان هذا الصراع كثيرًا ما كان ينتهي بهلاك الاثنين، فما يكاد الفيل يترنح، ويسقط على الأرض فاقد الحياة حتى يسحق بوزنه الثقيل الهائل التنين الملتف حوله. وربما كان «بليني» يشير إلى الأصلة الهندية المسماة «بيثون» التي يبلغ طولها ثلاثين قدمًا. والتي قيل: إنها أطول حية في العالم مع أن هذه الحية لا يمكن أن تبتلع فيلا وإن كان من الممكن أن تلتف بجسدها حول فريستها، وتقضي عليها.

وفي الميثولوجيا «التيوتونية» (٢٠) نجد القصة الشهيرة عن البطل «سيجفريد SIEFRED» (سيجورد Sigurd عند الإسكندنافيين) وهو يقتل التنين «فارنير Farnir»، وعلى إحدى الصخور نرى رسمًا لفارنير في شكل ثعبان هائل.

ومع توالي العصور تحولت الصورة تدريجيًا لتضيف إلى ذلك الثعبان الهائل أقدامًا وأجنحة وقدرة على التنفس وإخراج النار من فمه، وسكنى الكهوف والمغارات وباطن الأرض، وظلت هذه الصورة سائدة لدى الأوربيين فالكلمة الألمانية للتنين هي «ليند فورم Lindwurm» التي تعني «الدودة - الحية»، والكلمة الأنجلو سكسونية القديمة «ويرم Wyrm» تعني تنينًا كما تعني ثعبان ودودة أيضًا.

يقول الدكتور سليم حسن - عالم الآثار المصري - في كتابه عن "أبو الهول": إن التنين كان هو الصورة الأولى التي ظهر بها المارد المركب في آسيا فيما بعد وهو "أسد ذو رأس وجناحين لطائر من سباع الطير" وإن هذا المخلوق ظهر مصورًا على ختم أسطواني من "سوسا"

وفي ملحمة «بيولف Beowlf» (٣١) نجد البطل يقاتل وحشًا يسمى Worm، وتترجم هذه الكلمة بلفظ Dragon أي تنين.. وفي إيرلندا عرف التنين بأنه «الدودة المرعبة».

وعندما أغار «الفايكنج Vikings» (٣٢) على إنجلترا، وصف الإنجليز معاركهم معهم بأنهم رأوا «زوابع وبروق هائلة، كما شاهدوا تنانين تطير في الهواء» وحقيقة ما رأوه رسوم للتنين على أعلام وبيارق الفايكنج، وسهامهم الحارقة التي كانت تشعل النار في الأكواخ.

ومع ذلك فلم تكن صورة التنين واحدة عند من كتب عنه، أو أرخ له.. فالتنين الخالقدوني «تممات Tiamat» له أربع أرجل وجسم انسيابي وأجنحة، أما تنين «أبو كاليبس - الحية القديمة» فلها عدة رؤوس مثل «هيدرا» اليونانية. والتنين الذي ذبحه «بيولف» هو «ثعبان أو دودة هائلة إذ إنها تنساب مثل القوس».. وكان التنين الذي رآه والد الملك الإنجليزي «آرثر» في أحلامه - طبقًا لما رواه الشاعر مالوري - كان مجنحًا «إذ إنه انحدر من السماء».

في المسيحية

هكذا تأثر الفكر المسيحي بتراث الأقدمين، والصورة التي ظهر بها التنين، سواء في الحضارات الشرقية القديمة، أو في «الكتاب المقدس»، أو الملاحم الإغريقية والرومانية.. وظهر هذا التأثير في مبدئه بما ساد الفكر «الكلتي» (٣٣) و«التيوتوني» عامة عن التنين بصوره المختلفة.. وبداية فقد قرنه القديس «أوغسطين» بالشيطان حين قال: إن الشيطان هو أسد وتنين.. كما انتقلت التأثيرات التوراتية في «العهد القديم» إلى العهد الجديد (الإنجيل)، فيشير سفر الرؤيا إلى التنين على أنه الحية القديمة المدعوة الشيطان «فقبض على التنين، الحية القديمة، الذي هو إبليس والشيطان، وقيده ألف سنة، وطرحه في الهاوية، وأغلق عليه، وختم عليه لكيلا

عندما رحل الأوربيون إلى الصين وجدوا أن مخلوقًا يسمى "لوغ" له شهرة فائقة في حياتهم وعقائدهم، وكان الـ "لوغ" يبدو شبيهًا - إلى حد كبير - بالتنين الذي عرفوه، ومن ثم ترجموا كلمة "لوغ" إلى تنين، ونتيجة لذلك زاد إيمان الأوربيين بأن التنين ظاهرة عالمية

يضل الامم في ما بعد حتى تتم الألف سنة» (٣٤) «وظهرت آية أخرى في السماء، هو ذا تنين عظيم احمر له سبعة رؤوس، وعشرة قرون، وعلى رؤوسه سبعة تيجان، وذنبه يجر ثلث نجوم السماء، فطرحها إلى الأرض، والتنين وقف امام المرأة العتيدة حتى تلد ليبتلع ولدها متى ولدت» (٣٥) «ثم رأيت وحشًا آخر طالعًا من الأرض، وكان له قرنان شبه خروف، وكان يتكلم كتنين» (٣٦). ويقول شراح «الكتاب المقدس»: إن سبب استعماله التنين رمزًا للقوى الشريرة الهائلة هو ما ورد في سفر «التكوين» من أمر إغراء الحية لأبوينا الأولين «فضلاً عن اتحاد القوى العظيمة بالحيلة والخبث الذي يرمز إليه بالحية رمزًا طبيعيًا».

ويبدو تأثر الفكر المسيحي في ما يتعلق بأساطير التنين في ما روى من ملاحم الانتصارات التي أحرزها بعض فرسان العصور الوسطى مثل «سيجموند» و«لانسلوت» و«بيولف» و«سيجورد» و«آرثر» و«ترستram»، والقديسين «جورج - مار جرجس» و«ميخائيل - سان ميشيل».. ولقد استطاع القديس «سلفستر» الأول بتدخله أن ينقذ «الحيات الطيبة» التي تلبسها روح «الدراكو العظيم Immanissimus Drako» الذي كان يزاول نشاطه الشرير في كهف «الكابيتول».. وفي هذا المجال تلتقي

الأسطورة المسيحية مع الوثنية الأوربية، فإن التشابه بين أساطير الحيات الغربية الوثنية والمسيحية تشير إلى أصل مشترك.

فقصة «مار جرجس - القديس جورج او جورجيوس الكابادوكي» والتنين قد تكون مقتبسة من قصة «فرساوس»، الذي يقال في خرافات الإغريق: إنه قتل تنينًا قرب «أرسوف» أو قرب اللد.. وإن كانت لا تتفق في تفاصيلها إلا على قيام هذه المعركة بين القديس والتنين فقط. أما أين وقعت هذه الواقعة، وما هي صفة التنين الذي حاربه القديس.. فذلك ما تتنازعه الروايات المختلفة، التي تشتهر منها قصتان: الأولى تقول: إن الحادثة وقعت في لبنان، وإن هذا التنين كان يظهر في خليج مارجرجس شرق بيروت، وإنه كلما ظهر كانت تقدم له بنت عذراء ليأكلها؛ وذلك باتفاق ملك هذه المنطقة مع أهلها على أن تقدم البنات إليه من كل أسرة مناوبة، فلما انتهى الدور إلى بنت الملك لم يتخلف عن عادته لشدة خوفه من التنين، فأرسلها، وأوقفها على الشاطئ.. وبينما هي تنتظر ظهور التنين، وهي أقرب إلى الموت، ظهر لها مار جرجس، وسكن روعها، ووعدها أن يخلصها من براثن الوحش.. فلما ظهر التنين اشتبك معه مار جرجس في صراع رهيب، وتمكن آخر الأمر من طعن التنين بالرمح في فمه وهو مفتوح، فخرج السنان من أعلى فكه، ووقع يخور في دمه. أما مار جرجس فقد أعاد البنت إلى أبيها الملك، وهكذا نجا أهل بيروت من شره. وقيل: إن زبد الصابون الذي غسل به يديه ما زال موجودًا إلى الآن متحجرًا قرب مقام اقيم له في جهة نهر بيروت يعرف بالخضر.. والقصة الثانية تقول: إن التنين كان يخرج من بحيرة «سيلين» في ليبيا ويسطو على البلاد حوله، فكانوا يقدمون إليه الضحايا البشرية اتقاء لشره، حتى جاء الدور على الفتاة الجميلة الأمير صبرا، التي تقدمت إلى شاطئ البحيرة انتظارًا لقدرها المحتوم إلا أن القديس جورج أنقذها بعد أن استطاع ذبح التنين، ولم تجد الأميرة طريقة تكافئه بها إلا أن تتزوجه. وقد اشتهرت هذه القصة الأخيرة في الميثولوجيا الغربية حتى اتخذت إنجلترا من هذا القديس حاميًا لها. ونقشت صورته، وهو ممتطٍ جواده، ويطعن التنين الهائل بحربته، على الجنيه الإنجليزي.. ورسم كثير من اللوحات الفنية التي تخلد هذه الحادثة.

الشرق الأقصى (الصين واليابان)

وقد يبدو ما تقدم من حديث عن الصور المختلفة للتنين وتاريخه ضئيلاً إلى جانب ما حازه من شهرة وقداسة في الشرق الأقصى، حتى أصبح لصيقًا بالحياة البشرية في فكرها وتقاليدها حتى اليوم.

فقد كان التنين هو الشعار القومي للصين، وحامي العائلة الإمبراطورية، كما كان له دور كبير في الفن الصيني؛ إذ تظهر رسومه ونقوشه على زخارف السيراميك والأزياء الرسمية.. فالتنين الذي يرمز إلى الملوك والأمراء من الرتبة الأولى والثانية يسمى (لنج)، وهو يبدو عادة ذا خمسة مخالب أو أظافر، والذي يرمز

> لم يكن التنين مجرد صورة فولكلورية فقط، بل قضية علمية أيضًا.. فحتى مئتي عام مضت فقط، كان علماء الأحياء، وما زالوا يصنفونه كحيوان له وجود بين غيره من الحيوانات المعروفة، بل ما زال بعضهم في زمننا هذا المعاصر يعتقدون بوجوده بصورة من صور القداسة أحيانًا، والخوف أحيانًا أخرى



التنين في مدخل أحد المعابد

إلى الأمراء من الرتبة الثالثة والرابعة له أربعة مخالب، أما أهل الرتبة الخامسة وأشراف الشعب فلا يصورونه تنينًا صحيحًا بل نوعًا من الحيات ذات المخالب يسمونها (منج).. وإن لم يأت من البيثون الهندي أو أي ثعبان آخر. وكان التنين الصيني على وجه عام خليطًا غريبًا من الحيوانات المتعددة.. فالكتّاب الصينيون القدامى مثل «وانج فو Wang Fu» يقولون: إن له رأس جمل وقرون أيل، وعيون شيطان وأذني بقرة، ورقبة ثعبان، وبطن محار، وحراشف سمك الشبوط، ومخالب نسر، وأقدام نمر. وعلى الرغم من هذه الصفة المركبة فهو يرتبط عادة بالماء، وقد ولد تنين الحكمة «كوان - شي - ين Kwan Shi Yin» الذي يرمز إلى «الذات العليا» من الماء والنار.

وسوف يبتلع في النهاية كل النار والماء من العالم.

أما تنين اليابان، ويعرف باسم «تاتسو Tatsu»، فله ثلاثة مخالب، وله القدرة على تغيير حجمه عندما يريد إلى درجة أن يصبح مختفيًا لا يمكن رؤيته..

وتنين اليابان المعروف باسم «كان - كان - آنا Kan Kan Anna» كان يعيش في بحيرة «إيوا Iwa»، التي تعرف الآن بخليج «بيرل هاربر Pearl Harbour» وهو حامي صيادي اللؤلؤ، ويعبده صيادو السمك، وعندما بدأ المحار (حامل اللؤلؤ) يختفي عام ١٨٥٠م قال الأهالي: إن التنين الذي يعيش في البحيرة أصبح غاضبًا؛ لذلك فقد أرسل المحار إلى «كاهيكي Kahiky» أو إلى أرض بعيدة أخرى.

ومع أن التنانين الصينية واليابانية ترمز إلى قوة الهواء، إذ ترسم دائمًا وهي بين السحب.. فهي غير مجنحة، والذي يساعدها على الطيران في الهواء وجود الـ «تشي - هي Chi Hi»، وهي كتلة جلدية تشبه كيس الهواء على جانبي التنين. وكان الفلاحون في الصين القديمة يرجعون إلى التنين كلما يشاهدون الرعود وخسوف الشمس والبرق والزلازل.. وكثير منهم يعتقدون أن الأرض ما هي إلا تنين كبير، وعندما يحدث زلزال فسبب ذلك أن التنين النائم يتحرك، ولما كان التنين عندهم علامة للخير، فهو يحدث الرعد الذي يسبب الأمطار التي تهبهم الحياة.. أما عندما تحدث العواصف الرعدية كثيرًا من الخسائر فإن شرور التنين تتساوى حينئذ مع خيراته. ولما كان من المفروض - في معتقداتهم - أن التنين سوف يبتلع الشمس يومًا ما فإنه يقترب منها - وهنا يحدث الكسوف الشمسي - فإنهم يهرعون إلى الشوارع يدقون الصاجات والأجراس محدثين ضوضاء كبيرة، فيعود التنين من حيث أتى، ولا يبتلع الشمس.

والتنين لدى الصينيين واليابانيين هو رمز الخير والخصوبة وجالبها إلى حد القدرة على التحكم في السحب وإنزال المطر، على عكس النظرة القديمة الأخرى في الحضارات الشرقية والأوربية على حد سواء.

وفي الديانة «الطوائية» يعدّ التنين إحدى قوى الطبيعة المتحدية والمناوئة.. والملوك التنانين Dragon Kings» هم من سلالة التنانين القدماء ذوي السمة


التنين أصبح يوظف لنواح جمالية

منذ القرن الأول الميلادي أشار عالم الأحياء الروماني "بليني" إلى أن التنين هو حية ماردة أصلها من الهند. وقال: إن تنين الهند له جسم ضخم، حتى إنه يمكن أن يبتلع فيلا بعد أن يلف نفسه حول الفيل، ويعصر جسده

الإلهية.. ويعيشون أحيانًا في مياه البحار وشطآن الأنهار أو - أحيانًا فوق ظهر الأرض.

التنين عند العرب

القزويني: لم يكن التنين بعيدًا عن الفكر العربي لدى المؤرخين والجغرافيين العرب. وخلطت رواياتهم بين التنين بهذه الصورة المركبة المرعبة، التي ظهر بها في الفكر الشرقي القديم، ولدى الإغريق، والرومان، والأساطير الدينية العبرية، والمسيحية - وبين الحيات والثعابين الطائرة الضخمة.

فالقزويني يصف التنين بقوله: إنه: «حيوان عظيم الخلقة، هائل المنظر، طويل الجثة، عريضها، كبير الرأس، براق العينين، واسع الفم والجوف، كثير الأسنان، يبلغ من الحيوان كثيرًا، يخافه حيوان البر والبحر، إذا تحرك يموج البحر لكثرة قوته».. ثم يضيف إلى ذلك في موضع آخر: «والتنين يكون أول أمره حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى، فإذا عظم فسادها يبعث الله تعالى ملكًا يحتملها، ويلقيها في البحر، فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعله بدواب البر، ويعظم جسمها، فيبعث الله تعالى ملكًا يحتملها إلى يأجوج ومأجوج. وروى عن بعضهم انه راى تنينًا سقط فوجد طوله نحو فرسخين، ولونه مثل لون النمر مفلسًا كفلوس السمك، وله جناحان عظيمان على هيئة جناح السمك، ورأس مثل التل العظيم، كرأس الإنسان، واذنان طويلتان وعينان مدورتان كبيرتان جدًا، ويتشعب من عنقه ستة أعناق طوال، كل عنق نحو عشرين ذراعًا، على كل عنق رأس كرأس الحية».. «ويحدد القزويني مواطن التنين بأنها في بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) وفي بحر فارس وبحر الخزر».. ثم يضيف إلى ذلك أنها «أكثر ما تكون عند طرابلس واللاذقية والجبل الأقرع من أعمال انطاكية».

وتختلف صفة التنين عند القزويني حسب موضع وجوده من مكان إلى آخر، فيقول عن تنين بحر فارس: إنه «حيوان شر من الكوسج، في فمه أنياب مثل أسنة الرماح طويلة، مثل النخلة، أحمر العينين مثل الدم، كريه المنظر جدًا، يفر منه الكوسج وغيره».. وبهذا البحر جزيرة تعرف باسم جزيرة التنين، يقول عنها: إنها «جزيرة واسعة عامرة، فيها جبال وأشجار، وعلى حصونها سور عال يظهر به تنين عظيم، فاستغاث أهلها بالإسكندر (٣٧)، وذكروا له أن التنين أتلف مواشيهم، وأنهم يأخذون له كل يوم ثورين وينصبونهما قريبًا من موضعه، فيقبل كالسحاب، وعيناه تتقدان كالبرق الخاطف، والنار تخرج من فيه، فيبلع الثورين ويعود إلى موضعه.. فلما سمع الإسكندر ذلك أمر بإحضار الثورين فسلخهما، وحشا جلودهما زيتًا وكبريتًا وزرنيخًا، وجعل مع ذلك كلاليب من حديد، وجعلها في ذلك المكان، فخرج التنين، وابتلعها، فاضطربت أحشاؤه في جوفه، وتعلقت الكلاليب بأحشائه، فانتظره الناس في اليوم الآخر، فما وجدوا له اثرًا، فذهبوا إليه فإذا هو ميت فاتح فيه ففرح الناس بموته، وشكروا سعي الإسكندر، وحملوا إليه هدايا عجيبة». ومن بحر الخزر يرتفع تنين عظيم شبه السحاب الأسود، والناس ينظرون إليه وأنه - حسب ما زعم أهل

انحصرت فكرة وجود التنين في تلك الحيوانات الصغيرة المشابهة والمعروفة بجنس "الدراكو Draco"، وهو جنس ليس له معنى حيواني محدد، وإنما يشمل عددًا من أنواع السحالي أو العظايا الصغيرة الموجودة في بلاد الهند الصينية، وإندونيسيا، وبورما

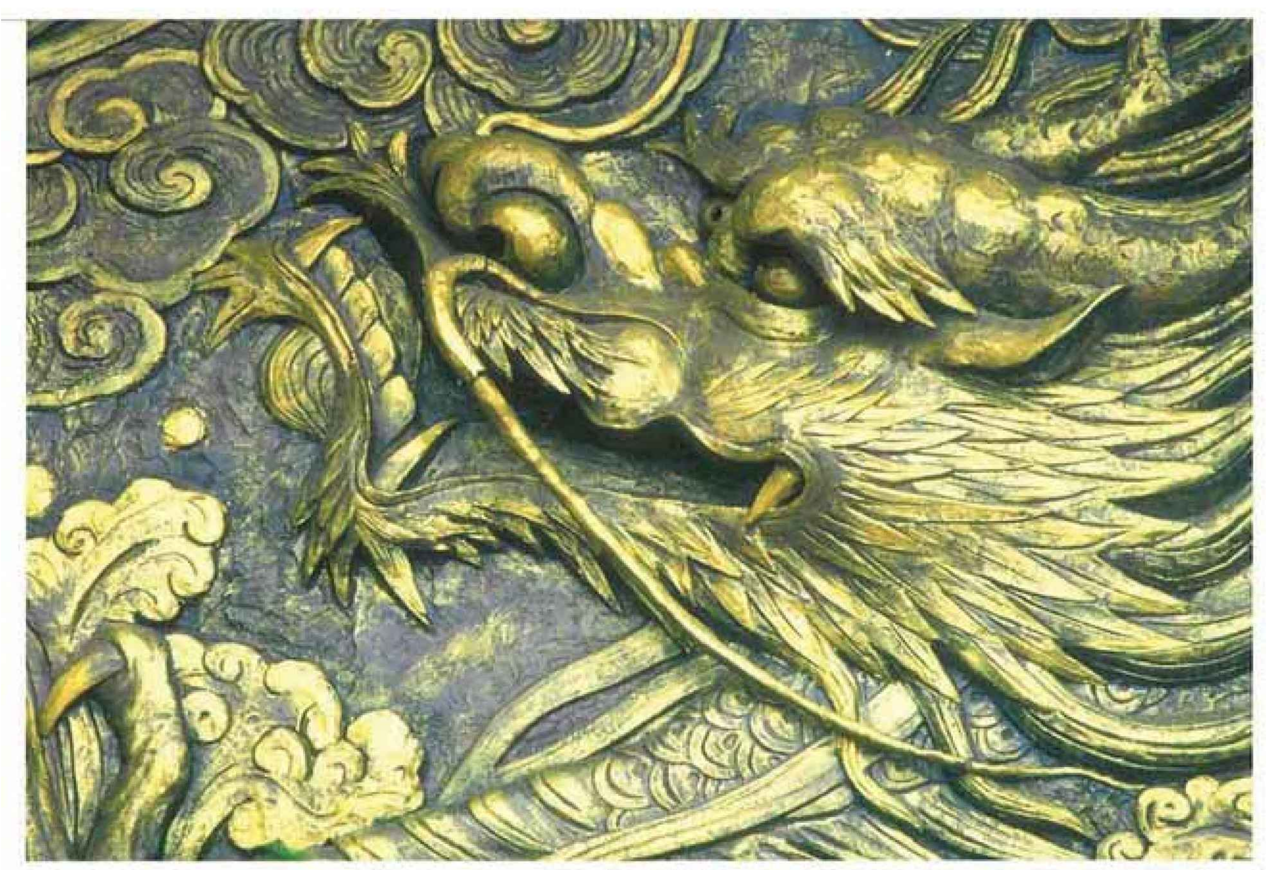
لم يكن التنين بعيدًا عن الفكر العربي لدى المؤرخين العرب. وخلطت رواياتهم بين التنين بهذه الصورة المركبة المرعبة، التي ظهر بها في الفكر الشرقي القديم، ولدى الإغريق، والرومان، والأساطير الدينية العبرية، والمسيحية ـ وبين الحيات والثعابين الطائرة الضخمة

زمانه ـ دابة تؤذي دواب البحر، فيبعث الله إليه سحابًا يخرجه من البحر، ويحتمله على صورة حية سوداء، لا يمر ذنبها على شيء من شجر أو نبات إلا هدته، وربما يتنفس فيحرق الشجر.. وقريب من ذلك ما يذكره من أن ببحر الصين جزيرة تسمى «زانج» بها جبل يسمى «النصان»، وهو جبل مشهور به حيات عظام منها ما يبتلع الفيل، وأن بارض تركستان جبلاً يسمى «جبل الحيات» فيه حيات، من نظر إليها يموت، إلا أنها لا تخرج من ذلك الجبل أبدًا.. وعن خاصية أجزاء التنين فقد زعموا أن من أكل لحمه يورث الشجاعة ولحمه يوضع على عضة ينفع نفعا بينًا.

الجاحظ: أما الجاحظ فيروي عنها أنه «مما زاد في عظمها، وزاد في فزع الناس منها، الذي يرويه أهل الشام، وأهل البحرين، وأهل أنطاكية» ثم يقول، كمن يصف واقعة حقيقية، وذلك أني رأيت الثلث الأعلى من منارة مسجد أنطاكية أظهر جدة من الثلثين الأسفلين، فقلت لهم: ما بال هذا الثلث الأعلى أجدى وأطرى؟ قالوا: لأن تنينًا ترفع من بحرنا هذا فكان لا يمر بشيء إلا أهلكه، فمر على المدينة في الهواء محاذيًا لرأس هذه المنارة، وكان أعلى مما هي عليه، فضربه بذنبه ضربة حذفت من الجميع أكثر من هذا المقدار، فأعادوه بعد ذلك، ولذلك اختلف المنظر.

الدميري: ويقول الدميري: إن التنين «ضرب من الحيات فأكبر ما يكون منها (ما) كنيته أبو مرداس، وهو أيضًا نوع من السمك»، وبعد أن يردد الدميري ما يتضمنه كتاب القزويني «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» ويربط بين التنين وبعض المعتقدات الدينية يروي حديثًا مسندًا إلى ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تينًا تنهشه، وتلدغه حتى تقوم الساعة، لو أن تينًا منها نفخ على الأرض ما نبتت خضرًا».. ويذكر عن بعض الأئمة أن موسى ـ عليه السلام ـ قد حارب التنين بالعصا التي ورثها عمن سبقه من الأنبياء ـ وهي العصا التي خرج بها سيدنا آدم من الجنة، وأنه عندما قتل موسى التنين عاد إلى سيدنا شعيب، وأخبره بذلك، فعلم أن له شأنًا.. وفي تعابير الرؤيا عنده أن التنين في المنام ملك فإن كان له رأسان أو ثلاثة فهو أشد لشرّه، والمريض إذا رأى تنينًا دل على موته.

في مصر: ولا يبعد عن ذهننا ما كان يشاع في أوائل القرن الماضي من أن جامع السلطان حسن في القاهرة كان يسكن مئذنتيه ـ قبل إصلاحه وترميمه ـ تنانين أو ثعابين طيارة «لها أجنحة وازيز».. وكان أهالي حي الخليفة (٢٨) يقولون: إنهم كانوا يرون هذه الثعابين ليلاً وهي تطير في الهواء، والشرر يتطاير من عيونها، وإن طول الثعبان الواحد كان يبلغ سبعة أمتار، وإن كل ثعبان كان له في جبهته جوهرة تضيء له طريقه في الظلام، ولا يستطيع أحد أن ينظر إليها من شدة الوهج المنبعث منها.. ولما كانت هذه الثعابين الطيارة تغادر المئذنتين مع غروب الشمس ولا تعود إليهما إلا مع الشروق، فقد كان المظنون لديهم أنها تعيش ليلاً في مغارات جبل «المقطم» تقتات الوحوش والكلاب والقطط. كما أنها كانت تشرب



تنين منحوت بالنحاس

من «عين الصيرة» (٢٠). وأن هذه الثعابين تعود في أصلها إلى أيام سيدنا سليمان - عليه السلام - وأنها تدفن موتاها في مغارات جبل المقطم، وغير ذلك.

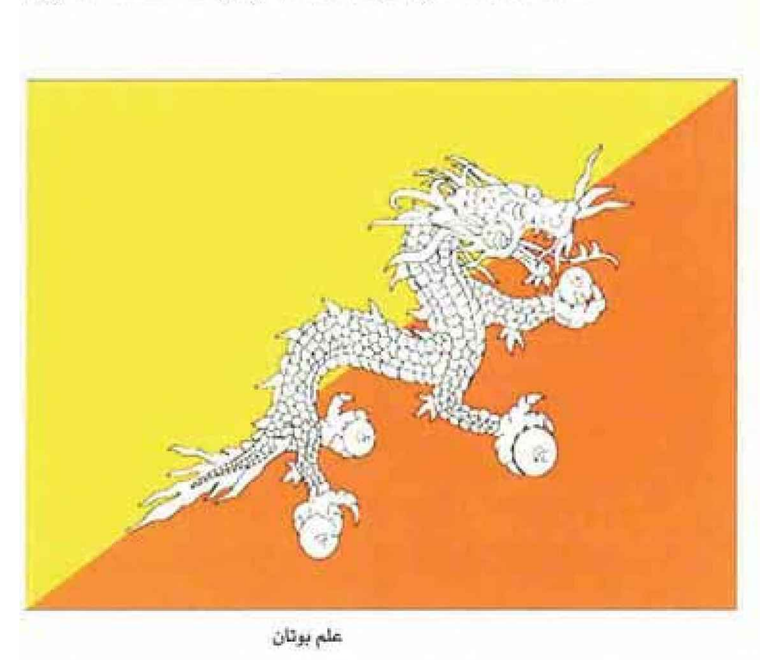
حجر التنين

ومن أسطورة التنين ظهرت أسطورة أخرى عن حجر التنين، مثل ما قيل عن جامع السلطان حسن بالقاهرة. ولا تقل أسطورة الحجر في قدمها عن التنين نفسه، فبلينوس يذكر هذا الحجر تحت اسم «دراكونيت Draconitite» أو «دراكونتيك Dracontic»، ويقول إن هذا الحجر يوجد في مخ التنين، ولا يكون له قيمة إلا إذا نزع منه وهو حي.. وهذه عملية شاقة - لا شك - بسبب شراسة الحيوان، ولكن «سوتاكوس» يقول: إن الذين كانوا يسعون وراء هذا الحجر كانوا يركبون عربات تجرها الجياد، وعندما يلمحون تنينًا من على بعد كانوا يتجهون بأقصى سرعتهم، ثم ينثرون عليه إكسيرًا (مواد مخدرة ذات

كان التنين هو الشعار القومي للصين، وحامي العائلة الإمبراطورية. كما كان له دور كبير في الفن الصيني؛ إذ تظهر رسومه ونقوشه على زخارف السيراميك والأزياء الرسمية

رائحة) تسلمه سريعًا إلى النوم، وعند ذلك يقبلون على جمجمته، وينتزعون الحجر من داخل المخ دون التعرض لأي خطر. أما الصينيون فقد كانوا يرون أن الحجر يوجد تحت ذقن التنين، وليس داخل مخه.

ويشير «بلينوس» إلى الفوائد التي تجنى من التنين بعد موته. كما أشار القزويني حول خصائص اجزائه. فيقول: إن رأسه حين يوضع تحت مدخل الباب يجلب السعد لأهل المنزل، وإنه يمكن عمل مرهم من عينيه تحيل الجبان إلى شجاع، وإن دهن قلبه يتيح لمن يملكه، ويدهن نفسه به كسب القضايا وإن أسنانه عندما توضع في جلد المعزة، أو جلد الوعل، وارتدى إنسان هذا الجلد يفوز بمحبة ملك البلاد. أما في العصور الوسطى فكان يطلق على حجر التنين اسم «أسكار بوكل Ascar Boucle» إذ إنه كان يضيء في الليل مثل المصباح. وقد أعطيت خاصية الضوء لهذا الحجر؛ وذلك لضعف قوى


علم بوتان

إبصار هذه الحيوانات، التي كانت تعيش في الكهوف أو في قاع البحار بعدما تبلغ دور الهرم.

تحفظات حول صفات التنين

ومع كل ما تقدم من حديث عن التنين، وحجره الساحر، فإن هذه الصفات المهولة دفعت بعض من تحدثوا عنه وتناولوا أقاصيصه الأسطورية في مؤلفاتهم إلى التحفظ فيما يرونه ويسجلونه في هذه المؤلفات.. فبلينوس يشير إلى أن أحدًا لم ير التنين. والجاحظ يقول: إنه حينما يجري ذكر التنين في مجلس من المجالس فإن بعضهم ينكره، بينما «أصحاب التثبت يدعون العيان» أما هو شخصيًا فيرى أن سبيل الإيمان به هو سبيل الإيمان بعنقاء مغرب [٢١]. والقزويني - وهو من ملأ كتابه بذكر الغرائب والعجائب - فإنه يتخذ حيطته بالنسبة إلى كل ما جاء في كتابه، وذلك في مقدمة الكتاب حيث يقول: «وعلى الناظر في كتابي هذا (أنه) يعني في جمع ما كان مبددًا، وتلفيق ما كان مشتتًا، وقد ذكر فيه أسبابًا تأباها طباع (الغني) الفاضل، ولا ينكرها نفس الذكي العاقل، فإنه وإن كانت بعيدة عن العادات المعهودة، والمشاهدات المألوفة، لكن لا يستعظم شيء مع قدرة الخالق وجبلة المخلوق، وجميع ما فيه إما عجائب صنع الباري تعالى؛ وذلك محسوس أو معقول لا ميل فيهما وإما حكاية طريفة منسوبة إلى رواتها، لا ناقة لي فيها ولا جمل، وإما خواص غريبة؛ وذلك لا يفي العمر بتجربتها، ولا معنى لترك كلها لأجل الميل في بعضها، فإن أحببت أن تكون منها على ثقة فشمر لتجربتها وإياك أن تفتر أو تمل إذا لم تصب في مرة أو مرتين فإن ذلك قد يكون لفقد شرط أو حدوث مانع وحسبك ما ترى من حال المغناطيس



احد الاحتفالات الشعبية في الصين

وجذبه للحديد فإنه إذا أصابه رائحة الثوم بطلت تلك الخاصية، فإذا غسلته بالخل عاد إليه فإذا رأيت مغناطيسًا لا يجذب الحديد فلا تنكر خاصيته، فاصرف عنايتك إلى البحث عن احواله حتى يتضح لك امره».. وفحوى هذا التحفظ أن ما ورد في كتابه عن التنين من مبالغات لا ينفي إمكانية او احتمال الوجود، ويترك الأمر لمن يهتم بذلك في البحث والتقصي.

التنانين الصينية واليابانية ترمز إلى قوة الهواء، إذ ترسم دائمًا وهي بين السحب.. فهي غير مجنحة، والذي يساعدها على الطيران في الهواء وجود الـ "تشي ـ هي Chi Hi"، وهي كتلة جلدية تشبه كيس الهواء على جانبي التنين

كان الصينيون يستخرجون عظام الحيوانات الكبيرة من باطن الأرض، ويسحقونها، ويبيعونها على أنها "مسحوق عظام التنين" ويزعمون أن لهذا المسحوق فوائد طبية كثيرة

هل كان للتنين وجود حقيقي في زمن ما؟

وفي هذا الإطار نعود إلى التساؤل: هل كانت هذه الأساطير حول التنين قد بنيت على مجرد خيالات وإرهاصات جاهلية صاحبت الفكر البشري منذ القدم الذي كان يخاف دائمًا - كدأبه الآن - من المجهول؟ أم أنه حيوان وجد يومًا ما على شكل ما.. ربما كان قريبًا من الصورة المهولة التي تضفيها عليه هذه الأساطير والإرهاصات؟

لقد كان الأقدمون يأخذون التنين مأخذ اقتناعهم بوجود الآلهة المتعددة لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة والحياة بدءًا من ديانة الطوطمية، وهي اتخاذ بعض الحيوانات رمزًا وشعارًا للقبيلة أو العشيرة، ومرورًا بتقديس الحيوان، وإضفاء صور من حياته وأشكاله على البشر والآلهة.. لم يكن ذلك يشكل للإنسان القديم مشكلة كبيرة، فقد كان يأخذ الأمر بظاهره، وقد سيطر عليه الخوف من المجهول، ويبني عليه حياته وسلوكه وعقائده.

وإضافة إلى ملاحم الإغريق والرومان، والأساطير التوراتية فإنه عندما رحل الأوربيون إلى الصين وجدوا أن مخلوقًا يسمى «لونج» له شهرة فائقة في حياتهم وعقائدهم، وكان الـ «لونج» يبدو شبيهًا - إلى حد كبير - بالتنين الذي عرفوه ومن ثم ترجموا كلمة «لونج» إلى تنين، ونتيجة لذلك زاد إيمان الأوربيين بأن التنين ظاهرة عالمية.

لكن مع بدء عصر النهضة، وما لحقه من تغيرات في الفكر البشري بدأ العقل الأوربي يجابه الكنيسة، ويدعو إلى افكار ونظريات جديدة لقوانين الحياة وظواهرها تقوم على التحليل والمنطق.. غير أنه - وهو ما زال يحبو ساعيًا وراء الحقيقة - قد جنح اول الأمر في محاولة إثبات وجود تلك الكائنات الغريبة من منطلق أن ما يقال عنها لم ينشأ من فراغ، استنادًا إلى بعض الشواهد الفيزيائية في علم الحيوان.. ففي القرن السادس عشر الميلادي اكد عالم الأحياء السويسري «كونراد جسنر Conrad Gesner»، وهو من أفضل من كتب في علم الحيوان في ذلك العصر - أكد وجود التنين في كتابه عن «تاريخ الحيوان Historia Animalium» وقال: إن التنين نوع من الحيوان معروف للعلم، وذكر العالم «كاردانوس Kardanus الذي عاش في «بافيا» بإيطاليا انه رأى تنانين مجففة في «باريس» بفرنسا، وإن كانت تنانين صغيرة جدًا..

وطبع رجل فرنسي معاصر لكاردانوس، وجسنر صورة التنين مشابهة لرسم التنين الذي تصوره كتب التاريخ الطبيعي الحديثة عن حيوان «الدراكو فولانس Draco Volans» وترجمته حرفيًا «التنين الطائر».. كما قام عالم الأحياء الفرنسي «بيير بيلون Piere Belon» برسم صورة لاثنين من التنانين المجنحة شبيهة بتلك التي عثر عليها كاردانوس. وفي مدينة «كلانجن فورت» في النمسا اقيم تمثال عام ٥٩٠م لماردًا عار يذبح تنينًا مجنحًا ينفث النار من فمه.. وقيل: إنه استوحى فكرة التمثال على أثر العثور على جمجمة تنين في أطراف المدينة.. وفي عام ١٦٤٠م طبع كتاب اسمه «تاريخ الحيات والتنانين» كتبه «أوليس الدروفاني Ulisse Aldrovani» ضم رسومات لتنين مجنح كان أكثر تفصيلاً عما ذكره كاردانوس عن تنانينه. وفي عام ١٦٧٣م أذاع عالم الأحياء الألماني «باترسونيوس



هاين Pattersonius Hayn، أنه عثر على بعض الجماجم الغريبة في عدة كهوف بمنطقة «كاريا ثيانز Carpathians» بالمجر، وصفها بأنها جماجم تنانين، وكتب بحثًا عن اكتشافه هذا بعنوان «جماجم التنين في كاريا ثيانز». كما أوحت اكتشافات أخرى مشابهة في كهوف «ترانسلفانيا» لعالم الأحياء الألماني «فولجاند Vollgand» بكتابة مقال تحت عنوان «تنانين ترانسلفانيا» زينها برسوم مختلفة، توحي بأن العظام التي عثر عليها كانت لتنانين. غير أنه تبين أن جمجمة «كلانجن فورت» المحفوظة في قاعة البلدية لم تكن غير جمجمة حيوان «وحيد القرن» كما تبين أن العظام التي عثر عليها «فولجاند» هي عظام بعض الدببة التي تتخذ من الكهوف موطنًا لها.

وهكذا انحصرت فكرة وجود التنين في تلك الحيوانات الصغيرة المشابهة والمعروفة بجنس «الدراكو Draco»، وهو جنس ليس له معنى حيواني محدد، وإنما يشمل عددًا من أنواع السحالي أو العظايا الصغيرة الموجودة في بلاد الهند الصينية، وإندونيسيا، وبورما (جنوب شرق آسيا)، وقد رأيت عددًا منها في «تايلاند» كما رأيت بعضها في «بوروندي» بوسط إفريقية. ومن هذه السحالي ما يكون لها أجنحة تساعدها على القفز من فرع إلى فرع، والتعلق والزحف فوق الأشجار، وأكبر هذه السحالي لا يكاد طولها يزيد على عشر بوصات، ولها ستة ضلوع، وأجنحتها ملتصقة بالجسم في حالة سكونها، وبأسفل الرقبة ثلاث طيات من الجلد، كما أن هناك طيتين أخريين على الجانبين، وأشهر هذه السحالي النوع المسمى «الدراكو فولان»، ورأسها ذو لون نحاسي أخضر، تزينها بقعة سوداء بين العينين، وأما الظهر فلونه خليط بين الأسمر والقرمزي اللامع، وبه خطوط وبقع سوداء صغيرة، أما الجزء الخارجي من الأجنحة فلونه برتقالي زاه مع بريق قرمزي خفيف، بينما أطراف الأجنحة نفسها فضية أو رمادية، وبطنها ومؤخرة ظهرها صفراء اللون مع نقط سوداء.

ومع اكتشاف حقيقة هذا الحيوان على نطاق علمي ثابت وجد العلماء أنفسهم مضطرين إلى الاعتراف بأن التنين «الضخم» إنما هو حديث خرافة على الأقل في العصر الحالي وأنه إن كان قد حدث، وكان له وجود فإنما كان ذلك في أزمان سحيقة لأنهم رأوا العظام الضخمة التي كانت تستخرج من باطن الأرض دليلاً على وجوده في العصور القديمة.. وقد كان الصينيون يستخرجون عظام هذه الحيوانات الكبيرة من باطن الأرض، ويسحقونها، ويبيعونها على أنها «مسحوق عظام التنين» ويزعمون أن لهذا المسحوق فوائد طبية كثيرة.

عندما أغار "الفايكنج Vikinges" على إنجلترا، وصف الإنجليز معاركهم معهم بأنهم رأوا "زوابع وبروق هائلة، كما شاهدوا تنانين تطير في الهواء" وحقيقة ما رأوه رسوم للتنين على أعلام وبيارق الفايكنج، وسهامهم الحارقة التي كانت تشعل النار في الأكواخ

تنين كومودو

ومع تقدم علم الحفريات والدراسات المكثفة حول حيوانات الديناصورات ثبت أن الحيوانات التي كانت تعيش بهذه العظام الضخمة قد انقرضت قبل ظهور الإنسان على سطح الأرض.. ولكن ذلك ليس عاملاً حاسمًا في الموضوع.. فلو أن التنين أو الديناصور كان حيوانًا منقرضًا فليس هناك مانع من وجهة نظر العلم والتاريخ الطبيعي من أن يوجد بعض منه في

عصور الإنسان الحضارية المتعاقبة.

وقد قويت هذه الفكرة أوائل القرن الماضي عندما التقطت شباك الصيد في الشواطئ الشرقية لإفريقية سمكة، طولها متر ونصف المتر، ويزيد وزنها على ٤٥كجم، وكان المعتقد فيها أنها انقرضت قبل ظهور الإنسان بملايين السنين، وقد تكرر فيما بعد ظهور هذه السمكة. وهناك إلى جانب ذلك أقاصيص متناثرة عن وجود بعض الحيوانات الأخرى التي كان يظن أنها قد انقرضت من أزمان سحيقة.. فما الذي يمنع بعد ذلك أن يكون للتنين وجود ما حتى في العصر الحديث؟

وفي عام ١٩١٢م بدأ وكأن هذه الفكرة على وشك التحقيق.. إذ ظهر دافع قوي لشد أزر أنصار هذه النظرية حين صرح بعض صائدي اللؤلؤ في جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) بأن في أرخبيل الملايو جزيرة غير معروفة على الخرائط الجغرافية تمامًا اسمها «كومودو Komodo»، وهي صخرة بركانية طولها ٣٢كم وعرضها نحو ١٦كم، وأنهم سمعوا أن بها حيوانات زاحفة ضخمة قد تكون من حيوانات ما قبل التاريخ.. وسرعان ما أرسل متحف «بتنزورج» الحيواني في «جاوة» (٣٢) بعثة إلى تلك الجزيرة الصخرية البركانية التي لا يسكنها أحد من البشر للتحقق من هذه الأقوال، والبحث عن عينات هذا الوحش الغامض.. وتمكن «أوينز» - مدير المتحف قبل الحرب العالمية الأولى - من نشر تحقيقه عن هذه الحيوانات الضخمة، إلا أن أخبار الحرب طغت في هذه الأونة على كل ما عداها. فلم يثر هذا التحقيق انتباهًا كبيرًا في ذلك الوقت.

وهكذا ظل أمر هذا الوحش الهائل في طي النسيان، حتى قام متحف «التاريخ الطبيعي» الأمريكي بإرسال بعثة أخرى إلى جزيرة «كومودو» عام ١٩٢٦م بغرض البحث عن هذا الوحش، والعودة بعينات منه، مهما كانت ضخامته حيًا أو ميتًا لعرضها ودراستها بالمتحف دراسة علمية. ورأس هذه البعثة المستر «ودوجلاس» تساعده زوجته.. إلا أن أشهر أعضاء فريق البعثة كان المستر «دي موس» وهو صياد حيوانات مشهور، قضى معظم حياته في غابات الهند الصينية. وفي «جاوة» سمحت حكومة المستعمرة الهولندية في ذلك الوقت (إندونيسيا) للبعثة بمزاولة عملها. وتكللت جهود البعثة بالنجاح فعثرت على هذا الوحش الهائل الذي ظل يعيش على الأرض - دون تغيّر - من العصر «الأيوسي» (٥٠ مليون سنة)، وهو العصر الذي بدأت خلاله الثدييات في جوب الأرض. وقد تمكنت البعثة من اصطياد حيوانين كاملي النمو على قيد الحياة، ثم اثني عشر حيوانًا ميتًا حفظت بعناية وأعدت للعرض والدراسة في المتاحف.. وأطلق على الحيوان اسم علمي هو Varanus Komodensis نسبة إلى جزيرة «كومودو».. وهو سحلية أو عظاية ذات جسم كبير ضخم لها ألوان متعددة، وتبلغ في الطول عشر أقدام في المتوسط وهي بذلك تفوق كل السحالي الحية المعروفة حديثًا على الرغم من أن سحلية «الفارانوس برسكوس Varanus Priscus» المنقرضة التي كانت تعيش في أستراليا قديمًا

يقوم التقويم الصيني على أساس تسمية كل سنة باسم حيوان من الحيوانات تقربًا إليه، أو خشية منه، كالقرد والكلب والقط والتنين. وعند الاحتفال بقدوم العام الجديد يجري عرض للتنين؛ وذلك بأن يرتدي بعض الأفراد زي التنين

كانت تبلغ ضعف طولها (٢٢).

وعندما تم العثور على هذا الحيوان تناولته الصحافة بالوصف وحاطته بعض الأنباء بهالة من الرعب بمثل ما حاط التنين الرهيب من أنه إذا رأى إنساناً قفز وراءه حتى يدركه فيلتهمه كما يلتهم الذئب الأرنب. بل إن المستر «دي فوس» نفسه يقول: إنه عندما رآه أول مرة خيّل إليه أن طوله لا يقل عن ثلاثين قدماً؛ وذلك لفرط ما وقع في قلبه من الرعب لمنظره.

وتصف «مسز دوجلاس» أول لقاء لها مع هذا الوحش فتقول: إنهم نصبوا فخاً لهذا الوحش بأن وضعوا في طريقه غزالاً ميتاً، إلى جانب الفخ المختفي فالتهم الوحش نصف الغزال دون ان يقع في الفخ.. ثم تضيف «مسز دوجلاس» قائلة: «بينما أنا أتأمل الفخ، ونصف الغزال المتروك إذا أنا أسمع حفيفاً فنظرت حولي، ولمحت مارداً من هذه المردة يزحف في ضوء النهار، وكان يقصد نحوي فشعرت بالهلع، ولم تكن بندقيتي معي.. وكان المستر «دي فوس» بعيداً عني، وأخذ الوحش يسير نحوي، فخطر ببالي أن أقفز وأعدو، ولكني ترددت، ومر بخاطري جميع القصص والأساطير التي سمعتها عن التنين الذي كان يأكل النساء والرجال والخيل فخارت قواي ولم يكن بيني وبين هذه الدابة الآن سوى نحو خمس اقدام، وكنت أشم رائحتها، ولم يعد من الممكن أن أقفز؛ لأنها كانت تدركني، وتمزقني، كما مزقت الغزال، فاستسلمت، واغمضت عيني، وبقيت مكاني لا أتحرك، ثم سمعت طلقة العيار ففتحت عيني، ورأيت أن العيار قد اصابها في عنقها، ووقعت تتخبط، وقمت إليها واجتمعنا كلنا حولها، وشققنا بطنها فوجدنا أن نصف الغزال الذي بلعته لا يزال صحيحاً في جوفها».

لقد فتح هذا الكشف الهائل باباً جديداً للعلماء والمغامرين، فانهالوا في جماعات متعددة على جزيرة «كومودو» منذ ذلك التاريخ. وإبان إقامتي في «تايلاند» عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣م سمعت عن قيام بعثتين علميتين من الاتحاد السوفييتي، وامريكا على التوالي للبحث عن هذه السحلية الضخمة في جزيرة «كومودو».. فأما البعثة الأولى - وهي البعثة السوفييتية - فقد بدأت عملها فعلاً منذ أواخر عام ١٩٦١م، ومعظم العام التالي، وقد تمكنت البعثة من اصطياد خمس وعشرين منها اخذت بعضها حية، وعرضت في «متحف لينينجراد للتاريخ الطبيعي» وبعضها أخذ ميتاً للأغراض العلمية. وقالت البعثة في تقريرها: إنها تظن أن بالجزيرة نحو خمسمئة عظاية بالغة، ونادت بضرورة الحفاظ عليها حتى لا تنقرض تماماً.

وفي عام ١٩٦٣م أقامت جمعية امريكية تدعو نفسها «جمعية قاتلي التنين Dragon Killers». وهي جمعية يكونها بعض الأثرياء المهووسين بكل ما هو غريب - بتأليف بعثة تضم احد المستكشفين الأمريكيين، ويدعى «هاريسون فورمان»، وكان سبق له زيارة جزيرة «كومودو»، وشاهد هذه العظايا هناك، وقد ساهمت جامعة «ميتشجان» الأمريكية في هذه البعثة.. وقبل مغادرتي تايلاند عام ١٩٦٣م سمعت أن هذه البعثة ما زالت تفاوض الحكومة الإندونيسية لتسهيل عملها في الجزيرة.. وهنا يعن للمرء أن يسأل: هل كان القزويني عند ذكره لجزيرة «زانج» في

ما زالت دولة "بوتان BHUTAN" - على حدود الهند وسط جبال الهملايا - يحمل علمها صورة التنين، مثلما تفعل بعض الدول في أعلامها حين تحمل صوراً للصقر أو النسر أو الأسد، وهي حيوانات تشارك الانسان حياته

بحر الصين، وما أشار إليه من وجود حيات عظام بها، منها ما يبتلع الفيل.. هل كان يشير إلى جزيرة «كومودو» أو غيرها من جزر الهند الشرقية؟

تنين الإجوانا

وفي أمريكا الجنوبية، وعلى شاطئ مدينة «فينيا دلمار» في «شيلي» . شاهدت حيوانًا بحريًا قبل عنه: إنه يذكّر المرء بتنين الأساطير. وإن كان صغيرًا جدًا، لا يزيد طوله على عشرة سنتيمترات، ويسمونه «Sea Iguana» أي «حرباء البحر»؛ لأنها في الواقع مجرد حرباء، لونها أسود عندما تكون مبتلة بالماء، وأشهب عندما تجف، ويخرج من منخريها زفرات من بخار الماء بين الحين والآخر؛ ولعل ذلك هو السبب الذي يدعو المرء إلى أن يتذكر التنين، وهو يشاهدها.

إلا أن المراجع ذكرت فصيلة برية من هذه الحرباء تعيش في أمريكا الوسطى والجنوبية، يصل طول الواحدة منها أحيانًا إلى متر ونصف المتر، وتعيش في الأدغال، ويوجد على رأسها نتوءات غريبة تشبه الشوك، ومن

الهوامش والمراجع

١. التنين بالإنجليزية Dragon، وهو لفظ يوناني بمعنى «الحاد البصر»، وقد انتهى إلى الإنجليزية عن طريق اللغة الفرنسية واللاتينية. والكلمة الإنجليزية Drake أو Fire- drake مشتقة من اللفظ الأنجلو - سكسوني Draka.. وكانت الكلمة في اليونانية تطلق أصلاً على أي حيّة كبيرة، وكذلك على التنين المذكور في الأساطير على أي صورة كان.

٢. الطوائية أحد أديان الصين.

٣. ويعنى به المخلوقات الأسطورية التي تجمع صفات أو أشكالاً متعددة لبعض المخلوقات في جسد واحد.

٤. عاصمة مملكة عيلام القديمة، والإمبراطورية الفارسية.

٥. على الرغم من أن الثعابين لم تكن بالكائنات المعادية في رأي المصريين القدماء إلا أنهم كانوا يخشون الأفعى أبو فيس، وهو ثعبان جني عملاق الحجم، وكان يهدد نظام الكون في الأساطير المصرية القديمة. وفي «معجم الحضارة المصرية القديمة» أن «المناظر الباقية من عصور ما قبل التاريخ تحتفظ بذكرى هذا التنين البرمائي، كما تحتفظ بذكرى التعاويذ القديمة «من مثل» أيتها الأرض ابتلعي ثانية ما خرج منك». وفي أساطير الحياة الآخرة نجد لبعض الثعابين أجنحة ولبعضها الآخر أقدامًا ورؤوسًا كثيرة.. ودرع» هو إله الشمس في العقائد المصرية القديمة.

٦. ابن «إيزيس» في الأساطير المصرية القديمة.. وكانت كلمة «حورس» تطلق أحيانًا على آلهة السماء بوجه عام في شكل رجل له رأس صقر.

٧. أسماء لقديسين مسيحيين في العصور الوسطى.

٨. من مناطق بابل القديمة، وتقع حاليًا جنوب شرق العراق. والخلقدونيون ساميون برزوا في علم الفلك والتنجيم، وقد حكم ملوكهم بابل في فترات مختلفة، وكان أكثرهم شهرة «نبوخذ نصر الثاني» الذي أعاد بناء بابل بعد خرابها.

٩. مزمور ١٣: ٧٤.

١٠. أشعيا ٥١: ٩ ، ١٠.

١١. أشعيا ١: ٢٧.

١٢. تل شمرا حاليًا.

١٣. بالنسبة إلى العبارات الواردة في التوراة خاصة بالتنين فقد رجعت إلى مصدرين:

الأول: «الكتاب المقدس» الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط بالقاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٥م.

والثاني Thompson Chain - Reference Bible الطبعة الخامسة والصادر في الولايات المتحدة الأمريكية.. وقد لوحظ الآتي:

الطبعة الصادرة بالقاهرة عن دار الكتاب المقدس، وهي طبعة عربية، وردت فيها كلمة التنين واضحة عند الإشارة إلى هذا الوحش..

أما الطبعة الصادرة في أمريكا فهي باللغة الإنجليزية، ومقابل لها في الطبعة نفسها ترجمة باللغة العربية، وبينما ترد كلمة Dragon كاسم واضح لهذا الوحش تشير ترجمتها العربية في هذه الطبعة - إلى جانب كلمة التنين - كلمات أخرى كترجمة لهذه الكلمة، مثل: الثعابين - بنات آوى - بنات النعام - الذئاب.. ومن أمثلة ذلك:

الفقرة الإنجليزية: And thorns shall come up in the Palaces, nettles and brambles. . in the fortresses therof and it Shall be an habitation of dragons, and a court of owls - Isaiah 34/13 نجدها في ترجمتها العربية في هذه الطبعة، ويطلع في قصورها الشوك والقريض والعوسج في أحضانها فتكون مسكنًا للذئاب ودارًا لبنات النعام..

الفقرة الإنجليزية: And I Will make Jerusalem heaps and a den of dragons, and I Will make the cities of Juda desolate, Without an inhabitant - Jermiah 9/11 نجدها في ترجمتها العربية: واجعل أورشليم رجما ومأوى بنات آوى ومدن يهوذا اجعلها خرابا بلا ساكن».

الفقرة الإنجليزية: Then Wine is the Poison of dragons and the cruel venom asps Deuteronomy 32/33. نجدها في الترجمة العربية «خمرهم حمة الثعابين، وسم الأصلال القاتل».

١٤. الذراع تساوي من ٥ر٤٤سم إلى ٥٢سم.

١٥. القدم ٢٣سم، وفي خرافات غابات الأمازون أنه تعيش هناك حيّة كبيرة طولها ثلاثون مترًا، تغرق الزوارق في الأنهار، وتبتلع البشر.

أعجب ما فيها ذلك الجلد الرخو الذي يغطي الزور، ويتدلى على شكل كيس تستطيع أن تملأه بالهواء - والذي يمكن أن يصبح بخارًا في أوقات الشروق في برودة الجو - كوعيد منها بالدفاع أو الهجوم.. وثار حولها تساؤل: هل يمكن أن يكون هذا الحيوان من نسل التنين القديم؟

هكذا يبدو كيف كان من الصعب على العلماء والعامة على السواء ألا يتأثروا بهذا التاريخ الطويل للتنين، فسعوا - على مر القرون - إلى إثبات حقيقة وجوده على أي شكل يكون.. فإلى أي مدى يمكن أن نذهب معهم؟

لقد أعلنت الكنيسة عام ١٩٧٠م أنه بعد دراسة تاريخية مستفيضة وجدت أن كثيرًا من القديسين الذين يزدحم بهم تاريخ الكنيسة لم يكن لهم وجود حقيقي وعلى رأس هؤلاء القديس «سان جورج - مار جرجس» أشهر «قاتلي التنين» في الميثولوجيا الغربية.. وإذا كانت القصص التي تحاول أن تتخذ مظهر الواقعية كانت تضيف في أصولها أن «سان جورج» كان يقتل تنينًا أسطوريًا.. فهل يمكن أن تنقلب الآية، ويصبح التنين هو الحقيقة إذا كان «سان جورج» هو الأسطورة؟

١٦. حاكم من البطالسة خلفاء الإسكندر.

١٧. أول مؤرخ إغريقي شامل (٤٨٤ - ٤٢٥ ق م).. كتب تاريخ العالم القديم، وجاب الكثير من أقطار الأرض، وتميزت كتاباته بالإشارة إلى الغريب من الأمور، وإن كان قد أشار إلى أنه لا يؤمن ببعضها، وله كتابات شائقة عن رحلاته في بلدان الشرق الأوسط، وشمال إفريقية.

١٨. أبو منجل Ibis طائر صغير كان يقدسه المصريون القدماء؛ لأنه يلتقط الحشرات من الأراضي الزراعية، فيفيدهم في حياتهم اليومية؛ ولذا كان يعدُّ صديقًا للفلاح.

١٩. من أقدم الملاحم الأسطورية، وتحكي عن ملك «أوروك» بالعراق القديم جنوب بابل، حين خرج يبحث عن سر الخلود هو وصديقه «إنكيدو». كما تشير إلى فيضان «نوح» عليه السلام.

٢٠. التيوتيون اسم كان يطلق أحيانًا على الشعوب الجرمانية، التي دأبت على تهديد السلطة في روما القديمة، وفي عصر لاحق شمل الاسم كل من يتكلم اللغة التيوتونية، التي اشتقت منها اللغة الهولندية والفلمنكية والإسكندنافية.

٢١. محارب أسطوري يتسم بالشجاعة، قام لنجدة ملك الدنمارك عندما هاجمه المارد «جراندل»، وتمكن بيولف من قتله هو وتنين كان يستعين به جراندل.. غير أن بيولف أصيب، وقد خلدت حكاياته في ملحمة تحمل اسمه.

٢٢. هم «النورسمن Norsmen» رجال الشمال الذين سادوا في العصور الوسطى أقصى الشمال الأوربي، وسببوا الرعب للدول الأوربية.

٢٣. «الكلت Kelt» أو «السلت Celt»: هم جنس هندي - أوربي عاش وسط أوربا، وامتد سلطانهم غربًا حتى بريطانيا في عصر ما قبل الرومان، ومن لغتهم نشأت اللهجات الأيرلندية والأسكوتلاندية والويلزية

٢٤ - رؤ ٢٠: ٢ - ٣.

٢٥. رؤ ١٢: ٣ - ٤.

٢٦. رؤ ١٣ - ١١.

٢٧. وما أشبه ذلك بما ذكره «إيليانوس» عن تنين الإسكندر.

٢٨. من أحياء مدينة القاهرة.

٢٩. على أطراف القاهرة.

٣٠. عين ماء في حي مصر القديمة بالقاهرة.

٣١. طائر أسطوري لا وجود له.

٣٢. إحدى جزر إندونيسيا.

٣٣. في تقرير حديث أجري عام ١٩٧٠م قدر عدد حيوانات الكومودو بالجزيرة ٥٠٠٠، وصنفه العلماء ضمن رتبة Varanus Komodoensis من ذوي الدم البارد، ويبلغ طوله في المتوسط ثلاثة أمتار، ومن الممكن أن ينقض على فريسته من إنسان أو حيوان، كما أنه لا يأنف من التهام الرمم الباقية من فريسة أخرى، ويملك تنين الكومودو فمًا واسعًا به أنياب حادة، وتعيش في لعابه بكتريا شديدة السمية.

- مجلة «الأفق» اللندنية - نوفمبر ١٩٨٩م.
- أبو الهول: سليم حسن.
- الكتاب المقدس: الترجمة العربية.
- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: القزويني.
- الحيوان: الجاحظ.
- حياة الحيوان الكبرى: الدميري.
- الموسوعة العربية العالمية: ج٧.
- مجلة «المقتطف» أغسطس ١٩١٧م.
- هيرودوت: أ ج إيفانز «ترجمة عربية لأمين سلامة».
- Science Digest, December 1961
- Funk & Wagnalls Standard Dictionary of Folklore, Mythology and Legend
- The New Funk & Wagnalls Encyclopedia.
- "Time" Magazine January 14,1974
- Encyclopedia Britannica
- The World Book Ency
- Dictionary of all Scriptures and Myths G.A. Gaskel.
- Science World Mag. November 1987
- Thompson Chain - Reference Bible



تاريخ السودان في متحف القصر الجمهوري

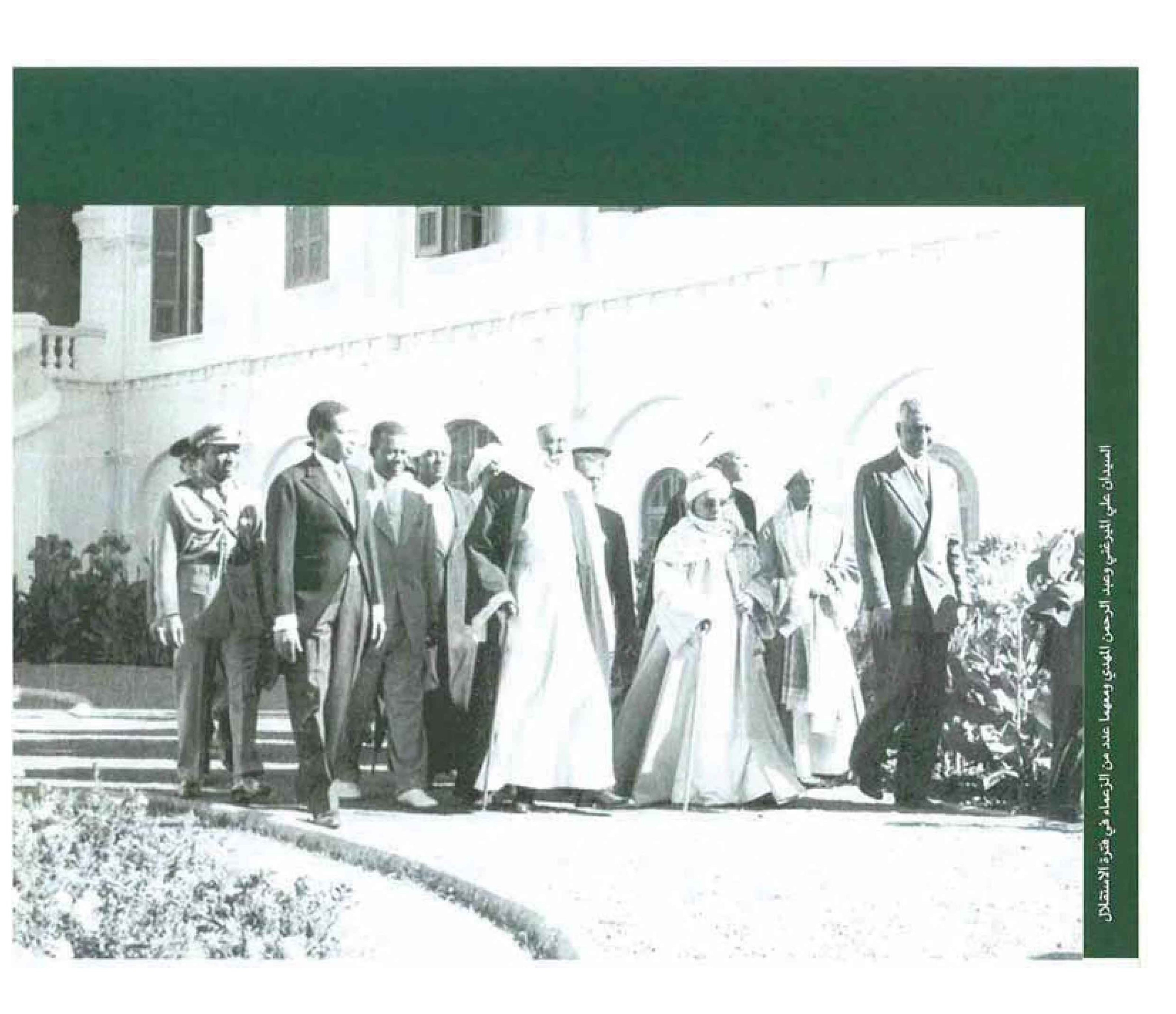
حاتم إبراهيم دينار

الخرطوم ـ السودان

متحف القصر الذي يقع في منتصف العاصمة السودانية الخرطوم في الجزء الجنوبي الشرقي للمبنى الجمهوري، ويطل على شارع الجامعة مواجهًا لوزارة التجارة الخارجية، وحدائق الشهداء، يضم في أحضانه جميع الأحداث والمشاهد التاريخية خلال الحقب المتعاقبة من تاريخ السودان الحديث، ويضم كذلك عدة مقتنيات أثرية وتراثية مختلفة ومتعددة شكلت بوتقة لتوثيق الإرث السوداني وحفظه وعرضه، وجعله متاحًا للجمهور داخل السودان وخارجه؛ للاستفادة منه في أغراض التعليم والبحوث والسياسة.

ولعل قيام المتحف من المباني القديمة للكنيسة الكاتدرائية السابقة، وجعلها جزءًا من المتحف نفسه لإبراز شكل المعمار ونمطه خلال حقبة معينة من التاريخ - زاد من البنية السياحية بصفته يمثل قيمة أثرية ومعمارية دينية قديمة في السودان، وقد تم افتتاح المتحف رسميًا في ٣١ ديسمبر ١٩٩٩م

ومن أهم أقسام المتحف جناح اللوحات الزيتية، والصور الفوتغرافية للحكام والرؤساء في حقبة ما قبل الاستقلال، والعهد الوطني، وسيرهم الذاتية، وجناح السيارات الرئاسية، التي كانت تستخدم في التنقلات الرسمية للسادة الحكام والرؤساء السابقين في السودان منذ الحكم الثنائي (١٨٩٨م - ١٩٥٦م) والحكام السودانيين بعد الاستقلال عام ١٩٥٦م، كما يوجد بالمتحف جناح الأوسمة والأنواط السودانية، وجناح الهدايا الرئاسية، التي أهديت للرؤساء في العهد الوطني، وجناح الآلات الموسيقية، والأواني والأثاثات التي كانت تستخدم داخل القصر الجمهوري في الحقب السابقة، وجناح توثيق فترة النضال الوطني


السيدان علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي ومعهما عدد من الزعماء في فترة الاستقلال

من أجل نيل الاستقلال، كما يضم المتحف كمية من الزخارف والتذكارات في قاعاته المختلفة.

وقد اهتم المتحف بتغطية الجانب المتعلق بالثورة المهدية، فأبرز شخصياتها ومواقعها الحربية وأزياء قادتها وجيوشها وأمرائها، وهي للعلم ثورة دينية في المقام الأول، من أسباب اندلاعها العنف الذي لازم العهد التركي في السودان، وبخاصة حملات الدفتردار والضرائب الباهظة، التي فرضتها الحكومة على الأهالي وطرائق جبايتها، ومن أسبابها أيضًا محاربة الحكومة لتجارة الرقيق؛ مما تسبب في الإضرار بموارد رزق بعض العائلات، كذلك اتباع الحكومة سياسة (فرق تسد)، فعملت على محاباة الشايقية، وميزت الطريقة الختمية. ومن الأسباب أيضًا التي ذكرها الكاتب البريطاني مستر هولت في كتابه الدولة المهدية في السودان بقوله: «إن السخط والتبرم وسوء الإدارة لازمت السودانيين لمدة ستين عامًا، واعتادوا على ذلك فلا بد أن يكون هناك دافع أقوى هو الذي حرك الثورة المهدية عام ١٨٨١م، فحقيقة الثورة المهدية



القصر الجمهوري كما يبدو حالياً

تتلمس ذلك من منشورات المهدية في عهد المهدي وخليفته عبد الله التعايشي حيث وضح من ذلك أن هدف الثورة الأساسي هو تحرير العقيدة الإسلامية من الشوائب التى لحقت بها، ودعوة الملوك والرؤساء للإيمان بمبادئ المهدية، وتشبه المهدي بالرسول صلى الله عليه وسلم في كثير من أعماله. كما أن سياسة دولة المهدية الخارجية كانت تهدف إلى نشر الدعوة في جميع أنحاء العالم باعتبار أنها ثورة عالمية».

فنجد في المتحف صوراً تذكارية لحملة شيكان عام ١٨٨٣م حين عزمت الحكومة على دحر الثورة المهدية،



فأرسلت جيشًا من بقايا العرابيين الذين انهزموا أمام بريطانيا في موقعة التل الكبير عام ١٨٨٢م، وكانت الحملة بقيادة هكس باشا الذي اقترح التريث في الخرطوم، وعدم التحرك نحو الأبيض إلا بعد وصول الدعم الكامل، بينما اعترض الضباط المصريون، وأصروا على التحرك الفوري، كما اقترح هكس اختيار الطريق من نقطة التجمع في الدويم إلى بارا؛ لقصر الطريق ومروره على قبيلة الكبابيش أعداء المهدي، بينما أصر الضباط المصريون على التحرك عبر طريق الرهد الأطول مسافة، والمرور بقبيلتي الغديات والجوامعة انصار المهدي، كما اقترح هكس باشا ترك اثنتي عشرة محطة عسكرية على طول الطريق من الدويم إلى كردفان لتسهيل الانسحاب إذا دعت الظروف، ولكن الضباط المصريين أصروا على التحرك بكامل القوة، فدخل هكس في معركة مع قوات المهدي عند غابة شيكان فنزلت به هزيمة تاريخية، حيث فقد جيشه المكون من اثني عشر ألف جندي. فلم يتبق منهم سوى ٢٥٠ جنديًا فقط.

ويوجد بالمتحف بيانو خاص بغردون باشا الذي تم تعيينه حكمدارًا على السودان بمهمة تتلخص في سحب القوات المصرية، وإقامة حكومة وطنية في البلاد، فغادر غردون القاهرة في ٢٦ يناير عام ١٨٨٤م حاملاً معه فرمانين من الخديوي: ينص المرسوم الأول على تعيينه حكمدارًا على السودان لإعادة الأمن والنظام فيه، والثاني أن يعمل على سحب القوات المصرية، وإعادتها إلى القاهرة، وإقامة حكومة وطنية من أبناء البلاد إلا أن غردون وبمجرد وصوله إلى بربر أعلن انه سيعمل على سحب القوات المصرية من السودان، ومن بربر، فأرسل كسوة شرف للمهدي، ومعها خطابًا يعينه فيه حاكمًا على كردفان، واستلم المهدي رسالة غردون ورد إليه كسوة الشرف مصحوبة برسالة منه أكد فيها أنه المهدي المنتظر، وأنه لا يريد جاهًا ولا سلطانًا. ويدعو فيه غردون إلى اعتناق الإسلام، والإيمان بتعاليم المهدي، وربما وافق على تعيينه حاكمًا على أحد أقاليم السودان. اغتاظ غردون من هذا الرد الذي لم يتوقعه؛

لأنه كان يرى أن مهمته سهلة التنفيذ. غير أنه لم يكن يعرف أن السودان الذي تركه في عام ١٨٧٩م يختلف عن السودان الآن. بعدها بدأ غردون يضع خطة تهدف إلى فصل السودان عن مصر، واقترح على بريطانيا أن تعمل لإدارة شؤون السودان على أن يكون الزبير باشا على رأس هذه الإدارة، وهكذا بدا جليًا أن غردون يتبع هواه وغروره، وضرب بالفرمانات عرض الحائط، وأصر على ألاّ يتم سحب القوات إلا بعد إقامة حكومة قوية.

بدأ المهدي بوضع خطة تهدف إلى محاصرة الخرطوم، ودخولها عنوة، وتم إسناد المهمة إلى محمد عثمان أبو قرجة، وفي الشمال استطاع محمد الخير الغبشاوي محاصرة بربر واحتلالها، والقبض على مديرها حسين بك خليفة، بينما استطاع عثمان دقنة القادم من الشرق قطع طريق سواكن بربر. وبهذا أصبح وضع غردون حرجًا، بحيث انقطعت أمامه الإمدادات وأصبح خروجه إلى القاهرة مستحيلاً.

تحرك المهدي من كردفان متجهًا إلى الخرطوم، وبصحبته نحو ستين ألفًا من الأنصار، وأقام معسكره بضفة النيل الغربية بأبي سعد جنوب أم درمان، وعندما ضاق الأمر بغردون أجبر على تسليم حامية أم درمان للأنصار؛ ليشتد بعدها الحصار على الخرطوم، ويهدد الجوع أهلها الذين أكلوا كل ما تحت أيديهم، وانقطعت الصلة بين غردون والقاهرة، وأصبح معزولاً عن العالم الخارجي.

عندما تأزم الوضع في الخرطوم ارتفعت الأصوات في بريطانيا تنادي بإرسال حملة لإنقاذه، وإزاء ذلك انقسم مجلس العموم البريطاني على نفسه بين مؤيد ومعارض لأن غردون تخطى أوامر رؤسائه، وعليه أن يتحمل تبعات ذلك. وبعد ثلاثة أشهر من المناقشة وافق المجلس على إرسال الحملة التي وكلت رئاستها إلى اللورد ولسلي عضو المجلس، وتحركت الحملة نحو الخرطوم، إلا أن خلافًا نشب بين القادة في أي الطرق يختارون، وأخيرًا تحركت الحملة بمحاذاة النيل، واشتبكت في الطريق بتجمعات من الأنصار عند أبي طليح، وأنزلت بهم هزيمة، ووصلت الأخبار إلى قادة المهدية الذين تشاوروا في الأمر: هل يعودون إلى الغرب أم يعملون على مهاجمة الخرطوم؟ واستقر الأمر أخيرًا على دخول الخرطوم عنوة، وأخذها قبل وصول قوات ولسلي. وما هي إلا فترة وجيزة حتى انهارت حصون الخرطوم تحت ضربات جحافل الأنصار، الذين كانوا على موعد مع النصر في صبيحة السادس والعشرين من يناير عام ١٨٨٥م، وتم قتل غردون مع من قتل من الجنود والأهالي.

أما حملة ولسلي فقد ترامت إليها أخبار سقوط الخرطوم، ومقتل غردون، وهي على مسافة يومين، وتشاور قادة الحملة في الأمر، فالرجل الذي أتوا من أجله لقي مصرعه، واستقر الرأي على أن تعود الحملة إلى إنجلترا، وهكذا دانت البلاد من أدناها إلى أقصاها بسقوط الخرطوم للدولة المهدية الناشئة، وفقد غردون حياته، وفقدت الإدارة المصرية التركية بلاد السودان، وكان لمقتل غردون أثره لدى الرأي العام البريطاني الذي وصف المهدي بالوحشية، وهاجمت الصحف البريطانية

اهتم كتشنر بإعادة بناء الخرطوم التي كانت مقرًا للحكم التركي المصري، والتي هدمت بسقوطها في يد الأنصار، ورحل عنها أهلها إلى أم درمان. فأصدر كتشنر أمرًا للأهالي يدعوهم إلى الانتقال إلى الخرطوم غير أن أغلبية الأهالي رفضوا الإذعان لهذا الأمر



صور لجثث الشهداء في أم دبيكرات

تحرك المهدي من كردفان متجهًا إلى الخرطوم، وبصحبته نحو ستين ألفًا من الأنصار، وأقام معسكره بضفة النيل الغربية بأبي سعد جنوب أم درمان. وعندما ضاق الأمر بغردون أجبر على تسليم حامية أم درمان للأنصار؛ ليشتد بعدها الحصار على الخرطوم

الحكومة لتخليها عن واحد من أعظم أبنائها، إلا أن غردون هو الوحيد الذي يعرف تبعات ما جرى له لغروره.

ويوجد بالمتحف الجمهوري توثيق بالصور واللوحات والملابس وزي الجنود، ونماذج للأسلحة بقسم المتحف الحربي التي استخدمها كتشنر في حملته لاستعادة السودان، أو التي بدأها شمالا عام ١٨٩٦م، وكان معظم جنوده من المصريين، وقد تحملت الحكومة المصرية معظم نفقاتها، فقد استولى على مدينة دنقلا بسهولة. وفي نهاية العام نفسه وصلت الحملة إلى مروي وحلفا

حتى ديار الشايقية، بعدها استولى كتشنر على بربر، والتقى عثمان دقنة على نهر عطبرة حيث نزلت الهزيمة بجيش الأنصار، وانسحب دقنة إلى أم درمان حاملاً أخبار الهزيمة إلى الخليفة عبد الله التعايشي.

بدأت استعدادات الدفاع عن أم درمان عاصمة الدولة المهدية والتقى الجيشان عند كرري في سبتمبر عام ١٨٩٨م حيث انهزم الخليفة، وانسحب بمن معه غربًا، ولم يستطع التقدم إذ اعترضه علي دينار الذي



الحاكم العام البريطاني السير روبرت هاو يعلن الاتفاق المصري - البريطاني حول السودان في ١٢ فبراير ١٩٥٣م



العلم السوداني يرتفع خفاقاً بإعلان الاستقلال ويظهر الزعيمان إسماعيل الأزهري ومحمد أحمد محجوب

انتهز فرصة انشغال الأنصار بالتجهيز لمواجهة جيش كتشنر، وهرب من سجنه في أم درمان متجهًا إلى دارفور، وكانت القوات الغازية في أثره، والتقى الجيشان مرة أخرى في معركة نهارية وفاصلة عند أم دبيكرات بالنيل الأبيض عام ١٨٩٩م، وهناك قتل الخليفة ومن معه من كبار رجالات الأنصار في موقف درامي يحكي

دانت البلاد من أدناها إلى أقصاها بسقوط الخرطوم للدولة المهدية الناشئة، وفقد غردون حياته، وفقدت الإدارة المصرية التركية بلاد السودان. وكان لمقتل غردون أثره لدى الرأي العام البريطاني الذي وصف المهدي بالوحشية

نهاية دولة المهدية وزوالها، وإعلان قيام دولة الحكم الثنائي الإنجليزي المصري.

وتوجد بالمتحف لوحة زيتية للورد كتشنر الحاكم العام للسودان للفترة من يناير إلى ديسمبر عام ١٨٩٩م الذي لم يكن الوقت كافيًا له لإثبات كفاءته الإدارية، ولكنه قام ببعض الأعمال من أهمها فض الإشكال الذي حدث في فشودة بجنوب السودان حين قامت قوة فرنسية بقيادة الضابط الفرنسي مارشند بالتحرك من

الأمر إلى حكومته، وبعد اجتماعات ومباحثات، وافقت فرنسا على سحب قواتها من أعالي النيل، وكان هذا القرار خطوة للتوفيق بين الدولتين وأدى إلى معاهدة الوفاق الودي بين الطرفين عام ١٩٠٤م للوقوف في وجه الخطر الألماني على قارة إفريقية.

كما اهتم كتشنر بإعادة بناء الخرطوم التي كانت مقرًا للحكم التركي المصري والتي هدمت بسقوطها في يد الأنصار، ورحل عنها أهلها إلى أم درمان،


الجيش البريطاني راحلاً إلى بلاده


جموع الشعب السوداني مبتهجة بجلاء القوات الإنجليزية

الكنغو، ودخلت إلى منطقة أعالي النيل، ورفعت العلم الفرنسي على قرية فشودة عام ١٨٩٧م، ولما كان الوجود الفرنسي في ذلك الوقت يعارض سياسة بريطانيا في المنطقة فقد صدرت الأوامر لكتشنر لبحث الأمر، فالتقى القائد الفرنسي، وعرض عليه سحب قواته، فرفض الأخير بحجة أن القرار ليس بيده، ووعد برفع

فأصدر كتشنر أمرًا للأهالي يدعوهم إلى الانتقال إلى الخرطوم غير أن أغلبية الأهالي رفضوا الإذعان لهذا الأمر، على الرغم من أن دواوين الحكومة، والمكاتب العامة، ومقر الحاكم العام كانت بالخرطوم.

صور بالمتحف عكست مقاومة أهالي النوبة للاستعمار من ١٩٠٠ . ١٩٠٩م نتيجة للتناحر القبلي في



جبال النوبة حين استبعدت الحكومة قيام حركات مناوئة لها فمنحت النوبة قدرًا من الحكم الذاتي، وانحصر نشاط الحكومة في إرسال حملات فض النزاعات، وفرض الضرائب، وشهدت تلك الفترة تمرد أهالي جبل الداير، والملك أحمد النعمان بجبل إلكترا، وثورة أهالي تلودي، الذين قتلوا موظفي الحكومة، التي تمكنت من إخماد الثورة بقوة وتم ضم مناطق النوبة إلى مديرية كردفان، أما الفترة من عام ١٩١٤ ـ ١٩٢٠م فقد شهدت ثورة الفكي علي الميراوي، الذي ينتمي إلى منطقة ميري بالقرب من كادوقلي، وشارك في هذه الثورة أهالي الجبال المجاورة، وعرب المسيرة، والحمر، وعندما اشتدت الثورة أقامت الحكومة هدنة مع الثوار من أجل التفرغ لقتال علي دينار في دارفور، ثم عادت، وغدرت بالثوار، وألقت القبض على الفكي علي الميراوي، وسجنته في حلفا لمدة سبع سنوات.

كما توجد بالمتحف صورة زيتية للحاكم العام ريجنالد ونجت عام ١٩٠٠-١٩١٦م الذي كان على النقيض من كتشنر، إذ سعى إلى كسب ثقة مرؤوسيه من البريطانيين، وعمل على استشارتهم في أمور الإدارة، وكذلك الحال مع السودانيين حيث قام برحلات طاف فيها جهات السودان المختلفة، قابل فيها الزعماء والمشايخ، وأبدى ترحيبا بالعرائض التي رفعت إليه، ووعد بالنظر فيها، كما تم إنشاء وكالة الاستخبارات المركزية في الخرطوم في عهده، حيث كان ونجت منذ عام ١٨٨٥م يشغل منصب رئيس هذا الجهاز في القاهرة، وكان الغرض الأساسي من إنشائه جمع المعلومات عن الدولة المهدية، وإرسالها إلى وزارة الخارجية البريطانية، وأصبح المسؤول الأول للجهاز بعد نقل صلاحياته إلى الخرطوم.

وتوجد بالمتحف صورة لجثمان السلطان علي دينار .

سلطان الفور - الذي قتله الإنجليز عام ١٩١٦م، فقد بدأت العلاقات تتوتر بينه وبين المسؤولين في الخرطوم؛ ربما لأن الحكومة بدأت تتخوف من تصرفاته والنفوذ الذي وصل إليه في المنطقة، والذي أغراه بالانفصال عن الحكومة المركزية، ولهذا بدأت بالتباطؤ في إرسال الدعم والمدد له، وسمحت لبعض معارضيه بالإقامة بكردفان حتى يسببوا له القلاقل. وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى أبدى علي دينار عداءه الواضح للحكومة البريطانية، وعمل على تأييد السلطان العثماني، الذي دخل الحرب بجانب ألمانيا ضد بريطانيا وحلفائها، كما عارض علي دينار عزل الوالي عباس حلمي في مصر. كل هذه التصرفات والحكومة تتحين الفرصة للقضاء عليه، وعندما تم مد خط السكة الحديدية إلى الأبيض في عام ١٩١٢م بدأت الحكومة تفكر جديًا في مهاجمة سلطنة علي دينار، فأرسلت إليه حملة بقيادة الأمير لاي هدلسون، الذي تمكن من هزيمة قوات علي دينار، وقتله في عام ١٩١٦م .

كما توجد بالمتحف لوحة زيتية للورد السير لي استاك الذي ازداد الأمر سوءًا في السودان بسبب اغتياله عام ١٩٢٤م بعد أن تمكنت مجموعة من الشبان المصريين من اغتياله، وهو الحاكم العام للسودان، وعندها قام اللورد ألمبي - قنصل بريطانيا في مصر - بإرسال إنذار شديد اللهجة إلى رئيس الحكومة سعد زغلول طالبه بالقبض على الجناة، ودفع غرامة مالية قدرها نصف مليون جنيه، وسحب القوات المصرية من السودان؛ مما أدى إلى تذمر الوحدات السودانية من الطلب الأخير، وتم الاتفاق مع قائد القوات المصرية في الخرطوم إلى عدم الاستجابة لهذا الطلب على أن يؤازر الجنود السودانيون إخوانهم المصريين إذا ماتعرضوا للضغط من القوات البريطانية، خاصة رفض سعد زغلول طلب سحب القوات المصرية من السودان، بعدها ضغطت عليه بريطانيا حتى قدم استقالته، وعندما تولى إسماعيل صدقي رئاسة الوزارة أصدر أمرًا لرفعت باشا قائد القوات المصرية للانسحاب من السودان، وعند بداية تحركها اشتبك الجنود السودانيون مع القوات البريطانية عندما بدأت القوات المصرية بتنفيذ أمر الانسحاب، وقامت الحكومة بالقبض على قادة الثورة: سليمان محمد، وثابت عبد الرحيم، وحسن فضل المولى، وآخرين، وقامت بنفي رئيس الجمعية علي عبد اللطيف وسكرتيرها عبيد حاج الأمين إلى جنوب السودان. وكانت أهداف حركة عام ١٩٢٤م رفع شعار السودان للسودانيين للوقوف أمام السياسات التي اتخذها الحاكم العام جون مافي بغرض تحجيم دور المثقفين بإغلاق الوظائف أمامهم، والاعتماد على الإدارة الأهلية؛ لأن المثقفين احتجوا على ارتماء الطائفية في أحضان الحكومة البريطانية، التي أخذت تستميل الزعامات القبلية، والطائفية كما أن معظم أعضاء مؤتمر الخريجين كانوا ينادون بوحدة وادي النيل، ومنذ عام ١٩٢٥م أصيب المثقفون بخيبة أمل، مع

حلية تقليدية من مقتنيات المتحف

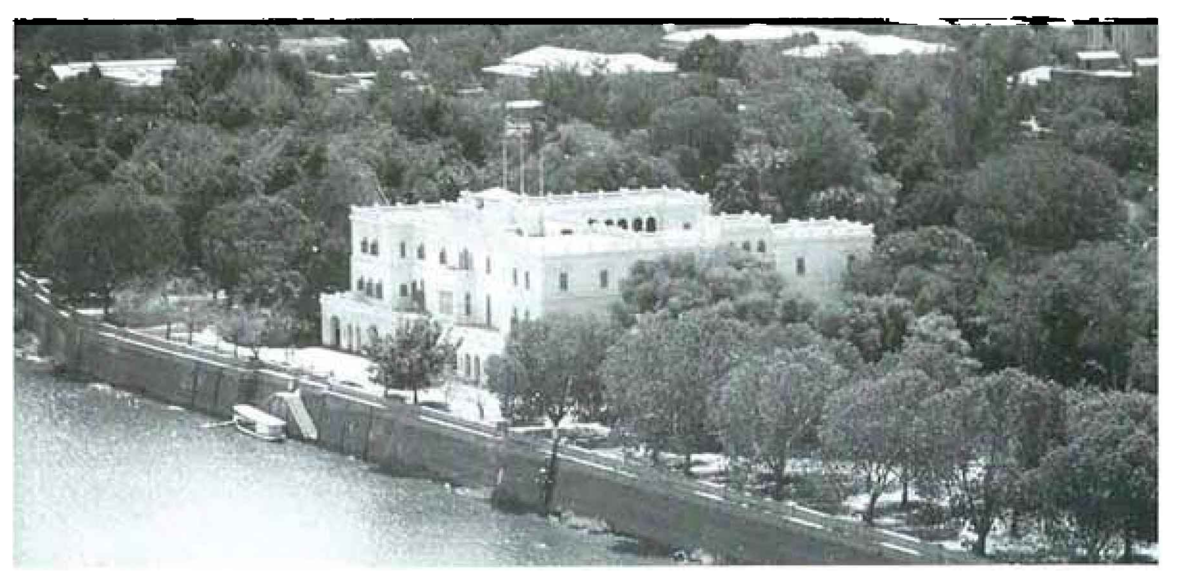


ذلك أيقنوا بأن مصر هي الخليفة الوحيد للسودان.

وتوجد بالمتحف صور تذكارية لرموز حركة عام ١٩٢٤م، وقد نجحت حركة عام ١٩٢٤م في إثارة الرأي العام الداخلي ضد السياسة البريطانية، على الرغم من أن بعضهم وصف حركة العشرينيات بأنها واجهة ودعاية للأغراض المصرية، إلا أن حركة عام ١٩٢٤م كانت حركة سودانية في المحتوى والمضمون، وتأثرت بحركة النضال المصري ضد الاستعمار

الذي شهد عهده تطورًا في علاقاته بالمثقفين، ولوحة لروبرت هاو، ولوحة للورد كرومر المندوب السامي البريطاني لمصر، ولوحة زيتية للملك فاروق ملك مصر والسودان ولوحة للملك فؤاد عام ١٩١٧-١٩٣٦م، وتماثيل من البرونز للحاكم ونجت باشا، وكتشنر.

صور نادرة أيضًا يضمها المتحف لرموز حركة الخريجين عام ١٩٢٨م التي تعدّ امتدادا لثورة عام ١٩٣٤م، التي وجه فيها الحاكم العام استيورت سايمز



صورة عامة للقصر في العهد البريطاني

البريطاني، وعلى الرغم من ذلك لم تجد الدعم والتأييد الشعبيين؛ لأنها كانت حركة صفوة رفضت التعاون مع الطائفية والقبلية؛ مما أفقدها السند الجماهيري؛ بسبب انعدام الوعي القومي آنذاك.

كما توجد بالمتحف لوحات زيتية للحاكم العام ستيوارت سايمز الحاكم العام للسودان عام ١٩٣٣م خلفًا لجون مافي

دعوة إلى المثقفين داعيًا إياهم إلى تكوين مؤتمر يمثلهم، ويعمل على حل مشكلاتهم بالتعاون مع الحكومة. وفي عام ١٩٣٧م تم طرح عدة اقتراحات لتكوين المؤتمر، فكان اقتراح السيد عبد الرحمن المهدي يدعو إلى تكوين مجلس استشاري من الزعماء، كما دعت مجلة الفجر إلى تكوين مؤتمر قومي تقدمي. واقترح نادي

الخريجين بأم درمان تكوين هيئة تجمع شتات المثقفين، بينما أعاب محمد خير وزملاؤه في مدني جري الخريجين وراء مصالحهم الخاصة، ونادوا بتكوين هيئة قومية تخدم المصالح العامة.

وأخيرًا، وبعد جدل تم الاتفاق على تكوين المؤتمر عام ١٩٣٨م من عضوية بلغت ١١٨٠ عضوًا قاموا باختيار المجلس الستيني، الذي انتخب اللجنة التنفيذية المكونة من ١١ شخصًا برئاسة السيد إبراهيم أحمد، وسكرتارية السيد إسماعيل الأزهري، وقد قبلت الحكومة بهذا التكوين، ورحبت به على ألاّ يتدخل في الشؤون السياسية.

بدأت العلاقة بين المؤتمر والحكومة حميدة، ومنح المؤتمر فرصة إصدار جريدة باسمه، وأصبح له برنامج في الإذاعة. وقام المؤتمر بفتح مدرسة، غير أن العلاقة بدأت بالتدهور بسبب زيارة علي ماهر رئيس وزراء مصر للسودان عام ١٩٤٠م واجتماعه بلجنة المؤتمر في داره بأم درمان دون إذن من الحكومة، ليرفع المؤتمر مذكرة للحكومة عام ١٩٤٢م مطالبًا بحق تقرير المصير للسودانيين، وإلغاء قانون المناطق المقفولة، ونادى بتوحيد المناهج التعليمية بين الشمال والجنوب، وإيقاف دعم الحكومة للجمعيات التبشيرية المسيحية، وتوحيد شطري البلاد، وتعيين السودانيين في الوظائف القيادية، ولم تقبل الحكومة بهذه الفكرة، وعدّت ما جاء فيها تدخلاً في الشؤون السياسية.

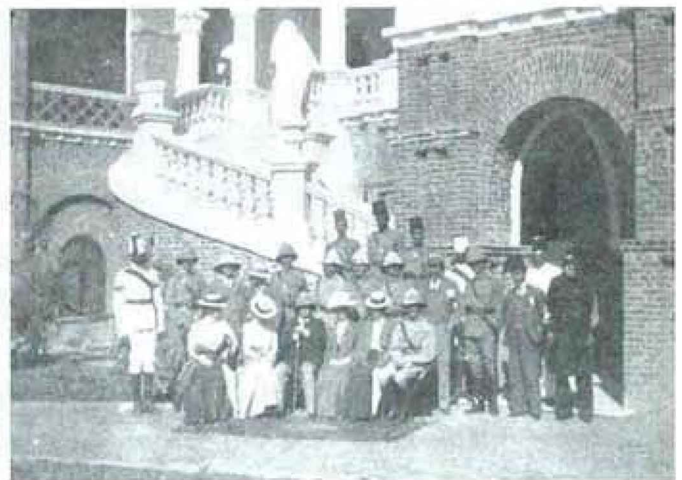
أصرّ إسماعيل الأزهري وجماعته على مطالبهم، فانقسم المؤتمر بين مؤيد ومعارض، وكوّن الأزهري مع المتطرفين حزب الأشقاء، وكون المعتدلون حزب الأمة برئاسة المهدي، وقام الميرغني ببسط رعايته على حزب الأشقاء. وقد سعت حكومة السودان عام ١٩٤٤م إلى تكوين المجلس الاستشاري لشمال السودان لخلق جهاز مناوئ للمؤتمر، وتكون المجلس من الحاكم العام والسكرتيرين بجانب ٢٨عضوًا شماليًا، وأعضاء شرف هم السيد الميرغني، والمهدي، وقاطع حزب الأشقاء المجلس لعدم ضمه أعضاء من جنوب السودان. عمومًا كانت كل من حركة عام ١٩٢٤م، وحركة عام ١٩٢٨م تهدفان معًا إلى محاربة النفوذ الأجنبي في السودان، ومهدتا الطريق لاستقلال السودان من دولتي الحكومة عام ١٩٥٦م. ويضم المتحف الجمهوري صور توثيق تلك الفترة.

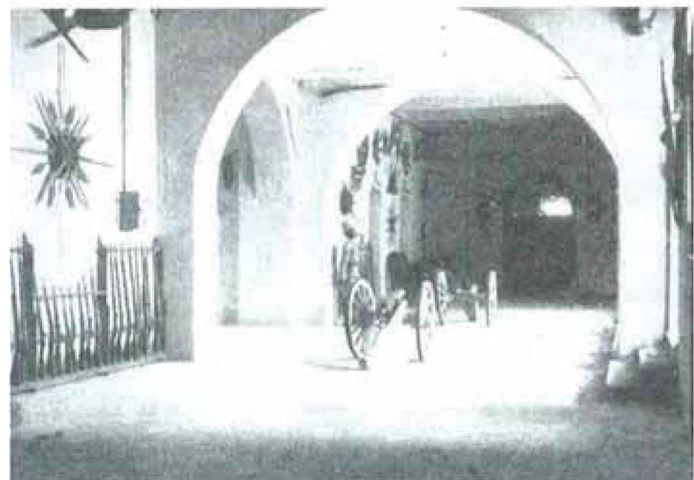
كما يضم المتحف صورًا تذكارية لمؤتمر جوبا عام

جندي سوداني يعزف موسيقا القربة









أعلى: الجانب الجنوبي من القصر واستعراض لحراس القصر، أسفل: مجموعة من البريطانيين يتوسطهم اللورد كرومر، في المكان الذي شهد مقتل غردون باشا

١٩٤٧م عندما وجه السكرتير الإداري روبرتسون الدعوة إلى بعض الشخصيات الجنوبية والشمالية في السودان لحضور المؤتمر الذي سوف ينعقد في جوبا لمناقشة مسألة جنوب السودان، بحضور مدير شؤون الخدمة، وثلاثة عشر من المثقفين الجنوبيين، وستة من الشماليين، وانتهت جلسات المؤتمر بموافقة الجنوبيين على الوحدة مع الشمال، وبدأت الحكومة التمهيد لتنفيذ قرارات المؤتمر، فأدخلت تدريس اللغة العربية في مدارس الجنوب، وأرسلت بعض الطلاب الجنوبيين إلى الدراسة في كلية

اهتم المتحف بإبراز الجانب المتعلق بالثورة المهدية. فأبرز شخصياتها ومواقعها الحربية وأزياء قادتها وجيوشها وأمرائها. وهي للعلم ثورة دينية في المقام الأول. من أسباب اندلاعها العنف الذي لازم العهد التركي في السودان

غردون بالخرطوم بدلاً من جامعة ماكريري في يوغندا.
غير أن السياسة التي اتبعتها بريطانيا في جنوب السودان من عام ١٨٩٩م شككت الجنوبيين في صدق نيات الشماليين؛ لذلك عارض بعض الساسة الجنوبيين منح السودان استقلاله مطالبين بتأجيل ذلك حتى يصل الجنوب إلى المرحلة الحضارية التي وصل إليها الشمال، لذلك واجهت أول حكومة وطنية التمرد الذي قادته بعض الفصائل الجنوبية عام ١٩٥٥م.

ويضم المتحف كذلك صورًا تذكارية لاتفاقية مياه النيل عام ١٩٢٩م حين لم تتخذ بريطانيا أي خطوات لتحديد أراضي الجزيرة، التي تروى بمياه النيل، وكان هدفها من ذلك زيادة مساحة الأراضي مستقبلاً إذا دعت الحاجة؛ مما أدى إلى اعتراض مصر على تلك الخطوة، وهذا الأمر أدى إلى تكوين لجنة دولية عام ١٩٢٥م لدراسة مشكلة مياه النيل بين مصر والسودان، وفي عام ١٩٢٩م تم عقد اتفاقية مياه النيل بين بريطانية ومصر نصت على منع حكومة السودان من إقامة أي مشروع للري يؤثر في مصالح مصر، أو يخفض مياه النيل الواصلة إلى مصر، أو تغيير مواعيد وصولها، كما سمحت حكومة السودان لمصر بإقامة أي مشاريع للري، تعود عليها بالفائدة بشرط أن تكون مسؤولة عن إدارتها وصيانتها.

نجد في المتحف صوراً تذكارية لحملة شيكان عام ١٨٨٣م حين عزمت الحكومة على دحر الثورة المهدية، فأرسلت جيشًا من بقايا العرابيين الذين انهزموا أمام بريطانيا في موقعة التل الكبير عام ١٨٨٢م، وكانت الحملة بقيادة هكس باشا

وكان مشروع الجزيرة قد اكتمل عام ١٩٢٥م بعد الفراغ من بناء خزان سنار، وزاد المشروع من دخل الحكومة؛ مما أدى إلى تحسين الخدمات الضرورية، وزادت شهرة السودان في الخارج، وقلل المشروع من المجاعات؛ لأن ثلثي المشروع خصصا لزراعة القطن، وتم استخدام الثلث المتبقي في زراعة الذرة واللوبيا، مما مكن المشروع من إمداد البلاد بمحصول نقدي، ومحاصيل غذائية، وساعد على تحسين معيشة السودانيين داخل السودان، وخارجه، خاصة في نيجيريا، وأسهم في ازدهار مدينتي مدني وسنار، وساعد على تطوير خدمات المواصلات والصحة والري والتعليم، وفتح أبواب الاستثمار الأجنبي في السودان فأدخلت شركة شل خدماتها إلى السودان، وأمدت شركة النور أم درمان بالكهرباء عام ١٩٢٦م، والماء عام ١٩٢٧م، كما تم اكتمال بناء كبري النيل الأبيض.

صور تذكارية عن قيام الجمعية التشريعية وتكوينها في عام ١٩٤٨م، فقد نص قانون ذلك العام على إنهاء المجلس الاستشاري لشمال السودان، وتم تكوين الجمعية التشريعية من ٥٤ عضوًا، بالإضافة إلى عشرة أعضاء يعينهم الحاكم العام، على ألا تتداول في الجمعية أربعة موضوعات مهمة هي: الحكم الثنائي، والدستور، والسياسة الخارجية، والجنسية السودانية.
ترتب على ذلك احتجاج مصر على محاولة بريطانيا الانفراد بالسودان، وأعلن النحاس باشا - رئيس الوزراء في ١٩٥١م - إلغاء معاهدة عام ١٩٣٦م الموقعة مع بريطانيا، وإلغاء اتفاقية الحكم الثنائي عام ١٨٩٩م، وإعلان الملك فاروق ملكًا على مصر والسودان.

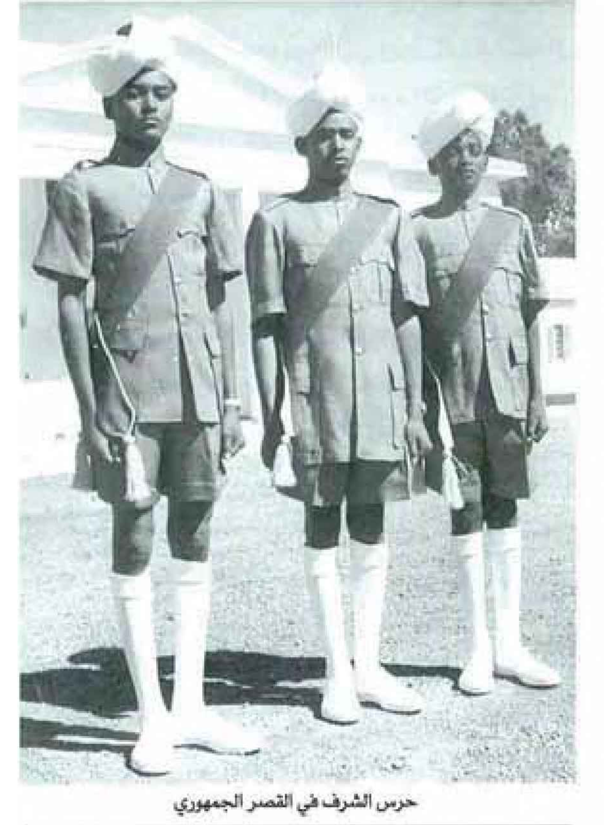
صور تذكارية لاتفاقية الحكم الذاتي في ١٢ يناير عام ١٩٥٣م التي مهدت لاستقلال السودان، فقد نصت الاتفاقية على إقامة حكم ذاتي كامل في السودان، تمتد

إلى فترة انتقالية مدتها ثلاثة أشهر، ومنح حق تقرير المصير للسودان، على أن يختار السودانيون عقب الفترة الانتقالية بين الاستقلال التام أو الوحدة مع مصر مع إعلان الحكومتين البريطانية والمصرية حرصهما على وحدة السودان. وقد كونت هذه الاتفاقية ثلاث لجان، هي لجنة الحاكم العام، ولجنة الانتخابات، ولجنة السودنة. وقد

إحدى السيارات العتيقة

عقدت أول انتخابات في نهاية عام ١٩٥٣م، فاز بها الحزب الاتحادي، وكون الأزهري أول حكومة. فأعلن البرلمان بالإجماع استقلال السودان في ديسمبر عام ١٩٥٥م وأصبح حرًا مستقلاً منذ الأول من يناير ١٩٥٦م.

ويوثق المتحف بين جدرانه صورًا للجمعية التشريعية عام ١٩٤٨م، واتفاقية الحكم الذاتي في ١٢ فبراير عام ١٩٥٣م، وأول حكومة وطنية في ٩ يناير عام ١٩٥٤م، ومجلس السيادة الأول في ديسمبر عام ١٩٥٥م، والحكومة الوطنية الأولى عام ١٩٥٤م، وحكومة عبد



حرس الشرف في القصر الجمهوري

الله خليل عام ١٩٥٦-١٩٥٨م وثورة ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٤م، وفترة الصادق المهدي الأولى عام ١٩٦٦-١٩٦٧م، ومحمد أحمد محجوب عام ١٩٦٧-١٩٦٩م، وجعفر نميري عام ١٩٦٩-١٩٨٥م، والحكومة الانتقالية برئاسة سوار الذهب عام ١٩٨٥-١٩٨٦م، والديمقراطية الثانية عام ١٩٨٦-١٩٨٩م، والإنقاذ بقيادة عمر البشير

منذ عام ١٩٨٩م حتى الآن، وكلهم تعاقبوا على القصر الجمهوري، وتحولت آثارهم إلى متحف القصر

وتوجد بالمتحف ترابيز ومنضدات مع كراسيها



رجل شرطة يؤدي التحية

الوثيرة، مثل منضدة اجتماعات اتفاقية السودان عام ١٩٥٣م، ومنضدة رئاسية من الخشب ذات زخارف نحاسية استخدمها إسماعيل الأزهري، وإبراهيم عبود للتوقيع على أهم اتفاقاتهما، ومنضدة أخرى زجاجية وثيرة استخدمها الراحل جون قرنق للتوقيع على الدستور الانتقالي في العام الماضي ٢٠٠٥م

ويوجد بالمتحف جناح للسيارات الرئاسية التي كانت تستخدم في التنقلات الرسمية للسادة الحكام والرؤساء السابقين في السودان من الحكم الثنائي والحكام السودانيين بعد الاستقلال، أهمها سيارة ماركة همبر الإنجليزية، وكانت خاصة بتنقلات الحاكم العام استيوارد سايمز، وكان تاريخ دخولها السودان عام ١٩٣٥م وأيضًا سيارة رئاسية ماركة رولزرولس دخلت السودان عام ١٩٥٢م، وكان يستخدمها الحاكم العام روبرت هام، وأيضًا سيارة رئاسية أخرى من النوع نفسه دخلت السودان عام ١٩٥٥م استخدمها الحاكم العام نوكس هولم، وأيضًا سيارة رئاسية ثالثة من النوع نفسه رولزرولس دخلت السودان عام ١٩٦٠م في عهد الرئيس الأسبق إبراهيم عبود. يضم المتحف أيضًا سيارات من ماركات عالمية أخرى دخلت السودان ليستخدمها الرئيس الأسبق جعفر محمد نميري.

كما يوجد جناح غاية في الروعة والجمال خاص بالآلات الموسيقية، يعكس عادات وتقاليد سودانية حيث تجد مثلاً الـ (توم) من جنوب السودان، وهو آلة وترية ،وهناك طبل خاص بالصياد يضرب في أثناء انتظار ملء الشباك بالأسماك، وهو يرمز إلى الدقة، وهناك نقارة أم بقوم، وهي آلة إيقاعية من غرب السودان، وآلة الطمبور من شمال السودان، وهو آلة وترية.

كما يوجد بالمتحف قسم لعرض معدات وأواني الطعام لكل قبيلة، حيث نجد أواني إعداد القهوة لقبائل شرق السودان، وقسم يعرض الأزياء التي تلبس من قبل سكان القبائل المختلفة، فمثلا تجد زي البجة الخاص بالمرأة والرجل، وقسم يعرض أدوات (الجرتق) الخاصة بمراسم إتمام الزواج في السودان وعاداته وتقاليده ، كما تعرض بالمتحف مجموعة من الأواني الخاصة بجمع المحاصيل من الحقول، ومعدات خاصة بالرحيل، كزينة الدواب وملحقاتها.



الحب في زمن لا يعرف الحب

محمد مهدي الحمادي

القطيف - السعودية

يعيشُ رسمكِ في قلبي طواعيةً
فأنتِ أعذبُ أنغامٍ على شفتي
يا قمةَ الطهرِ، يا حلمًا يداعبني
رُشي الودادَ على لحني وأغنيتي
لم يبقَ لي حلمٌ، لم يبقَ لي أملٌ
قد ضاعَ كلُّ المنى حتى على لغتي
بقيتُ وحدي إذن، والبعدُ مزّقني
وصارَ جيشُ الأسى يغتالُ أمنيتي
وأنتِ وحدكِ، في جرحٍ وفي سأمٍ
وأنتِ وحدكِ نبضٌ في مخيلتي
فلا الدموعُ ستطفي حرَّ أعيننا
ولا الفراقُ سيلغي الحبَّ فاتنتي!!
أظنُّ أن جحيم البعد يحرقني
فلتطفئيه إذا دوّى بأروقتي
لا لم يكن حبي العملاق من ورقٍ
بل كانَ طهراً وإيمانًا بأوردتي
كذاكَ أنتِ جمالٌ طاهرٌ عَذبٌ
وسوفَ تبقينَ في أوزانِ قافيتي

وكيفَ يصبحُ هذا الحب فوّهةً
من العذابِ؟، ويلوي كلَّ أشرعتي
وهل نعيشُ على ذكرى تدمّرنا؟
ونستفيقُ على أطياف مشنقةٍ؟
(أنا أحبكِ) والأيامُ شاهدةٌ
وإن بعدكِ عني طيفُ مقبرتي
(أنا أحبكِ) ليتَ الريح تأخذني
إليكِ، والشوقُ ها قد صارَ مركبتي
(أنا أحبكِ) في حزني وفي فرحي
وفي شموخي، وفي عزمي، وتضحيتي
لا تتركيني فإني شاعرٌ وَلِهٌ
وإنني خاتمٌ في كفِ ساحرتي
فإن رماني الهوى في أي مملكة
فلن تكونَ سوى ذكراكِ مملكتي



أنداء الذكرى

محمود أسد

حلب ـ سورية

رسَمَ الشـعـرُ صِبـاها واصطفـاها

مـا رأى لحظي بهـاءً في سِـواها

أيُّ دُرٍّ؟ أيُّ سِـحْـرٍ مـوقظٌ

فـتنةَ الروحِ؟ ومُـغْـطٍ مـحـتـواها

ألـهَـمَـتْ دُرَّ المثـاني، ومَـضَـتْ

تفـرشُ الدربَ بأحـلامِ صِـبـاها

لـمْ تـكـنْ لـلـعـينِ إلاَّ نـورَهـا

فـإذا الـليلُ مُـشِـعٌ مِنْ سناها

ردَّدَتْ نجوى قـصـيـدي واطلـ

لَتْ بشـوقٍ ترجـمَـتْـهُ مُـقْلَتـاها

فـرَّجَتْ عنّي هـمـومًـا وسَـقَـتْـ

ني أحـاديث الجـوى عـذبًا جَناها

كم تسـاقَـيْنا تبـاريحَ الهـوى

وتسـابَقْنا، عـسى نطفي جـواها

كم تبـادلنا كـراريسَ المنى

فـحـفظْنـاها، وذبْنا في لظاها

تلكَ أجـفـانٌ على الودِّ تعـيـ

شُ، ولم تُبْـدِ لنا حظًّا كـواها

إنَّهـا في البـالِ أنداءٌ، سَـقَـتْ

واسـتَـقَـرَّتْ، هي غـيثٌ لا يضـاهى

كم حـديثٍ صـارَ شـعـرًا، كم حسـو

دٍ على البـابِ وقـد عضَّ الشـفـاها

تلكَ أسـفـارٌ من العـمـرِ، تبْـد

دتْ وصـارَتْ ذكـريات. مـن رآها؟

أنْتِ مـن ألهَبَ أمـسـي وغـدي

وادَّعَتْ أنّي المجـافي لهـواها

لم تَزَلْ يعضَ قـ ـ ـاصـاتٍ، فـمنْ

قـرا الشـوقَ؟ ومَنْ منَّا مـحـاها؟





الأسد

يفجيني زمياتين *

حسين عيد مادي

الجيزة – مصر

بدأ الأمر كله بحدث مذهل بشكل كامل، وحتى نكون منصفين، فإن الأسد ملك الغابة العظيم، كان مخمورًا فاقد الحس، بعد أن تعثر في قوائمه الأربع، وانقلب على جانبه. كان الأمر كارثة كاملة.

كان الأسد طالبًا في جامعة لننجراد، ويعمل ايضًا بشكل إضافي في مسرح الباليه. وقد ارتدى من اجل حفلة اليوم جلد أسد، حيث كان من المفترض ان يظل واقفًا على جرف ينتظر حتى تصرعه حربة ترميها بطلة الباليه ليسقط الأسد المقتول بعيدًا عن الجرف على خشبة بعيدًا عن خشبة المسرح. كان الأمر قد مضى على ما يرام في البروفات، لكن حدث اليوم فجأة، في يوم حفل الافتتاح، قبل ساعة ونصف من رفع الستار، أن ارتكب الأسد هذا الضرر البهيمي. ليس هناك ما يمكن عمله، ولا يمكنهم ان يلغوا الحفل، لأن مفوّض الحزب الشيوعي من موسكو سيأتي. عقد اجتماع طارئ في مكتب «المخرج الأحمر».

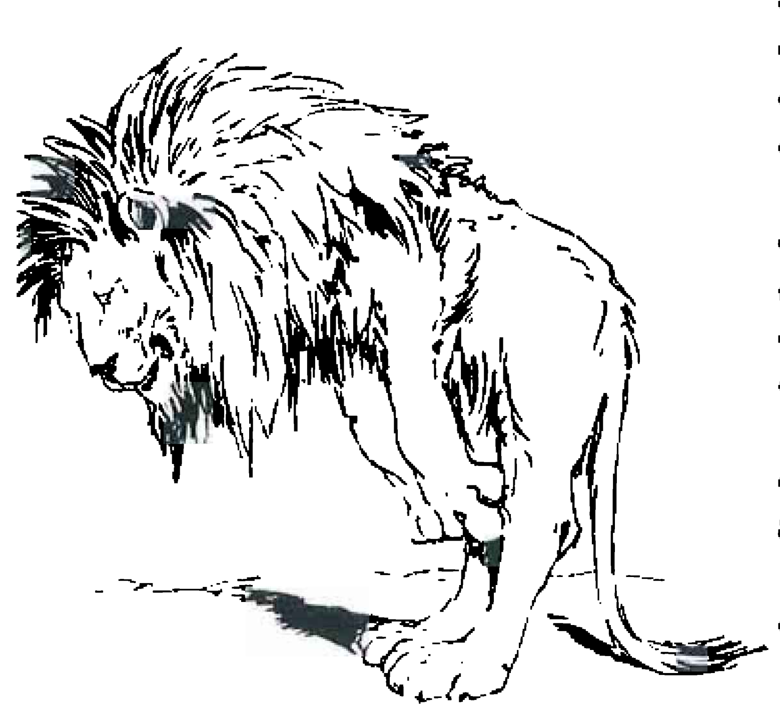
كانت هناك دقة على الباب، ثم دخل رجل إطفاء المسرح بيتيا زربياكين. صرخ فيه المخرج الأحمر، الذي صار الآن احمر في الحقيقة من الغضب «ماذا تريد؟.. ليس لديّ وقت الآن! فلتذهب إلى الجحيم!»

«الرفيق المخرج.. إنني هنا بسبب الأسد» قال رجل الإطفاء:

«حسنًا، وماذا عن الأسد؟»

«حسنًا، أعني ان اسدنا مخمور، ولذلك أريد، أيها الرفيق المخرج، أن أقوم بدور الأسد».

لا أدري إذا ما كان للدببة بقع وعيون زرقاء. إذا كان الأمر كذلك، فإن زربياكين الضخم، في حذائه ذي الرقبة الذي يشبه قالبًا حديديًا، والذي يشبه شكل دبّ أكثر منه شكل أسد . هل يمكنه



عندئذ بمعجزة ما، أن يقوم بدور أسد؟ أقسم الرجل أنه يستطيع؛ لأنه راقب كل البروفات من جوانب خفية من المسرح، كما أنه حين كان في الجيش مثّل في «الإمبراطور مكسيمليان». ومن دون أن يظهر مدير المسرح ابتسامة ملتوية، أمر المخرج زربياكين أن يرتدي مسوح الأسد، وان يقوم بتجربة.

وخلال عدة دقائق، كان الموسيقيون يعزفون «مارش الأسد»، بهدوء على المسرح فعلاً. وقد أدّى زربياكين في جلد الأسد، كما لو أنه لم يولد في مقاطعة ريازان، بل في الصحراء الليبية. لكن في اللحظة، التي كان عليه ان يسقط فيها من الجرف. نظر إلى أسفل، وتردد.

«اسقط، عليك اللعنة، اسقط» هسهس مخرج المسرح فيه بهمسة عنيفة.

جاء انهيار الأسد بامتثال. سقط بشكل عنيف على ظهره، ورقد هناك، غير قادر على أن ينهض. «لا تقل لي: إنك لا تستطيع أن تنهض! لا تقل لي ذلك ثانية في اللحظة الأخيرة، إنها كارثة!»

ساعدوه على النهوض. ووقف هناك بعد أن خلع جلده شاحبًا، ممسكًا ظهره، وهو يبتسم بارتباك. ومع ذلك كان قد فقد سنًا علوية، وبدت هناك ابتسامته حزينة وطفولية (على الجانب الآخر، فهناك دائمًا شيء طفولي حول الدببة، أليس كذلك؟!) لم تكن إصابته خطيرة لحسن الحظ. وحين طلب بعض الماء، أمر المخرج بأن يحضروا له فنجانًا من الشاي من مكتبه. حين انتهى من شربه بدأ المدير يستعجله. «حسنًا، أيها الرفيق، لقد جعلت من نفسك أسدًا. ارتدى الجلد! هيا ارتدي الجلد، ارتدي الجلد؛ لأننا سنبدأ حالاً».

رفع شخص الجلد بميل للمساعدة، لكن الأسد لم يكن يرغب في أن يرتديه. أعلن بثبات، وعلى نحو قاطع، أنه لا بد أن يغادر المسرح فورًا. ورفض أن يقول ما هي تلك الضرورة الملحّة التي تجبره على ذلك، بل ابتسم خجلاً فقط. غلى المخرج من الغضب. حاول أن يأمر، حاول أن يذكّر زربياكين بأنه عضو مرشح في الجماعة، عنصر حاسم، لكن الأسد، العنصر الحاسم أصرّ بثبات على موقفه، وفي النهاية، كان لابد أن يرضخ المخرج، بينما يعرض زربياكين ابتسامة من خلال فجوة سنّه، وهو يهرول إلى مكان ما خارج المسرح.

«إلى أين سيأخذه الشيطان؟» تساءل المخرج محمّرا مرة أخرى من الغضب. «ما هي تلك الأسرار التي لديه؟».

لم يتمكن أحد من أن يجيب المخرج الأحمر. كان السرّ معروفًا فقط لبيتيا زربياكين، وبطبيعة الحال لمؤلف هذه القصة. وبينما كان زربياكين يسرع إلى مكان ما خلال خريف بتسبرج الممطر، يمكننا أن نرجع في الزمن إلى الوراء، إلى تلك الليلة من شهر يوليو، حين ولد سرّه.

لم يكن الليل قد بدأ بعد في تلك الليلة، بل كان النهار مازال شاحبًا برفق لوهلة، مثل مسير جندي يتوارى دون أن يوقف سيره، أو حين يختلط الواقع والحلم، وهو هاجع في نومة خفيفة أمام قنوات مياه لامعة قرنفلية اللون، انقلبت على صفحتها أشجار، نافذة، أعمدة، بتسبرج. وفجأة مع نسيم عليل اختفت بتسبرج لتحل محلها لينينجراد، العلم الأحمر مرفرف على قصر الشتاء موقظ الريح، وإلى جواره في نوبة حراسة في حديقة ألكساندر، كان هناك ضابط شرطة بمسدس.

تجمّع مجموعة من عمال الترام تدريجيًا حول

ضابط الشرطة. كان يمكن أن يرى من وراء ظهورهم وجه ضابط الشرطة مستديرًا، مثل تفاحة من ريازان: كان هنا كشيء غريب يحدث، كانوا يجذبون ضابط الشرطة من يديه وظهره، وأخيرًا اقترب أحد العمال بشفتيه، وقبّل بنعومة وجنة الضابط. احمرّ وجه ضابط الشرطة، ونفخ بعنف في صفارة، فتفرق العمال. بقي بيتيا زربياكين وحده وجهًا لوجه مع ضابط الشرطة. وسرعان ما اختفى ضابط الشرطة، فجأة تمامًا مثلما اختفت بتسبرج المنعكسة على صفحة الماء مرعوبة من الريح. كانت أمام زربياكين قبعة فتاة ضابطة شرطة، بسترة الضابطات القصيرة، أول ضابطة شرطة عينت في بيسكي بروسبكت بواسطة الثورة. برز حاجباها السوداوان معًا عبر قنطرة أنفها، بينما ومضت عيناها.

«يجب أن تخجل من نفسك، أيها الرفيق!». كان ذلك هو كل ما قالته لبيتيا زربياكين، لكن، أوه، كيف قالته؟ كان قد تشوّش، بدأ يشعر بالذنب.

«أقسم بالله إنه ليس أنا! لقد كنت ماضيًا فقط إلى البيت..»

«آه، إنه أنت.. واحد العمال!» نظرت ضابطة الشرطة إليه. لكن، أوه، كيف نظرت إليه؟

لو كان هنا على الرصيف باب فخّ، كالذي لديهم هناك على خشبة المسرح، لكان زربياكين قد غاص خلاله فورًا ليكون ذلك هو استعباده، لكن كان عليه أن يمشي ببطء مبتعدًا، شاعرًا بنظرة حارقة تخترق ظهره.

وكان اليوم التالي، مرة أخرى ليلة شاحبة، ومرة أخرى كان الرفيق زربياكين يمضي في الطريق إلى منزله من عمله في المسرح، ومرة أخرى كانت هناك نوبة حراسة ضابطة الشرطة لحديقة ألكساندر. أراد زربياكين أن يتسلل منصرفًا عبرها، لكنه لاحظ نظرتها إليه، فانحنى مشوّشًا بإحساس بالذنب، فاومأت. وانعكس ظل باهت على صلب مسدسها، الذي بدا من صلب قرنفلي اللون. وأمام هذا المسدس القرنفلي، أصبح زربياكين أكثر جبنًا عمّا كان عليه أمام كل المسدسات، التي أطلقت عليه لمدة خمس سنوات في جبهات مختلفة، لكنه لم يجرؤ على أن يتحدث مع ضابطة الشرطة، إلاّ بعد مضي أسبوع. اتضح أنها أيضًا، مثل زربياكين، كانت من مقاطعة ريازان، وأنها لا تزال تتذكر تفاح ريازان الخاص بها، الحلو مع بعض المرارة، فأنت لا يمكنك أن تجد تفاحًا مثل ذلك في الجوار هنا.

أصبح زربياكين، يتوقف عند حديقة ألكساندر، في كل مرة يعود فيها من العمل. وانقضت الليالي الشاحبة مجنونة، خضراء، قرنفلية، ورصاصية. سماء ملونة، لم تتحول إلى الإظلام، حتى ولو لثانية واحدة. كان هناك أزواج يتعانقون في الحديقة، لكنهم يسعون خلال النهار إلى الظلال، حتى إنهم قد لا يرون في ليلة مثل ذلك، سأل زربياكين ضابطة الشرطة، بشكل أخرق مثل دبّ:

و«إذن، للمثال، هل يمكنك كضابطة شرطة أن تتزوجي، خلال قيامك بأداء مهامك؟ أقصد ليس خلال أداء مهامك، لكن بشكل عام أي مع أخذ وظيفتك في الحسبان مثل العسكرية»، و«لماذا أتزوج؟» سألت الضابطة كاتيا، منحنية على مسدسها «نحن، في هذه الأيام، مثل الرجال، نرغب، ونحب».

كان مسدسها قرنفلي اللون. رفعت ضابطة

الشرطة وجهها إلى سماء مشتعلة بالحمى، ثم نظرت إلى ما وراء زربياكين، وقالت:

«وللمثال، إذا وجد هناك ذلك الرجل، الذي يقرض شعرًا.. أو ممثل حين يخرج إلى خشبة المسرح، يضجّ الجميع بالتصفيق..».

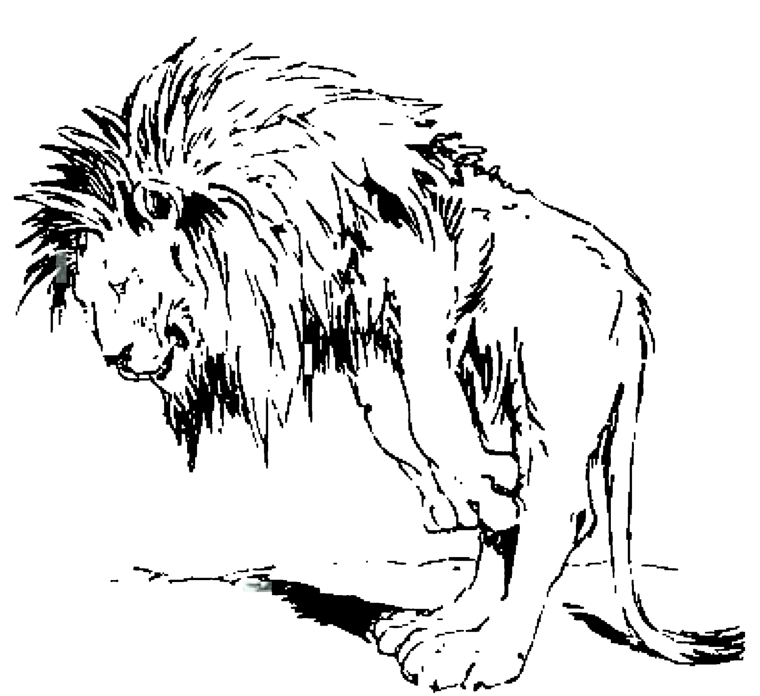
تعتبر تفاحة ريازان حلوة ومرّة أيضًا. فهم زربياكين أن من الأفضل بالنسبة إليه أن ينصرف، على ألاّ يعود إلى هناك مرة أخرى، فقد انتهى الأمر.

ومع هذا، يعدّ كل ذلك الآن وراءنا؛ لأنه كان يندفع الآن، خلال أمطار الخريف، عبر امتداد شارع جلينكا. ومن حسن الحظ أن هذا الشارع كان قريبًا من المسرح، ومن حسن الحظ، أنه وجد كاتيا ضابطة الشرطة في منزلها. لم تكن ضابطة شرطة، بل كانت تغسل بلوزة بيضاء في طست وقد شمّرت عن ساعديها، وعلى أنفها وجبهتها قطرات عرق، ولم تظهر أبدًا أكثر معزّة إليه عمّا كانته الآن. كانت أليفة.

حين وضع زربياكين تصريح المسرح في مواجهتها، وقال: إنه سيشارك اليوم في العرض، لم تصدق ذلك. ثم أصبحت منتبهة. ثم ولسبب ما أصبحت مشوّشة، وأنزلت كميّها المشمرين . ثم نظرت إليه (أ و هـ. كيف نظرت!) وقالت: إنها ستحضر بالتأكيد.

كانت أجراس المسرح ترنّ فعلاً في غرفة التدخين، في الممرات، وفي المدخل. كان مفوّض الحزب الأقرع في مقصورة المسرح يحدّق بعينين نصف مغمضتين. وكانت الباليرينات على خشبة المسرح، وهن ما زلن مختبئات وراء الستار، يضيّقن تنوراتهن مع الحركة نفسها، التي كان البجع ينخفض ثم يرتفع بها في الماء، وينظفن أجنحتهن. ووراء الجرف، تاليًا لهم، كان الأسد زربياكين، كما كان هناك مدير المسرح والمخرج قلقين.

«تذكر، أنك عنصر صدمة! كن على حذر، ولا تفسد الأمر» همس المخرج في أذن الأسد. ارتفع الستار، ووراء صف لامع من أضواء الأرضية، انفتحت القاعة المظلمة أمام الأسد، ممتلئة حتى القمة بنقاط الوجوه البيضاء. منذ زمن بعيد، حين كان زربياكين ما زال في الجبهة، تسلّق خارجًا من خندق، فانفجرت قذائف في مواجهته. ارتجف، راسمًا علامة الصليب كما تجري عادة القرية. ومع ذلك اندفعت إلى الأمام، بدا الآن بالنسبة إليه، انه لن يكون قادرًا على أن يقوم بخطوة واحدة. لكن مخرج المسرح دفعه من



الخلف، وهو محرك ساقيه وذراعيه، أصبح فجأة شخصًا. زحف ببطء إلى الجرف. رفع الأسد رأسه، عند قمة الجرف، فرأى، عن قرب، في مقصورة الصف الثاني، كاتيا ضابطة الشرطة منحنية فوق درابزين المقصورة. كانت تنظر إليه مباشرة. دقّ قلب الأسد عاليًا، دقّة دقّتين.. ثم توقف! كان يهتز بعنف. الآن، سيتقرر مصيره، كانت الحرية تطير فعلاً باتجاهه. بوم! لقد أصابته في الجانب. الآن، يجب عليه أن يسقط. وإذا سقط مرة أخرى بالطريقة الخاطئة، فسيدمّر كل شيء. أصبح مرعوبًا أكثر من أي وقت مضى في حياته. لقد كان الأمر أكثر رعبًا مما حدث، وهو يتسلق خارجًا من الخندق.

لاحظ الحاضرون في القاعة، أن هناك شيئًا غريبًا يحدث فعلاً على خشبة المسرح. لقد وقف الأسد الجريح على نحو مقدّر، دون حركة على قمة الجرف، وهو ينظر إلى أعلى. وسمعوا في الصفوف الأولى مدير المسرح ينوح بهمسة رهيبة «اسقط، عليك اللعنة، اسقط». وفجأة شاهد الجميع شيئًا مذهلاً تمامًا. رفع الأسد قائمته اليمنى، واندفع بسرعة، ليسقط مثل صخرة بعيدًا عن الجرف.

لحظة من صمت مدوّخ، ثم انفجرت القاعة مثل قذيفة في الضحك. ضحكت كاتيا، ضابطة الشرطة بشدة لدرجة أنها بكت. كان الأسد المقتول قد ألصق خطمه في قائمتيه، وراح ينتحب.

الهوامش

الكاتب الروسي يفجيني زمياتين (١٨٨٤ - ١٩٣٧م). من مواليد ليبيديان التي تبعد بما يقرب من مئتي ميل جنوب موسكو. كان أبوه قسًا، وأمه امرأة متعلمة محبّة للأدب وتعزف على البيانو، لذلك قال في سيرته الذاتية إنه نشأ «تحت بيانو ضخم؛ فقد كانت الأم موسيقية عظيمة.. طفولة بلا أصدقاء، وكان الأصدقاء هم الكتب».

التحق عام ١٩٠٢م بمعهد بناء السفن في بتسبرج، وانضم إلى البلشفيك، وشارك في أحداث الثورة عام ١٩٠٥م، حين قبض عليه، وسجن ومنع من البقاء في بتسبرج، ثم تخرج في معهد بناء السفن عام ١٩٠٨م. وفي العام نفسه بدأ نشاطه الأدبي بكتابة القصة القصيرة، ونشر أول قصة له، ثم نشر «حكايات المقاطعة» عام ١٩١٣م، التي حققت له أول نجاح أدبي.. وخلال الحرب العالمية الأولى أرسلته بلاده إلى بريطانيا في مهمة لبناء بعض كاسحات الجليد لها. فتأثر خلال تلك الفترة بكل من برنارد شو وهـ. ج. ويلز. وقد ألف في إنجلترا جزءًا من روايته «سكان الجزيرة» التي نشرها عام ١٩١٨م في بتر وجراد، بعد أن نال مكانة مرموقة في ظلّ قيام الثورة الروسية عام ١٩١٨م. وفي عام ١٩٢٠م انتهى زمياتين من رواية «نحن»، وقرأها في اجتماع عقدته جمعية الكتّاب السوفييت، فحظرت الرقابة السوفييتية نشرها داخل الاتحاد السوفييتي. غير أن مخطوطة الرواية تسرّبت إلى الخارج، ونشر ملخص لها في داخل البلاد فقامت جمعية الكتاب بلومه، فقدم استقالته من عضويتها. ورغم المصادرة فقد عرف العالم الرواية من خلال ترجمتها الإنجليزية، التي صدرت عام ١٩٢٤م، ثم الفرنسية عام ١٩٢٩م. وفي عام ١٩٣١م كتب زمياتين إلى ستالين، للسماح له بالسفر مع زوجته إلى باريس فسمح له، حيث استقر هنالك حتى توفي في ١٠ مارس ١٩٣٧م.

كتب يفجيني زمياتين قصة «الأسد» عام ١٩٣٥م، التي تتمتع بروح فكهة، حيث تعدّ الفكاهة عنصرًا عامًا من ملامح عالم الكتب، الذي كتب في هذا السياق، قائلاً «تعدّ الفكاهة والضحك صفتين مميزتين للإنسان الصحيح المعافى، الذي يمتلك القوة والشجاعة كي يعيش. إنهما تعبّران عن الفرح بالحياة، الذي يشعر به الواقعيون القدامى والواقعيون الجدد، وهما يميّزان الفرق بين الواقعيتين الجدد والرمزيين، لأنك عند الرمزيين تجد فقط مجرد ابتسامة، ابتسامة مزدراة على أرض جديرة بالازدراء، لكنك لا تسمعهم أبدًا يضحكون.. وإنّما نسمع ضحكًا في أعماق الواقعيين الجدد، وهو ما يبين لنا أنهم قد تغلبوا بطريقة ما على استبداد الحياة لهم».

وعلى الرغم من أن الأسد في القصة، هو ممثل في زي تمثيلي يشارك في باليه، إلاّ أن الكاتب قد حوّل تلك الصورة بشكل كامل إلى مبالغة ذات تأثير أكثر قوة، وأكثر إضحاكًا للقارئ، وهي تقنية فنية شديدة الصعوبة، تحتاج إلى مهارة كبيرة وحساسية بالغة!.

اغتيال لحظة حرة

محمد عباس علي
الإسكندرية ــ مصر

رغم القناع الجديد الذي يرتديه عرفته.
حدقت في وجهه.. العيون المنطفئة الوميض.. السارحة إلى آفاق مجهولة.. التغضنات المترسبة في أديم الوجه والرقبة.. اليدان النحيلتان اللتان تبرز عروقهما بلونها الزرعي الغامق. وأخيرًا تلك الجلسة التي لم يكن يعرفها.
رفع عينيه نحوي. غير أنه - أكيد - لم يعرفني.
استدرت بوجهي عنه.. رأيت وجهه القديم.. يجلس فاردًا جناحيه على المكان. مفرود الصدر.. واثق النظرات.. لامع الأحداق.. باسم الثغر. بتلك البسمة التي تحملها الوجوه التي تعتلي المقاعد العالية!!
لحظتها كان بلا قناع. تقدمت ممتثلاً للأمر.. حاملاً بالقلب رهبة، وبين عينيّ خضوع.. واثقًا أن هناك من يقف خلفي متاهبًا.. من يقف بجواري.. من يتفحص وجهي.. يقرأ ملامحي.. يحلل نظراتي.. يتتبع انفعالاتي.
بينما هو من عليائه يطل عليّ!
ينظر إليّ كشيء يقف أمامه.. يشير ناحيتي.. يتحدث عني.. ولا يتحدث إليّ.
صدرت أوامره - شعرت به يشتط - هممت راجيًا أن يسمح لي بالكلام. برقت عيناه. أحاطت بي الأيدي والقيود فورًا، وهو يصرخ:
من يتكلم هنا غيري؟
قلت وهم يسحبونني من أمامه:
- أريد.....
ولم أكمل.. أغلقوا فمي وعينيّ وأذنيّ.
بعدها حاولت فهم سر غضبه.. ضحكت الوجوه مني.. كيف سمحت لنفسي أن أتكلم في حضرته..
تساءلت: وهل الكلام ممنوع؟
نظر أحدهم إليّ، نظرته إلى طفل، دنياه هي حضن أمه، ولم ينبس بحرف.
صرخت بقوة:
- سأتكلم - لن أصمت قط.
واستدرت ثانية إليه.
كان قابعًا في سكونه.. مرتديًا قناعه الجديد.
أثارني صمته.. شعرت به يتوارى خلف قناعه، وتدل نظراته على عدم معرفته بي.
.. عدت أقول له: إنني سأظل أتكلم. رفع يدًا كليلة مستوضحًا ماذا أقول.
لن يكون بيننا اليوم حوار - كما لم يكن بالأمس.
أشحت بيدي يا ئسًا، واستدرت أريد السير بعيدًا.
صك أذني رجاؤه أن أساعده ليقوم من مكانه.
هزتني المباغتة. عدت إليه بقوة!!





متحف الشيخ فيصل بن قاسم بن فيصل آل ثاني

حوى النبي علي صالح

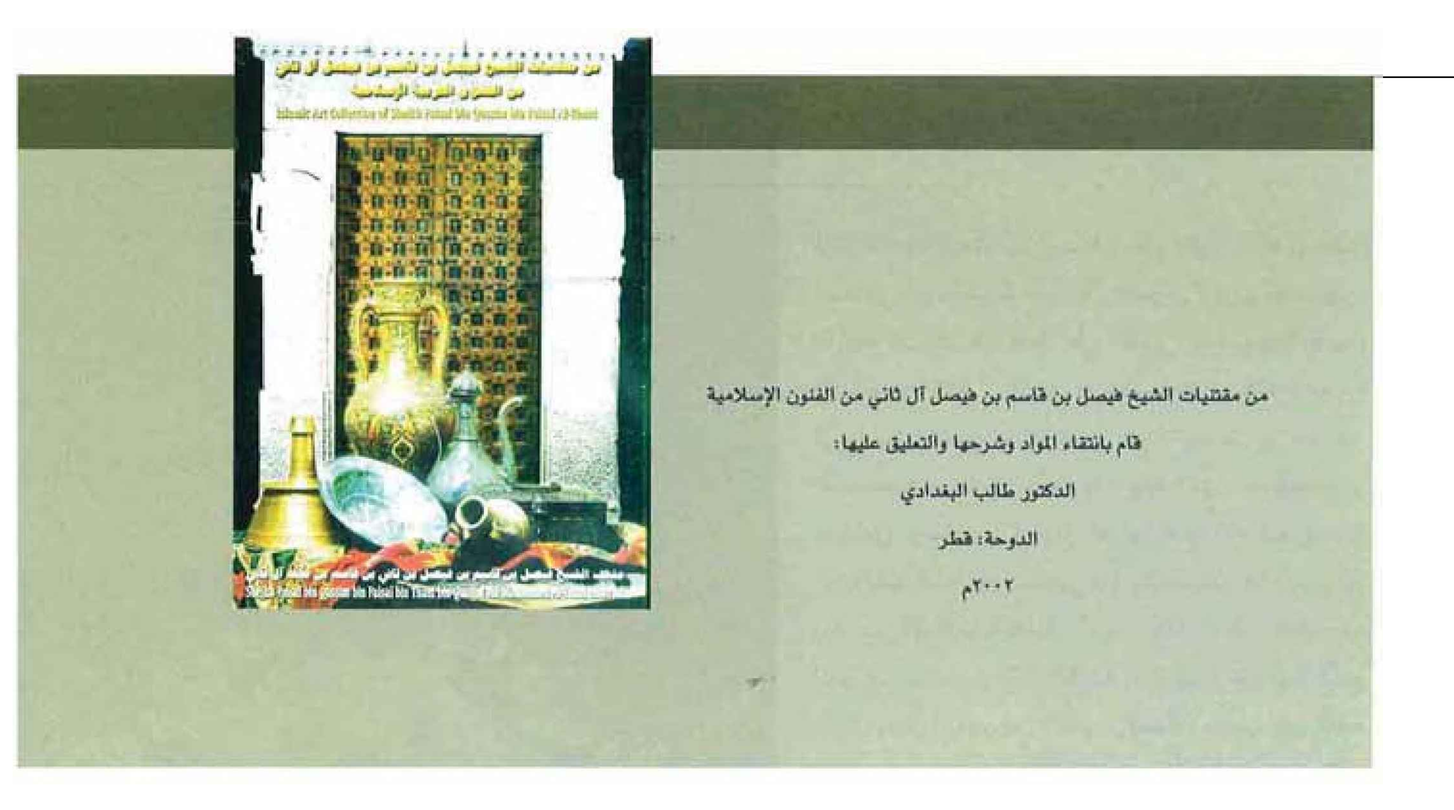
قسم التحرير

عرف عن القطريين حبهم واهتمامهم بجمع المقتنيات المتعلقة بالتاريخ والفنون والثقافة، على الرغم من قلة المواقع والمصادر الأثرية في دولة قطر، وقد تكونت لدى بعضهم مجموعات أثرية قيمة من السيوف والأسلحة الإسلامية، والمخطوطات العربية النادرة، والأعمال الفنية التشكيلية العربية، حتى السيارات القديمة والكلاسيكية، إلى جانب اهتمام الدولة التي أنشأت متحف قطر الوطني، ومتحف السلاح، وما زالت تواصل اهتمامها بهدف خلق مؤسسات جديدة تهتم بالتراث والفنون.

وكان من بين هؤلاء القطريين الشيخ فيصل بن قاسم ابن فيصل آل ثاني الذي بدأت هوايته في جمع المقتنيات الأثرية منذ أن كان طفلاً حتى تكونت لديه حصيلة ضخمة من المقتنيات الأثرية لحقب كثيرة من التاريخ الإسلامي في مختلف جوانبه، ولم يكن الشيخ فيصل يحرص على تلبية أبعاد هوايته فقط، بل حرص على أن يطلع عليها أكبر عدد ممكن من المهتمين، فوجد أن أفضل طريقة لذلك أن يجمعها في متحف متخصص قام بإنشائه في مزرعته الخاصة الواقعة في الشحانية على بعد عشرين كيلومترًا من الدوحة، باسم «متحف الشيخ فيصل بن قاسم ابن فيصل بن ثاني بن قاسم بن محمد آل ثاني».

وقد هدف الشيخ فيصل من ذلك إلى المساهمة في نشر الوعي الثقافي التاريخي لدى الأجيال القادمة، ولدى الشباب القطري، إذ إن هذه المقتنيات يمكنها أن تسهم في رفد البيئة الثقافية بمدلولات وشواهد تمكن الباحثين من أداء مهماتهم، وتنمي روح البحث عن التاريخ والتراث لدى الأجيال الشابة.

وأصدر الشيخ فيصل بن قاسم كتابًا عن هذه المقتنيات جاء بعنوان «من مقتنيات الشيخ فيصل بن قاسم بن فيصل آل ثاني من الفنون العربية الإسلامية»، يلقي الضوء على جزء من المقتنيات التي تضمها خزانات المتحف، وجاء الكتاب في ٢٦٨ صفحة من الحجم الكبير، بثلاث لغات، هي: العربية



والإنجليزية والفرنسية، وقام بانتقاء المواد وشرحها والتعليق عليها الدكتور طالب البغدادي.

المخطوطات والمنمنمات

بدأ الكتاب بعرض محتويات المتحف من «المخطوطات والمنمنمات». فالمعروف أن المؤلفات العربية والإسلامية كتب أغلبها بالحرف العربي، الذي اهتم به المسلمون منذ عهد النبي ﷺ ، إذ أمر بتجويد الخط حين وجه رسائله إلى الملوك والزعماء يدعوهم فيها إلى الإسلام، وقد دفع الاهتمام الكبير الذي يوليه الخطاط المسلم في كتابة القرآن الكريم إلى ابتداع الزخارف في تزويق بعض الصفحات، ورؤوس السور الكريمة، وتطورت أشكال الخط العربي على أيدي كتبة وخطاطين عظام أمثال: ابن البواب، وابن مقلة، وياقوت المستعصمي، وغيرهم، وقد ظهر كثير من أنواع الخطوط: كالخط الكوفي، والنسخ، والثلث، والنستعليق، والرقعة، والديواني، والريحاني، وغير ذلك من الخطوط.

كذلك أبدع الفنان المسلم بالزخرفة والتزويق، وفي بعض الأحيان بالرسوم الصغيرة التي تحتاج بعض المؤلفات إلى رسمها، وكان الخطاط أو الوراق أو المزخرف والرسام يستعمل أنواع الحبر التي يستخلصها بنفسه، وأدوات وأقلام الخط والرسم التي يصنعها ويهيئها بنفسه، وكثيرًا ما استعمل الفنان ماء الذهب، وماء الزعفران وغيرهما من الأصباغ الثمينة في التزويق والزخرفة.

وورد في الكتاب صور لعدد كبير من المخطوطات والمنمنمات التي يحتويها المتحف، مثل: مخطوط كتاب دلائل الخيرات، وفيه صورتان للكعبة الشريفة، ولقبر الرسول عليه الصلاة والسلام، بالخط القيرواني، مصدره الجزائر، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، ومخطوط قرآن كريم بخط ملائي، وزخرفة بأصباغ

نباتية، مصدره آسيا الوسطى، في القرن الثامن عشر الميلادي، ومخطوط سور في القرآن الكريم وتفسيره باللغة التركية، بخط علي أفندي، مصدره تركيا، وتاريخه ١٢٤٥هـ/١٨٢٤م، ومخطوط كتاب «شرح اللمعة النورانية» للشيخ وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد البسطامي، مصدره مصر، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي، ومخطوط القرآن الكريم بخط الحافظ يوسف ابن راشد الزواوي العُماني وتاريخه سنة ١١٨١هـ. وقد ورد على الغلاف الكتابة الآتية: «اقتنيت هذا المصحف الشريف من سوق مكة المكرمة أثناء قيام فريضة الحج مقابل حمل البعير من التمور والطعام، ونسب إلى كاتبه المغفور له يوسف بن راشد الزواوي العُماني، رحمه الله، تفشاه وتفشانا جميعًا فرج الله»، ومجموعة منمنمات ورقية من الشاهنامه سيد رضى الحسيني الشيرازي، ومصدره إيران، وتاريخه ١٨٤٢م، وغير ذلك من المخطوطات والمنمنمات.

الأعمال المعدنية والبرونزية والفضية

لقد أبدع الصنّاع والحرفيون الإسلاميون في صناعة المعادن بمختلف أنواعها، وقدّموا عبر التاريخ الإسلامي إرثًا فنيًا ضخمًا من الأشكال المعدنية التي تصنع للأغراض

لم يكن الشيخ فيصل يحرص على تلبية أبعاد هوايته فقط، بل حرص على أن يطلع عليها أكبر عدد ممكن من المهتمين. فوجد أن أفضل طريقة لذلك أن يجمعها في متحف متخصص قام بإنشائه في مزرعته الخاصة الواقعة في الشحانية على بعد عشرين كيلو مترًا من الدوحة

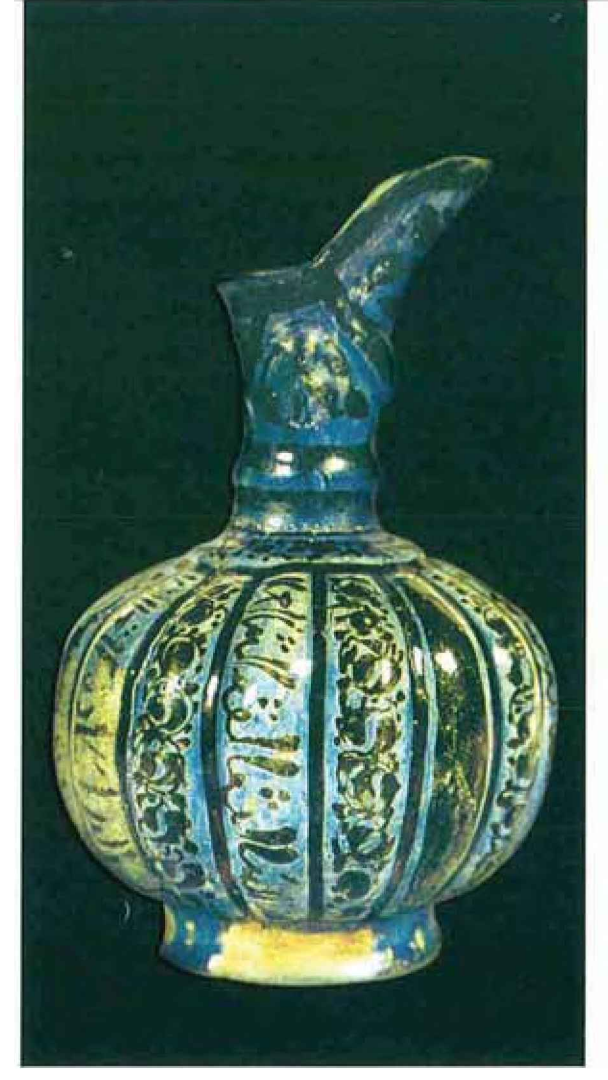


عملتان من الفضة: إحداهما ترجع إلى عهد عمر بن عبد العزيز، والأخرى إلى عهد يزيد الثاني، البصرة (١٠١هـ)

الاستعمالية، ومع ذلك يحمل معظمها الكثير من الأوجه الفنية والجمالية، وقد استعمل الحرفي المسلم عددًا كبيرًا من المعادن في هذه الصناعة شملت النحاس والبرونز كمواد أساسية، إلى جانب الذهب والفضة والحديد، بالإضافة إلى الخليط من المعادن في السبيكة الواحدة. كذلك استخدم الحرفي الإسلامي الحفر والنقش والتكفيت «أي التطعيم بطريقة الحفر وملء الحفر» في معظم المنتجات المعدنية، وبأساليب متقدّمة، إذ كان يستخدم المعادن الثمينة، كالذهب والفضة، فكان يطعم النحاس أو البرونز بالفضة غالبًا، وبالذهب في بعض الأحيان، وكانت أهم النقوش التي استخدمت في تزويق المعادن هي الكتابة العربية بالخط المجوّد والأرابسك، وبعض النقوش النباتية.

وكانت صناعة المعادن قد ازدهرت في العصر العباسي، وامتدت من بغداد إلى إيران، وبلاد ما وراء النهر في الشرق، وإلى دمشق، ومصر، وشمال إفريقية، ثم إلى الأندلس في الغرب، واستمر تطور هذه الصناعة عبر العصور الإسلامية المتعاقبة.

وورد في الكتاب صور لعدد كبير من الأعمال البرونزية والفضية، منها: إبريق عباسي من البرونز، مصدره خراسان، وتاريخه القرن العاشر الميلادي، وشمعدان أيوبي من البرونز، عليه كتابات عربية بخط الثلث، مصدره مصر، وتاريخه القرن الثاني عشر



إبريق عباسي من الخزف المزجج عليه كتابات ونقوش، نيسابور، إيران (القرن١٢م)

الميلادي، وأسطرلاب برونزي مطعّم بالفيروز، مصدره شمال إفريقية، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، ومقلمة من البرونز بكتابات عربية، مصدرها اليمن، وتاريخها القرن السابع عشر الميلادي، وأسد من البرونز صفوي مطعّم بالياقوت الأصيل، والفيروز الخرساني، مصدره إيران، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي.

السلاح الإسلامي

لم تكن السيوف والخناجر والأدوات الأخرى مجرد سلاح يصنعه صانع السلاح (الصقيل) فقط، بل تعدى ذلك ليصبح مجالاً للفن والإبداع، فلم يقتصر اهتمام الصنّاع على نوع النصل وجودته فقط، بل اهتموا كذلك بالشكل الخارجي للغلاف والقبضة. وكان الصنّاع يقومون بحفر النصول والأغلفة ليكفتوها بآيات من القرآن الكريم، أو بعبارات دينية أخرى، وكان التكفيت يتم غالبًا بالذهب الخالص، احترامًا لقدسية ما يكتب عليها.

وقد شهد الفن الإسلامي تسميات متعددة للسيوف والخناجر، منها: اليماني، والحضرمي، والعماني، والخليجي، والمغربي، والبربري، والجزائري، ومنها كذلك: الكردي، والتركي، والعثماني، والصفوي، والمغولي.

وبعد ظهور البارود برع الصنّاع المسلمون في صناعة البنادق والمسدسات (البشتاوات) في مختلف بقاع العالم الإسلامي، وازدهرت صناعتها في العراق، والجزيرة العربية، وتطورت إلى حد كبير في اليمن، والجزائر، والمغرب، ثم في إيران، وتركيا، والهند الإسلامية. وامتد اهتمام الصنّاع كذلك بتزويق البنادق، فكانت تطعم بالعاج والذهب والفضة والأحجار الكريمة، لتكون في النهاية ليست أدوات قتال فقط، بل إبداعًا فنيًا رائعًا.

ساد في العالم الإسلامي قبل ظهور الإسلام عدد من العملات الرومانية والساسانية، وقبلها بفترات تاريخية مختلفة كانت العملات الفرثية واليونانية والحميرية، التي حلّت جميعها محل العملات القديمة المسكوكة في ممالك بحر إيجة، وليديا، وأثينا، وغيرها

وقُسّم السلاح الإسلامي في المتحف إلى قسمين:

أ/سيوف وخناجر، منها:

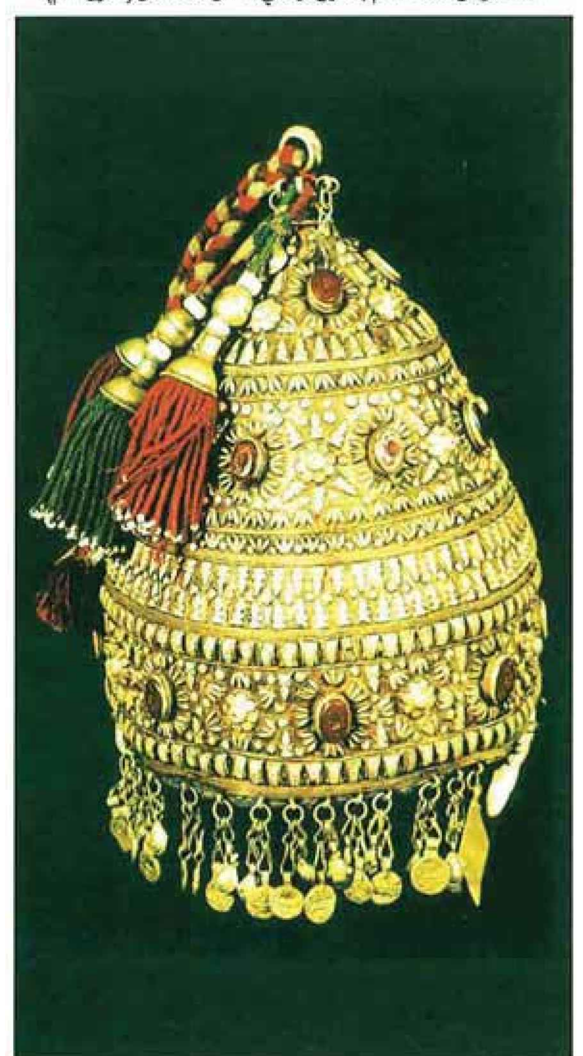
خنجر مغولي (موغال) مطعّم بالذهب، مصدره الهند، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي، ومجموعة خناجر ذهب ٢٢ قيراطًا من منطقة الخليج، وخنجر فضة مزدوج، مصدره اليمن، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، وسيف عثماني مكتوب بالذهب، مصدره إستانبول، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي، وسيف مغولي، نقش وتطعيم بالذهب على النصل، والمقبض مطعّم بالفضة، مصدره الهند، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي، وطبر (فأس)، مصدرها شمال إفريقية، وتاريخها القرن الثامن عشر الميلادي، وصولجان حديد مكفت، مصدره الهند/العصر المغولي الإسلامي، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، وقطعة من درع صفوي مكفت بالذهب، وعليه كتابات بخط النستعليق، مصدره إيران، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي.

ب/بنادق ومسدسات، ومنها:

بندقية بارودية عثمانية مطعّمة بالذهب، مصدرها تركيا، وتاريخها القرن الثامن عشر الميلادي، وبندقية بارودية مطعّمة بالفضة، مصدرها المغرب، تاريخها القرن التاسع عشر الميلادي، وبندقية بارودية مطعّمة بالعاج، مصدرها شمال إفريقية، وتاريخها القرن الثامن عشر الميلادي، ومسدس بارود عثماني مطعّم بالذهب والفضة، مصدره تركيا، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، وبارودية (علبة بارود) مطلية بالفضة، مصدرها اليمن، وتاريخها القرن الثامن عشر الميلادي، وعلبة بارود من الجلد، مصدرها الهند، وتاريخها القرن التاسع عشر الميلادي.

اتخذت أعمال الخشب الفني حيزًا مهمًا في التصميم الداخلي للمساجد والبيوت في كل المناطق الإسلامية، ليتطور في العصر المملوكي، ثم العثماني إلى فن متميز جدًا بدخول فن التطعيم بالصدف وأسلاك الفضة والعاج

غطاء رأس فضة مطعّم بالعقيق اليماني، شمال أفغانستان (القرن ١٧م)



السيراميك والفخار والزجاجيات

بدأت صناعة الخزف والزجاج الإسلامي في العصر الأموي، وتطورت إلى درجة كبيرة في العصر العباسي،





قطعة من شمعدان مملوكي من النحاس، شمال إفريقية (القرن الرابع عشر)

وكانت ضرورة صناعة قنديل المساجد المزخرف بالآية الكريمة «الله نور السموات والأرض» هي الأساس في قيام صناعة الزجاج التي امتدت إلى الفخار لتنتج الخزف المزجج. وكان الصنّاع المسلمون يستخرجون ويصنعون أصباغ الخزف والزجاج بمساعدة الكيماويين المسلمين وخبرتهم من مواد أكثرها طبيعية.

واستخدم الفخار المزجج والمزوق بالآيات القرآنية الكريمة لزخرفة المساجد والجوامع المختلفة وتزويقها، وتغطية قبابها، ومناراتها، وجدرانها، فكان ذلك من أهم الحوافز على تطور هذه الصناعة كمًا ونوعًا، وفي هذه الصناعة تتكاتف الأيادي الماهرة لكل الفنانين من خطاطين ورسامين ونقاشين وصناع الخزف والزجاج، وغيرهم.

وشملت محتويات المتحف عددًا كبيرًا من السيراميك والفخار والزجاجيات، منها: إبريق عباسي من الخزف المزجج، مصدره إيران، وتاريخه القرن الحادي عشر الميلادي، وجرة عباسية من الخزف المزجج (طراز ساساني)، مصدره العراق، وتاريخه القرن الثامن أو التاسع الميلادي، ومحبرة وراقين، خزف سورية، وتاريخها القرن الرابع عشر الميلادي، وطاسة خزف عباسية، ونقوش وكتابات، مصدرها إيران، وتاريخها القرن الثاني عشر الميلادي، وصحن خزف موريسكي، مصدره إسبانيا، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي، وجرة فخارية أموية، مصدرها سورية، وتاريخها القرن الثامن الميلادي، وقالب فخار عباسي منقوش، مصدره العراق، وتاريخه القرن الثاني عشر الميلادي، وقنينة زجاج مكتوبة بخط الثلث، مصدرها إيران أو العراق، وتاريخها القرن السابع عشر الميلادي، وكأس زجاج عباسية، مصدرها بغداد، وتاريخها القرن العاشر الميلادي، ومرش ماء الورد من الزجاج عباسي، مصدره سورية، وتاريخه القرن الثاني عشر الميلادي، ولوحة سيراميك قاجارية، مصدرها إيران، وتاريخها القرن التاسع عشر الميلادي.

منسوجات ومطرزات

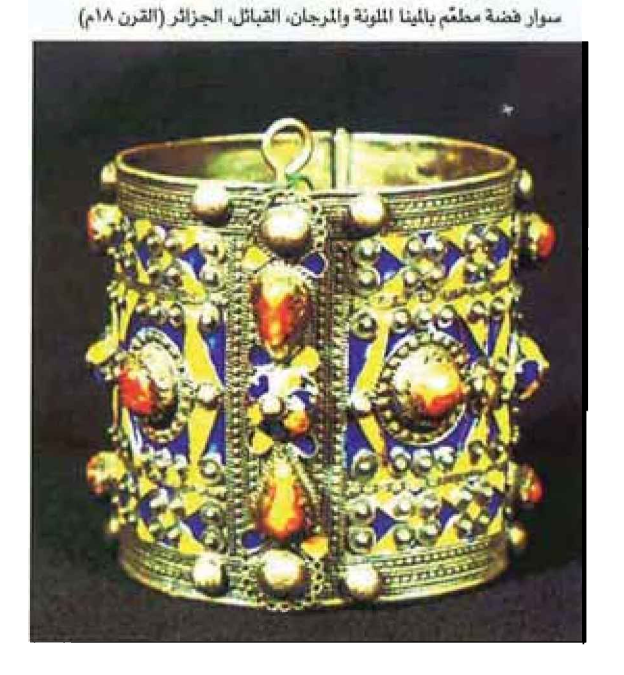
ازدهرت صناعة النسيج منذ العصور الإسلامية الأولى؛ نتيجة اهتمام العرب والمسلمين بلباسهم على جميع مستوياتهم وانتماءاتهم الجغرافية والإثنية، سواء في المناطق الحارة أو الباردة، فقد اشتهر حينذاك الثوب القطري، والحصيرة القطرية، والحرير

الدمشقي، وقد جاء ذكر كثير من هذه المنسوجات في قصائد الشعراء. وبعد ازدهار الحضارة الإسلامية، وشيوع الترف، ظهر فن التطريز الذي غالبًا ما يكون بخيوط الذهب والفضة. واهتم المسلمون كذلك بنسيج الستائر والأغطية وأغلفة القرآن الكريم، وكان معظمها يطرز وفق أشكال وزخارف جميلة.

ولم يقتصر الاهتمام بالتزويق والزخرفة على سكان الحضر وحدهم، بل امتد ذلك إلى المناطق القروية، وسكان المناطق البدوية، إذ كان البدو الرحل يهتمون بتزويق الأغطية والفرش وبيوت الشعر «المنسوج نفسه من شعر الماعز».

وظهرت البيارق المطرزة بالكتابات العربية، والأغطية السلطانية والستائر، وجميعها مطرزة بالعبارات الدينية، وكانت معظم الزوايا «التكيات» الصوفية تهتم بتغطية

سوار فضة مطعّم بالمينا الملونة والمرجان، القبائل، الجزائر (القرن ١٨م)



جدرانها بالنسيج المطرز، الذي يبرز آيات متعددة من الذكر الحكيم، وعبارات تمجد الصحابة والأولياء.

واحتوى المتحف على كثير من الأنسجة والمطرزات، منها: حزام مغربي من الحرير، مصدره المغرب، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي، وغطاء رأس تركماني مطرز بالحرير، مصدره تركمانستان، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، وغطاء رأس مطرز بخيوط الفضة المذهّبة، مصدره إيران، وتاريخه أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، وغطاء وجه تركماني، مصدره تركمانستان، وتاريخه القرن التاسع عشر الميلادي، وقفطان مغربي مطرز بالحرير، مصدره المغرب، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، وشرشف عثماني حريري مطرز بخيوط الفضة المذهّبة، مصدره إستانبول، وتاريخه القرن التاسع عشر الميلادي، وعقال نسائي مطعّم بالمعدن الأبيض، مصدره الحجاز، وتاريخه القرن التاسع عشر الميلادي، وسرج حصان مغربي منسوج بخيوط الفضة، مصدره المغرب، وتاريخه أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.

حُليّ ومصوغات

ابدت المرأة العربية المسلمة اهتمامًا خاصًا بالحُليّ والمصوغات، وفي الجانب الآخر أظهر الصاغة المسلمون براعة فائقة في تقديم مختلف الأشكال الفنية في صياغة الذهب والفضة، وتطعيمهما بالأحجار الكريمة أو شبه الكريمة، وقد اشتهرت مناطق مختلفة من العالم الإسلامي بصناعات الحُليّ الذهبية والفضية، وكان حجم الموروث من الحُليّ دليلاً على درجة الترف والغنى في هذه المنطقة أو تلك.

وكان لمنطقة الخليج خصوصية تميزها من باقي المناطق بانفرادها بوجود اللؤلؤ المستخرج من الأصداف حصرًا في مياه الخليج، ويشكّل اللؤلؤ واحدًا من أهم


شمعدان أيوبي برونز عليه كتابات عربية، مصر (القرن ١٣م)

مكونات صياغة الجواهر، وأصبح الطلب عليه يتزايد، بشكل مطرد، سواء من قبل الملوك والأمراء أوالفئات المترفة مما جعل الخليج يزدهر بمثل هذه الصناعة، ويصبح اللؤلؤ البحريني والقطري علامة فارقة في فنون المجوهرات، وصياغة الحُليّ.

واحتوى المتحف على عدد كبير من الحُليّ والمصوغات الذهبية والفضية، منها: معلقة فضة مذهبة ومطعّمة بالعقيق اليماني، مصدرها تركمانستان، وتاريخها القرن الثامن عشر الميلادي، وزوج أقراط من الذهب، مصدره أفغانستان، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي، وزوج من الحلق من الذهب المطعّم بالعقيق، مصدره الجزيرة العربية، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي، وقلادة من اللؤلؤ البحريني مطعّمة بأحجار الياقوت، مصدرها قطر، وتاريخها القرن التاسع عشر الميلادي، وميزان اللؤلؤ البحريني مع الأوزان وكمية من اللؤلو يستخدم من قبل الطواشي، مصدره قطر، وتاريخه القرن التاسع عشر الميلادي، وحزام فضة، مصدره اليمن، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، وحجل فضة، مصدره الموصل/العراق، وتاريخه القرن التاسع عشر الميلادي، وقلادة فضة مطعّمة بعقيق يماني، مصدرها اليمن، وتاريخها القرن التاسع عشر الميلادي، ودبوس من الفضة مطعّم بالمرجان، مصدره الجزائر، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي.

لم يقتصر الاهتمام بالتزويق والزخرفة على سكان الحضر وحدهم، بل امتد ذلك إلى المناطق القروية، وسكان المناطق البدوية، إذ كان البدو الرحل يهتمون بتزويق الأغطية والفرش وبيوت الشعر "المنسوج نفسه من شعر الماعز"

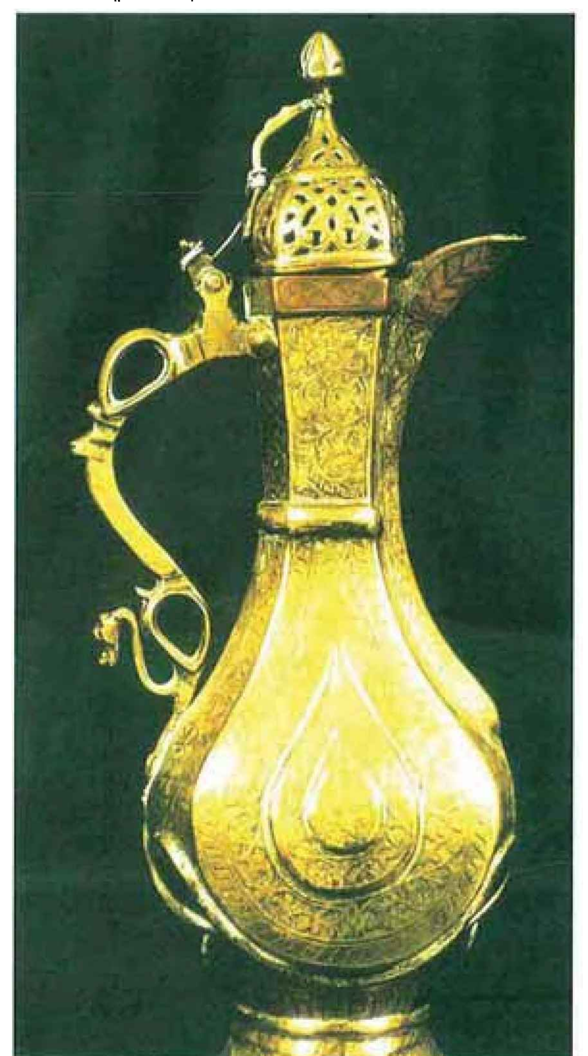
العملات الإسلامية وما قبل الإسلام

ساد في العالم الإسلامي قبل ظهور الإسلام عدد من العملات الرومانية والساسانية، وقبلها بفترات تاريخية

مختلفة كانت العملات الفرثية واليونانية والحميرية، التي حلّت جميعها محل العملات القديمة المسكوكة في ممالك بحر إيجة، وليديا، وأثينا، وغيرها.

وكان الدرهم العربي الساساني أول أشكال العملات الإسلامية، إذ سكت الدراهم الساسانية في العقود الأولى من الدولة الإسلامية، بإضافة عبارات إسلامية على هامش الدرهم مثل عبارة «بسم الله» أيام معاوية بن أبي سفيان، وعبارة «لا حكم إلا لله» للعملة المسكوكة من قبل الخوارج، ثم قام المسلمون بعد ذلك بسك العملة النحاسية المسماة بالعربي

إبريق برونز منقوش، بخارى تركمانستان (القرن ١٨م)



أبدع الصناع والحرفيون الإسلاميون في صناعة المعادن بمختلف أنواعها، وقدموا عبر التاريخ الإسلامي إرثًا فنيًا ضخمًا من الأشكال المعدنية التي تصنع للأغراض الاستعمالية، ومع ذلك يحمل معظمها الكثير من الأوجه الفنية والجمالية

البيزنطي إلى جانب هذا الدرهم.

وظلت هاتان العملتان متداولتين حتى سك الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان العملة الإسلامية بفئاتها المختلفة. وأصبح الدينار الذهبي أساس النظام النقدي الذي ظل سائدًا في جميع مناطق وعصور العالم الإسلامي، ولكنه يختلف باختلاف الخليفة أو الحاكم أو السلطان، وكان إلى جانب الدينار الذهبي بأوزانه المتعددة، الدرهم الفضي، والفلس النحاسي.

وكانت العملة تسمى باسم السلالة التي تقوم بسكها، وهي السلالة الحاكمة في منطقة معينة، وفي فترة معينة، ومن داخل السلالة نفسها تتغير العملات بتغير الخلفاء والسلاطين، سواء كانت التغييرات نتيجة وفاة الخلفاء وتولية آخرين محلهم، أو نتيجة التغيرات السياسية.

وقد شهدت العصور الإسلامية المتأخرة تغييرًا في نظام النقد، إذ أُبدل اسم الدينار بأسماء أخرى، كما جرى في السلالات المتأخرة كالعثمانية والصفوية والقاجارية والمغولية.

وضم المتحف عددًا كبيرًا من العملات الإسلامية، والعملات التي كانت متداولة قبل الإسلام، وذكر منها عدة قطع كتب تحتها: عربي ساساني (فضة)، ضرب أردشير خورة، ضُرب عام ٨٤ هـ. قطري بن الفجاءة في

طوق العملة - عبارة لا حكم إلا لله، (قطري بن الفجاءة ولد ونشأ في قطر، وهو فارس معروف بشجاعته وبطولاته - كان شاعرًا وخطيبًا مفوهًا من بني تميم القبيلة العربية المعروفة)، وممالك بحر إيجة - فضة - صورة سلحفاة ٤٠٢ - ٢٤٠ ق.م.، وليديا - ذهب، كروشيوس - ٥٧٥ - ٥٤٦ ق.م، (وكروشيوس هو المسمى باللغة العربية قارون الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وفي التاريخ العربي بوصفه أول من سك عملة الذهب، ويقرن اسمه دائمًا بالكنوز والثروة الوافرة)، مملكة مقدونيا - فضة، الإسكندر الأكبر، ضُرب في مقدونيا أو بابل/٣٣٦ - ٣٢٣ ق.م، ومملكة صور - ذهب - ماخوس لبنان/٢٩٧- ٢٨١ ق.م، وعربي ساساني - فضة، معاوية بن أبي سفيان (بسم الله)، ضُرب سنة ٤٣هـ، وأموي ذهب، هشام بن عبدالملك، ضُرب سنة ١١٨هـ، والعباسيون - فضة، أبو جعفر المنصور، مدينة السلام، ضُرب١٥٥هـ، والأمويون في الأندلس، فضة، عبدالرحمن الداخل، الأندلس، ضُرب سنة ١٥٦هـ، وغير ذلك من عملات الدولة الطولونية، والأغالبة، والأمويون في إسبانيا، والدولة الطاهرية، والدولة الصفارية، والدولة الحمدانية، والدولة الإخشيدية، والدولة الفاطمية، والدولة البويهية، والدولة الأيوبية، والسلاجقة في العراق، والموحدون، والمرابطون، والدولة الرسولية، والخوارزميون، وسلاطين دلهي، والسلاجقة الروم، والعثمانيون، وسلطنة كشمير، الصفويون، والمهدوية في السودان، والدولة السعودية.

وأورد الكاتب قائمة بأسماء السلالات الإسلامية التي قامت بسك العملات، وشملت: الأمويين، ومركزهم دمشق، والعباسيين، ومركزهم بغداد، والأيلخانيين، ومركزهم في مراغة، والتيموريين ومركزهم هراة، والعثمانيين، ومركزهم إسطنبول، والصفويين، ومركزهم أصفهان، والمسلمين الموغال (المغول) في الهند، والقاجاريين، ومركزهم طهران. كما أورد قائمة أخرى بمناطق سك العملات الإسلامية ومدنها.

الأعمال الخشبية

جاءت خاتمة الكتاب عن الأعمال الخشبية التي قدّم فيها الصنّاع نماذج لا تختلف في جمالها وروعتها عن الفنون الإسلامية الأخرى، فقد احتل النقش عن طريق الحفر المكانة المهمة في صناعة الأخشاب، وأخذت الكتابة العربية من آيات قرآنية كريمة وعبارات دينية، وأشعار طريقها إلى الخشب، وكذلك الحال بالنسبة إلى الأرابيسك، كما أن جزءًا كبيرًا من أعمال الخشب تلازم مع فن المعمار الإسلامي، وأصبحت الأبواب والنوافذ والأعمدة الخشبية والمشربيات جزءًا لا يتجزأ من العمارة الإسلامية.

أما في الأعمال الأخرى، كالأثاث والأشياء الصغيرة، كالصناديق، وأدوات الاستعمال الأخرى، فقد دخل التطعيم بالعاج والبرونز والذهب والفضة والأحجار الكريمة، وشبه الكريمة كعامل مكمل لجمالية فن الخشب.

وقد صب الصنّاع المسلمون جل اهتمامهم الحفر والنقوش على المنابر وصناديق حفظ القرآن الكريم،

بعد ظهور البارود برع الصنّاع المسلمون في صناعة البنادق والمسدسات (البشتاوات) في مختلف بقاع العالم الإسلامي. ازدهرت صناعتها في العراق، والجزيرة العربية، وتطورت إلى حد كبير في اليمن، والجزائر، والمغرب، ثم في إيران، وتركيا، والهند الإسلامية



تطورت أشكال الخط العربي على أيدي كتبة وخطاطين عظام أمثال: ابن البواب، وابن مقلة، وياقوت المستعصمي، وغيرهم، وقد ظهر كثير من أنواع الخطوط: كالخط الكوفي، والنسخ، والثلث، والنستعليق، والرقعة، والديواني، والريحاني، وغير ذلك من الخطوط

ورَحْلات قراءة القرآن الكريم في المساجد والبيوت، واتخذت أعمال الخشب الفني حيزًا مهمًا في التصميم الداخلي للمساجد والبيوت في كل المناطق الإسلامية، ليتطور في العصر المملوكي، ثم العثماني إلى فن متميز جدًا بدخول فن التطعيم بالصدف وأسلاك الفضة والعاج.

واشتمل الكتاب على عدد كبير من النماذج الموجودة في المتحف، منها: صندوق خشب مطعّم بالمرجان والفضة، مصدره اليمن، وتاريخه القرن الرابع عشر الميلادي، وقبقاب عثماني خشب مطعّم بالصدف والفضة، مصدره تركيا، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، وصندوق من جلد السلحفاة والعاج، مصدره كشمير/ الهند، وتاريخه القرن السابع عشر الميلادي، وكرسي خشب مطعّم بالعاج، مصدره إسبانيا، وتاريخه القرن السادس عشر الميلادي، وصندوق خشب منقوش بالأصباغ النباتية، مصدره الجزائر، وتاريخه القرن التاسع عشر الميلادي، ورف خشبي منقوش لحمل الأضواء، مصدره المغرب، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، وباب خشبي، مصدره الجزيرة العربية/حائل، وتاريخه القرن الثامن عشر الميلادي، وغير ذلك من الأعمال الخشبية.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٥٦) صفر ١٤٢٧هـ/ مارس ٢٠٠٦م

الفائز الأول: نجلاء علي عبده ـ المنصورة ـ مصر.
الفائز الثاني: ميساء نعيم أحمد ـ عمان ـ الأردن.
الفائز الثالث: حسن خالد باحشوان ـ سيئون ـ اليمن.
الفائز الرابع: جمانة خليل محمد هارون ـ دوما ـ سورية.
الفائز الخامس: د. عبدالله أحمد حامد آل حمادي ـ أبها ـ السعودية.
الفائز السادس: فؤاد البكري ـ تمارة ـ المغرب.
الفائز السابع: جمعة عبدالعزيز الخليفي ـ الدوحة ـ قطر.
الفائز الثامن: رضا مهدي الإسكافي ـ المنامة ـ البحرين.

حل مسابقة العدد (٣٥٦)

١- لونا هي ربة القمر التي يعبدها الرومان مع الربة ديانا (ربة واحدة).

٢- فيدا تطلق على كتاب يعدّ من أقدم الكتب الدينية. وتعني الكلمة بالسنسكريتية العلم أو المعرفة.

٣- اشهر كُتب البلاذُري «فتوح البلدان»، و«القرابة وتاريخ الأشراف»، و«انساب الأشراف»، و«كتاب البلدان الكبير».

أسئلة مسابقة العدد (٣٥٩)

أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) من هو مؤلف «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»؟

(٢) ما أصل معنى كلمة قُنصُل؟

(٣) ماذا يعني كولاج؟

الاسم: المدينة: ص.ب: هاتف:

العنوان: الدولة: الرمز البريدي: ناسوخ:

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

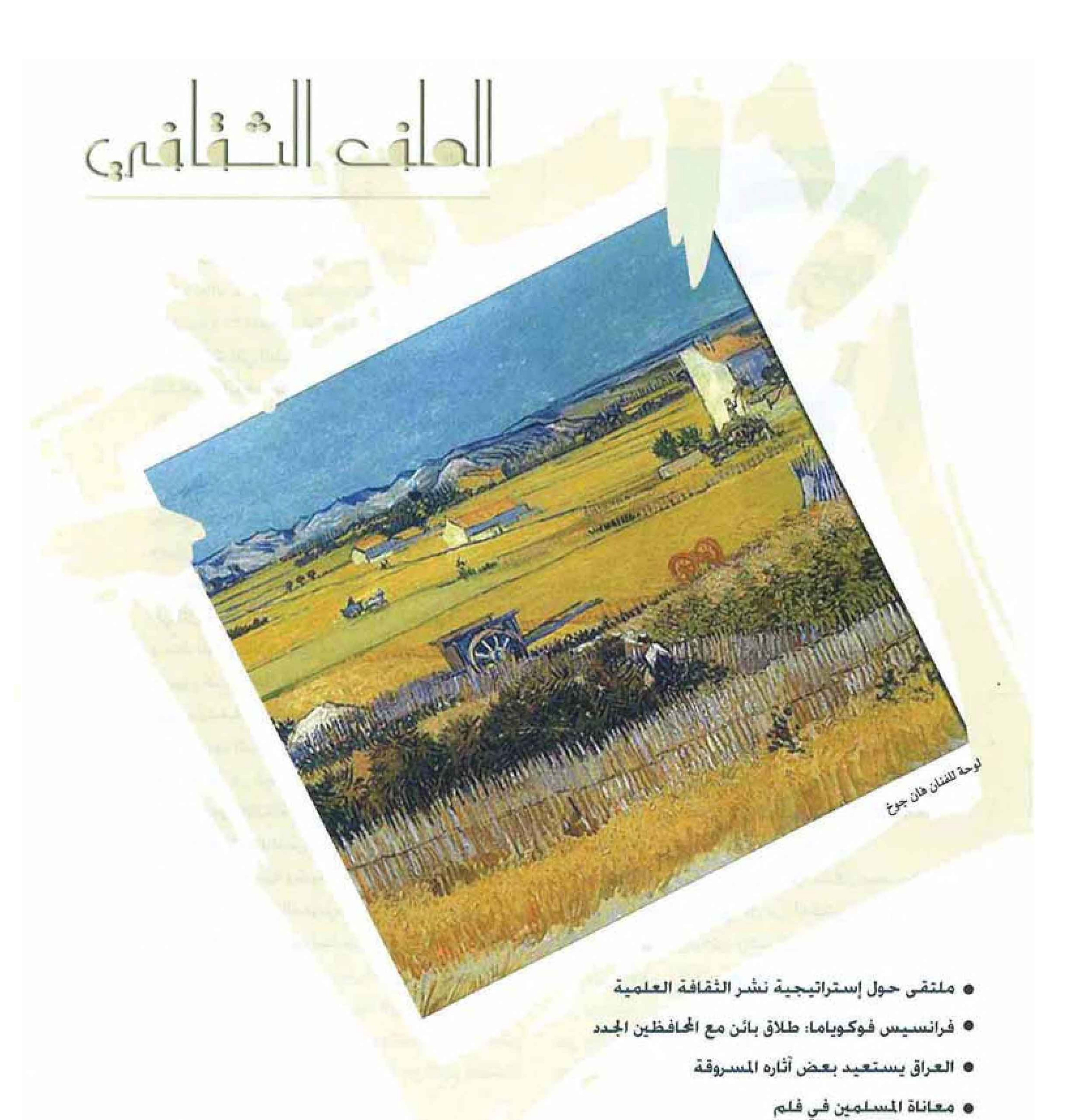
طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) - الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



لوحة للفنان فان جوخ

- ملتقى حول إستراتيجية نشر الثقافة العلمية
- فرانسيس فوكوياما: طلاق بائن مع المحافظين الجدد
- العراق يستعيد بعض آثاره المسروقة
- معاناة المسلمين في فلم

•• خاتمة المطاف: عادل الغضبان شاعر الشباب ١٩٠٨ ــ ١٩٧٢م



ملتقى حول إستراتيجية نشر الثقافة العلمية

رعى معالي الدكتور صالح بن عبدالرحمن العذل - رئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية - في الرابع من ربيع الأول سنة ١٤٢٧هـ (الموافق الثاني من مايو/أيار ٢٠٠٦م) الملتقى الثقافي العلمي: «نحو إستراتيجية وطنية لنشر الثقافة العلمية»، الذي نظمته المدينة لمدة يوم، في مقرها بالرياض، بحضور نخبة من المفكرين والمثقفين والإعلاميين في المملكة العربية السعودية.

وهدف الملتقى إلى نشر الوعي العلمي، وتعزيز دور العلوم والتقنية في المجتمع، من أجل ترسيخ مفهوم الثقافة العلمية، وإبراز تأثيرها في الجوانب الفكرية، والإعلامية، والتنموية في المملكة العربية السعودية، فضلاً عن إبراز دورها الحيوي في نقل التقنية وتوطينها وتطوير التنمية المستديمة.

وسلّط الملتقى الضوء على مفهوم الثقافة العلمية، ودورها الحيوي في تفاعلات المجتمعات المعاصرة، والاهتمام بأن يكون صبغة عامة تعريفية قادرة على ربط مختلف الاهتمامات المعاصرة بموضوع الثقافة العلمية، بالإضافة إلى السعي إلى توفير قنوات تواصل مع وسائل الإعلام وإستراتيجية الثقافة في المملكة، وطرائق التعليم والتربية، وأنشطة القطاع الخاص، وإرساء التوصيات المناسبة نحو تأسيس إستراتيجية وطنية لنشر الثقافة العلمية، وتعميق جذورها في المجتمع السعودي.

وناقش الملتقى محورين أساسيين، هما: المحور الفكري، والمحور الإعلامي، وقد استعرض المحور الأول دور الثقافة العلمية، بوصفه عنصرًا رئيسًا في تأمين التوازن في الثقافة الزائدة، والفكر العلمي، والتفاعل بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، فضلاً عن تأثير الثقافة العلمية في الخصائص القيمية والفكرية والسلوكية واللغوية والتعليمية في المجتمع.



الدكتور صالح بن عبدالرحمن العذل

وقدم المحور الثاني «الإعلامي» نبذة تعريفية من الإعلام العلمي، وإبراز أهدافه ووسائله، وأهميته بوصفه محورًا رئيسًا في منظومة الإعلام التنموي، مع تشخيص وضع الإعلام العلمي في المملكة، وتقويم الإمكانات المتاحة لتفعيل هذا المجال، وتحديد المعوقات، واقتراح الآليات، وتوضيح دور المؤسسات الإعلامية في تأصيل مقومات الثقافة العلمية وأدواتها وتطويرها وتفعيلها في المجتمع.

وقد شارك في تقديم أوراق العمل، خلال محوري الملتقى الفكري والإعلامي، كل من: الدكتور حمود بن عبدالعزيز البدر، والدكتور راشد المبارك، والدكتور فهد العرابي الحارثي، والدكتور زين العابدين الركابي، والأستاذ بدر بن أحمد كريم، والأستاذ عبدالله بن سليمان القفاري، في حين ترأس الجلسات كل من: الدكتور خضر بن محمد الشيباني، والأستاذ محمد بن رضا نصر الله.

فرانسيس فوكوياما: طلاق بائن مع المحافظين الجدد

أصدر المفكر الأمريكي المعروف فرانسيس فوكوياما مطلع الشهر الماضي كتابه الجديد «أمريكا على مفترق طرق: الديمقراطية والقوة وتركة المحافظين الجدد» لتصل معركته مع أصدقاء الأمس إلى أوجها.

وقد صدر هذا الكتاب عن جامعة ييل الأمريكية المرموقة، وهو يحوي تفصيلاً لمحاضرته المشهورة التي ألقاها في الجامعة نفسها عام ٢٠٠٥م، والتي تدور حول السياسة الخارجية الأمريكية، والأخطاء التي وقع فيها المحافظون الجدد، وخصوصًا إزاء التعامل مع الملف العراقي، ويعدّ هذا الموقف بمنزلة إعلان القطيعة التامة مع تيار كان فوكوياما



فرانسيس فوكوياما



إلى عهد قريب يعدّ نفسه أحد المحسوبين عليه، بل المدافعين عنه، والمنظرين له.

ويؤكد فوكوياما، الذي اشتهر قبل أكثر من عشر سنوات بكتابه ونظريته الشهيرة والمثيرة للجدل، «نهاية التاريخ»، في مقدمة كتابه الجديد خلفيته الفكرية والسياسية كأحد المقربين أو المحسوبين على تيار المحافظين الجدد، إذ يشير إلى الأفكار المشتركة بينه وبين بول وولفويتز، على سبيل المثال، الذي عمل معه سابقًا مرتين: الأولى: في وكالة مراقبة ونزع التسلح الأمريكية، ولاحقًا في وزارة الخارجية.

ويذكر فوكوياما القراء بعمله مع وولفويتز أيضًا في مؤسسة راند، وهي إحدى أهم دور الدراسات الإستراتيجية الأمريكية، كما يذكر بتلمذته لألان بلوم الذي كان بدوره تلميذًا لليو شتراوس، أحد أهم من اقتفى آثار تيار المحافظين الجدد وفلسفته وأفكاره إبان عقد الخمسينيات من القرن الماضي. ويوضح فوكوياما، الذي دأب على الكتابة الدورية في أهم منشورات تيار المحافظين الجدد كمجلات ناشيونال أنترست، وببليك أنترست، وكومنتري، كيفية وصوله إلى نقطة اللاعودة مع المحافظين الجدد، ورؤيتهم إزاء السياسة الخارجية الأمريكية، وخاصة ما يتعلق بملف العراق. ويشير فوكوياما: إلى تلك المحاضرة التي أقيمت في فبراير/شباط عام ٢٠٠٤م في معهد امريكان أنتربرايز، وهو أحد مراكز الدراسات الإستراتيجية المحسوبة بقوة على المحافظين الجدد، إذ ألقى تشارلز كروثامر - صاحب العمود الشهير في صحيفة نيويورك تايمز - محاضرة وصف فيها حرب أمريكا في العراق بأنها نجاح منقطع النظير.

ويقول فوكوياما لم أفهم لماذا كل من حولي في تلك المحاضرة كانوا يصفقون لخطاب كروثامر، في ظل عدم نجاحنا في العثور على أسلحة دمار شامل، والوقوع في حرب مع المتمردين، ووجود أنفسنا معزولين عن العالم؛ بسبب هذا النوع من الإستراتيجية الأحادية التي يدافع عنها كروثامر.

دورا مار مع القطة

بيعت في الشهر الماضي لوحة دورا مار مع القطة للفنان بيكاسو التي رسمها عام ١٩٤١م بمبلغ وصل إلى ٩٥ مليون دولار في مزاد بدار سوثبي للمزادات، لتصبح ثاني أغلى لوحة فنية تباع في مزاد على مر التاريخ.

وتصور اللوحة «مار» التي ارتبط بها المصور السريالي بيكاسو في علاقة عاطفية وهي جالسة على مقعد، وخلفها هرة صغيرة، وكان قد قدر أن تباع هذه اللوحة بمبلغ يزيد على ٤٠ مليونًا من الدولارات، إلا أن المبلغ الذي بيعت به كان مفاجأة.

وقال ديفد نورمان - الرئيس المشارك عن الأعمال التي تنتمي إلى الفن التعبيري والحديث - في دار سوثبي بعد البيع: «كنت آمل أن تباع بأكثر من ٧٠ مليونًا. كنا نرى أنها تستحق أكثر، وكنا محقين».

وكانت لوحة بيكاسو «فتى مع غليون» قد بيعت قبل عامين بمبلغ ١٠٤ ملايين و١٦٨ ألف دولار، متجاوزة الرقم القياسي الذي كان مسجلاً للوحة واحدة تباع في مزاد، منذ عام ١٩٩٠م، باسم لوحة فان جوخ «لوحة للدكتور جاشيت»، التي بيعت بمبلغ ٨٢,٥ مليون دولار، والتي أزاحتها «دورا مار مع القطة» الآن إلى المركز الثالث.

من ناحية أخرى أعلنت دار كريستيز للمزادات العلنية في بيان لها أن لوحة «مدام جينو الأرلية» التي رسمها فنسنت فان جوخ عام ١٨٩٠م، بيعت بمبلغ ٣,٤٠ ملايين دولار في نيويورك.

ويبلغ طول اللوحة، التي رسمها فان جوخ قبيل وفاته، ٦٥ سم، وعرضها ٥٤ سم، وتمثل ماري جينو، التي كانت تملك مقهى في مدينة آرل الفرنسية، في حالة تفكير، مع ابتسامة حزينة تضيء وجهها المستند إلى يدها اليسرى، وهي جالسة أمام مائدة خضراء، عليها كتابان أحمران.

وعرضت دار كريستيز أيضًا عددًا من اللوحات الفنية لعدد من الفنانين المشهورين، من بينهم: غوغان، وكلود مونيه.

العراق يستعيد ٤ آلاف قطعة أثرية مسروقة

ذكرت مصادر عراقية امس، أن هيئة الآثار العراقية استعادت ٤ آلاف قطعة أثرية سرقت من متحف العراق، منذ تعرض العراق للاحتلال والنهب في أثر الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م.

وقالت المصادر: إن العراق أجرى مباحثات مع عدد من الدول العربية والأجنبية، بما فيها الأردن والكويت والسعودية وسورية وهولندا والولايات المتحدة، لإعادة الآثار العراقية التي تم ضبطها داخل هذه البلدان.

وكان العراق قد تقدم بطلب رسمي في هذا الشأن إلى منظمة اليونسكو، التي وقعت مع الدول المذكورة اتفاقيات بالتحفظ على الآثار المسروقة.





معاناة المسلمين في فلم

قام مخرج هندي يدين بالهندوسية بتصوير فلم عن معاناة المسلمين بعد هجمات ١١ سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠١م، وقال مانيش جها: إن فكرة إنتاج هذا الفلم جاءت بعد اعتقاله في نيويورك فقط؛ لأن الشرطة حسبته مسلمًا.

وأضاف مانيش جها في مؤتمر صحفي بمدينة لاكنو شمال الهند حيث يصور فلمه «أنور» الذي سيكون جاهزًا للعرض في أكتوبر/تشرين الأول القادم، إن الفكرة ولدت عندما كان يمشي في نيويورك بعد يومين بعد هجمات ١١ سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠١م، فأوقفه رجال شرطة، وسألوه من يكون؟.

ويستذكر جها قائلاً: لم أكن حلقت ذقني حينها، وكان شعري طويلاً.. وقد ظلوا يلمسونه، ويقولون: إنني أبدو كمسلم.

واستجوب الرجل بقسوة مدة خمس ساعات، وهو وإن لم يعتقل، لكنه شعر بإهانة شديدة من جراء هذا الاعتقال. وبدأ يفكر حينها في تصوير فلم عن الموضوع، فمن الإجرام أن توصم جالية بالإرهاب فقط؛ لأن واحدًا منها ارتكب جريمة ما.

ويؤكد مانيش جها أن هذه النزعة الإجرامية لا تقتصر على شرطة نيويورك وحدها، بل موجودة في الهند أيضًا، حيث تعيش أقلية مسلمة يقدر تعدادها بنحو ١٤٠ مليون نسمة، أي ما يعادل ١٢٪ من السكان.



باولو كويلهو والثقافة العربية

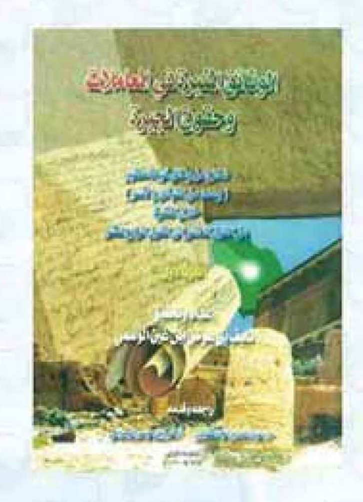
أكّد الكاتب البرازيلي المعروف باولو كويلهو أن التغييرات الحاصلة في العالم منذ أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١م لا يمكن أن تحجب نور الثقافة العربية أو تلغي صفة ثقافة الحب عنها، مهما حاول الغرب تشويهها. وصرح كويلهو، الذي يعد أحد أبرز الكتاب في العالم، وصاحب أكثر الكتب رواجًا، بحبه وتعلقه بثقافة العرب وحضارتهم، مؤكدًا أنه «لا يخجل من ذلك، على الرغم من أنها أصبحت تهمة».

وكان كويلهو يتحدث على هامش معرض تونس الدولي للكتاب، الذي استمر حتى الثامن من مايو/أيار الماضي، حيث يستضيف المعرض عددًا من الكتاب البارزين، من بينهم البرازيلي كويلهو، والفرنسي باسكال بونيفاس.

ويعدّ كويلهو من أبرز معارضي الحرب الأنجلوأمريكية على العراق، وقد كتب رسالة إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش يحتج فيها على احتلال العراق، وجاءت الرسالة تحت عنوان «شكرا سيد بوش». وبخصوص تأثير الثقافة العربية والإسلامية في كتاباته، أكد كويلهو أنه استلهم منها الكثير، وأنها أسهمت في ثراء مؤلفاته، وأوضح أن اكتشافه الأول للحضارة العربية الإسلامية كان من خلال العرب المقيمين في البرازيل، ثم طور معرفته الإسلامية من خلال قراءة الأدب العربي، مثل كتاب ألف ليلة وليلة، إضافة إلى الأدب الصوفي.







الوسمي، نايف بن عوض بن غبن/ الوثائق المنيرة في المعاملات وحقوق الجيرة: نماذج من وثائق قبيلة مطير وعدد من القبائل والأسر خلال الفترة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، مراجعة وتقديم: عبدالله بن نجا المطيري، وفايز ابن موسى البدراني. الرياض: المؤلف، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٦٦٨ص.

تعدّ الوثائق المكتوبة أصدق الدلائل الشرعية، وأقوى المصادر التاريخية، وبخاصة عندما تكون وثائق حقيقية كتبت لأغراض اجتماعية مبتعدة عن الأهواء الشخصية، وسالمة من التدخلات السياسية، وهي أحد العلوم التي نقلت حضارة الماضي إلى الأجيال عبر العصور.

قام المؤلف في هذا الكتاب بجهد جبار من أجل جمع ما أمكن من الوثائق من عدة أقاليم من شبه الجزيرة العربية، خاصة إقليم الحجاز، ومنطقة الرياض، ودولة الكويت؛ مقدمًا لكل باحث ومهتم بتاريخ هذه الأقاليم مصدرًا بكرًا ومهمًا لمعرفة تاريخ هذه المنطقة، وقد حوى هذا الكتاب (وهو الجزء الأول في هذه السلسلة) نحو مئة وست وثمانين وثيقة يراوح تاريخها بين ٩٧٥ و ١٣٧٩هـ».

وقد انحصرت الدراسة في إقليم الحجاز، خاصة الجهة الجنوبية، والجنوبية الغربية من منطقة المدينة المنورة، ممثلاً في القرى والهجر التالية: صُفينة، والسوارقية، ووادي أرن، ووادي العين، وحاذة، ووادي الفرع، ووادي حجر، وجميع القرى والأرياف المحصورة بينهما، بالإضافة إلى بعض الوثائق الخاصة بمدينة ينبع، كذلك تمت الاستعانة ببعض الوثائق الخاصة بوسط الجزيرة وشرقها، وبالتحديد بمنطقة الرياض، ودولة الكويت.

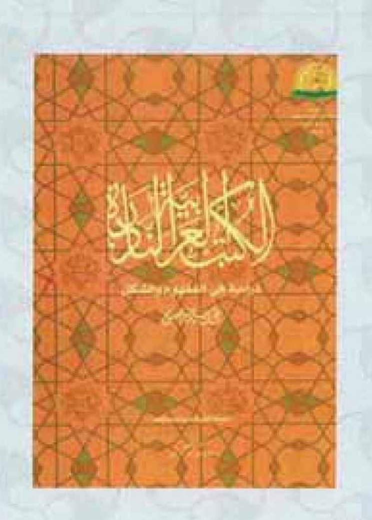
وضم الكتاب بين طياته جوانب كثيرة من تاريخ تلك الأقاليم، وسكانها، وحضاراتها خلال تلك الفترة التي يجهلها أبناء هذا العصر، وذلك بهدف إعطاء صورة أكثر وضوحًا عن المستوى الاجتماعي والتعليمي في مناطق البحث.

وتضمن الكتاب وثائق عن الوقف والصدقات وما في حكمهما، وشملت الوثائق الخاصة بالجنايات والديات وبيان الآبار، والرسائل الخاصة والعامة، ووثائق المنازعات والصلح، والمعاهدات، والأحلاف ووثائق المبايعات.

ومما يتميز به مؤلف الكتاب أنه اتبع منهجًا كتب به نص الوثيقة بلا تصحيح، إذ إن تصحيح الأخطاء خلال كتابة نص الوثيقة يفقدها أهميتها التاريخية؛ فالأفضل أن تكتب الوثيقة كما هي، ومن ثم تصحح الأخطاء.

وقد واجه الباحث الوسمي صعوبة في الحصول على الوثائق الخاصة،

وكذلك صعوبة في الحصول على الأسماء الكاملة للأعلام، وتداخل تلك الأسماء، وصعوبة قراءة الوثائق وطباعة نصوصها بسبب قِدم الوثائق، ورداءة الخط، وصعوبة تفسير كثير من المفردات والمصطلحات التي لم تعد تستخدم في عصرنا الحالي وفهمها ، وللأمانة العلمية نقل العبارات كما هي، وأضاف الحروف الناقصة أو الزائدة، أما الكلمات الخاطئة فتم تصحيحها من خلال شكل النص.



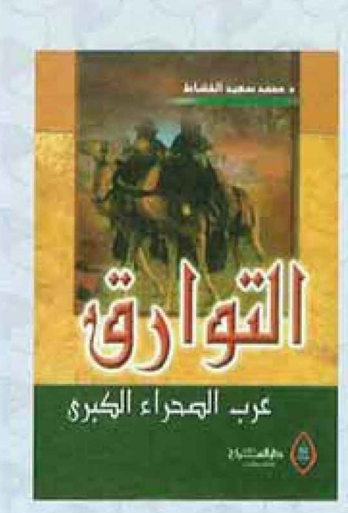
الصوينع، علي بن سليمان/ الكتب العربية النادرة ـ ط٢ ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ٢٧٢ص.

يتناول هذا الكتاب ـ في طبعته الثانية المزيدة والمنقحة ـ نوادر المطبوعات العربية بما يشمل تعريفها، وبيان خصائصها العامة، وطريقة الحصول عليها، وتقويمها من النواحي الشكلية. وقد تتبع المؤلف خصائص الندرة، وسعى نحو العثور على حالات وأمثلة توضيحية لبيان مفهومها، وملامحها في الكتب العربية.

ويستهدف الكتاب تبادل الخبرات مع الممارسين في عملهم، ومشاركة جامعي الكتب في حبهم وتقديرهم للنوادر، وتعزيز مكانة الكتاب العربي بإبراز خصائصه الشكلية والجمالية، وقد اعتمد الكتاب بشكل كبير على تجربة مؤلفه وخبرته المباشرة في فحص النوادر، والتعامل مع تجار الكتب القديمة، وجامعي الكتب، إلى جانب قراءاته المساندة حول الموضوع.

وتضمن الكتاب قائمة منتقاة لبعض المصادر الببليوجرافية حول الطباعة ونوادر المطبوعات، إلى جانب مسرد خاص للمصطلحات، وكشاف شامل.

ويتناول الفصل الأول: المنهج ومفهوم الندرة، والفصل الثاني: خصائص الكتب النادرة، والفصل الثالث: الاقتناء والتقويم.



القشاط، محمد سعيد/ التوارق: عرب الصحراء الكبرى ـ ط٤ ـ بيروت: دار السراج للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م، ٣٨٢ص.

يتناول المؤلف في هذا الكتاب التوارق من جميع جوانبهم، وطرائق حياتهم، وسلوكهم الاجتماعي وتاريخهم، ومشاهيرهم، وثوراتهم عبر التاريخ، وتحدث عن واقعهم المعاصر، وإمكانية مد يد المساعدة إليهم في محنتهم الحالية، وظروفهم الصعبة.

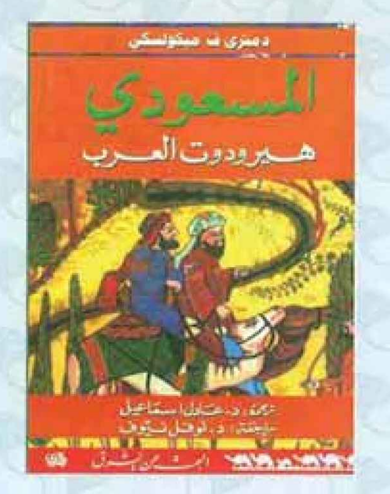
وقد جعلت معاشرة المؤلف للتوارق مدة تزيد على الثلاثين عامًا، واجتماعه برجالهم وشبابهم من مختلف الطبقات، من الذين يتحدثون عن التوارق بمعرفة ودراية تامة، وكان المؤلف قد اطلع على ما كتبه بعض الكتاب ـ وخصوصًا الفرنسيين ـ واوضح أن هناك الكثير من المغالطات في كتابات هؤلاء الكتّاب، بعضهم لقلة التجربة، وبعضهم لعدم معرفة التوارق، وبعضهم لمرض في نفسه، أو لغرض يريد أن يغرسه في ذهن القارئ المحايد.

وقد جاء الكتاب في أحد عشر بابًا، تناول الباب الأول نسبهم، وموطنهم ولغتهم وكتاباتهم، وتحدث في الثاني عن النظام السياسي عند التوارق، وجاء الثالث عن الحياة الاجتماعية في المجتمع التارقي، والرابع عن الحياة الاقتصادية عند التوارق، وسيطرتهم على طرق القوافل، وتطرق في الخامس إلى عادات التوارق وتقاليدهم، وقصر السادس على الطب الشعبي عند التوارق، وجاء السابع عن الأدب والرق والموسيقا عند التوارق، واحتوى الثامن على دور التوارق في التاريخ الإسلامي حركة المرابطين «الملثمين»، وتناول التاسع دور التوارق في صد الاستعمار الحديث، وانتفاضات التوارق ضد الفرنسيين، وتحدث في العاشر عن مشاهير التوارق في التاريخ، وجاء الأخير عن التوارق والاستقلالات الحديثة، وحاضرهم السياسي والاجتماعي.

وذيل الكتاب بخاتمة لخّص فيها موضوع الكتاب، والنتائج التي توصل إليها من خلال هذا البحث، والتي منها:

- عروبة التوارق التي لا تقبل الجدل والنقاش، كما وضح ذلك من لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم وحتى ألعابهم الشعبية.
- اللغة التارقية هي إحدى اللهجات العربية القديمة التي لا تزال بقاياها في حضرموت والمهرة بجنوب اليمن، وغرب عمان.
- دور التوارق البارز في نشر الإسلام.
- الاستعمار الفرنسي حاول مسخ المنطقة وشوّه تاريخها، وسلب الناس في الصحراء أفضل عاداتهم وتقاليدهم، وقضى على أئمة الإسلام وكبار المشاهير في الصحراء الكبرى.

وغير ذلك من النتائج، كما اشتمل الكتاب على عدد من الصور الفوتوغرافية عن التوارق وعاداتهم.



ميكولسكي، د ف/ المسعودي .. هيرودوت العرب، ترجمة: عادل حسن إسماعيل، مراجعة: نوفل نيوف - دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ٢٠٠٦م، ٢١٥ص.

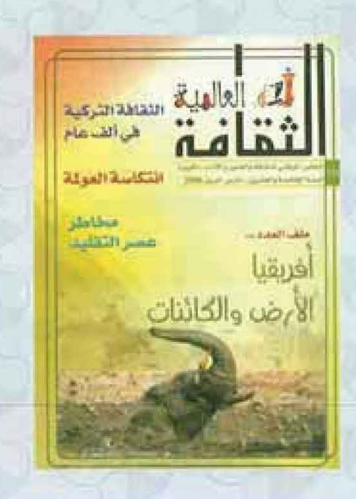
يعدّ هذا الكتاب أول ما كتب باللغة الروسية عن الرحالة العربي الإسلامي ابي الحسن علي بن حسين المسعودي استنادًا إلى دراسة مستقلة لمؤلفاته، وكتّاب روس وأجانب سبقوا المؤلف في هذا المجال، وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب أضخم أعمال المسعودي ومؤلفاته التي وصلت إلينا، وعلى الرغم من ورود ذكر المسعودي في ستة من المؤلفات العربية الإسلامية، إلا أننا لا نعرف إلا القليل عن حياته، وقد تناقضت الرواية عن مكان ولادته وتاريخها، وإن تعارفت على تاريخ ولادته عام ٨٩٦م.

ويعدّ المسعودي أول من تمثّل وقدّم، من بين الكتّاب، تاريخ الجماعة الإسلامية، والدولة العربية الإسلامية، أي الخلافة، كمادة للقص الشائق، والمختلق في كثير من جوانبه، كما أن المسعودي لم يكتف بالحصول على الحكمة المحفوظة في بطون الكتب، بل سعى إلى دراسة العالم الذي عاش فيه، وقام بأسفار كثيرة كانت تمتد لسنوات في بعض الأحيان، فزار، ووصف كثيرًا من الأمصار، التي كانت معروفة للعرب المسلمين، وجمع معلومات صحيحة عن البلدان، التي لم تتح له زيارتها، حتى غدت هذه المعلومات مرجعًا مهمًا للمؤرخين والجغرافيين والإتنوغرافيين.

وجاء الكتاب في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، وكان فصله الأول عن «الطفولة في مدينة (ألف ليلة وليلة)»، وهي مدينة بغداد التي تعرض لتاريخها، وبنائها، وسكانها، وحياة الخلفاء العباسيين فيها، وجاء الفصل الثاني بعنوان «نحو ذرا المعرفة»، وتناول فيه الحياة العلمية نتيجة احتكاك المسلمين بالشعوب الأخرى كالإغريق والبيزنطيين والسوريين «السريان» والإيرانيين والهنود، ودخول علوم أخرى حيّز اهتمام العرب المسلمين، مثل: الفلسفة، والرياضيات، والمنطق، والسيمياء، والجغرافية التي اشتهر في مجالها المسعودي أكثر ما اشتهر، وكان الفصل الثالث بعنوان «من الهند إلى مصر، ومن القوقاز إلى مدغشقر»، وتحدث فيه المؤلف عن آخر مؤلفات المسعودي، وهو كتابه المعروف باسم «كتاب التنبيه والإشراف» الذي يتناول فيه باختصار أسفاره ورحلاته، التي استمرت نحو أربعين عامًا، زار خلالها الهند، وساحل إفريقية الشرقي، وشبه الجزيرة العربية، والقوقاز، وسورية، ومصر، فضلاً عن موطنه العراق الذي أقام في عدد من مدنه.







الثقافية العالمية (س ٢٥، ع ١٣٥، مارس ـ أبريل ٢٠٠٦م)

مجلة تترجم الجديد في الثقافة العالمية، وتصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

احتوى هذا العدد من الدورية على كثير من الموضوعات المترجمة من لغات أخرى، في مختلف المجالات، بدأت بموضوع إيريك بونابو بعنوان «مخاطر عصر التقليد» ترجمة: محمد مجد الدين باكير، وكتب راس ريمر موضوعًا بعنوان «إنقاذ شجرة الموسيقى» ترجمة: عبدالمنعم السلمون، وجاءت «انتكاسة العولمة» بقلم نيال فيرغسون، ترجمة: حسن بحري، و«طيران الصقر» بقلم ميرفي رودز ترجمة: شاهر عبيد، و«جرائم مخفية» بقلم دنيا جونز، ترجمة: فرج الترهوني، و«حلم أمريكي وآخر أوربي» بقلم جيريمي ريفكين، ترجمة: عبدالمعطي سويد، و«إعادة النظر في آسيا» بقلم فرانسيس فوكوياما، ترجمة: إنصاف سلطان الباير، وكان آخر موضوعات العدد بعنوان «التزامنية.. مفتاح القدر» كتبه فرانك جوزيف، وترجمه: رلى صالح أبو ناصر.

واهتم ملف العدد المترجم بمجاهل إفريقية وكائناتها وغاباتها، ولم يكن القصد من هذا الملف وصف رحلات الاستكشاف في بعض مناطق هذه القارة، التي لا يزال يكتنف ناسها وجغرافيتها الكثير من الأسرار، بل أيضًا لإظهار مدى اهتمام العالم المتقدم بأدق تفاصيل الأشياء التي تخص الآخرين، وقد جاء في الملف: «الأرض.. الكائنات» ترجمة: حمدي أبو كيلة، و«نظرة إلى إفريقية» لجيرد دياموند، و«من يملك النفط الإفريقي؟» لنيك كوتش، و«من يحكم الغابة؟» لبول سالويك، وأخيرًا «العيش مع الإيدز» بقلم جيديون مندل.

العنوان:

ص.ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي: ١٣١٠٠ ـ دولة الكويت.

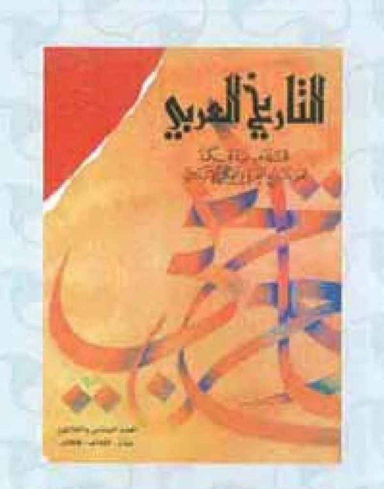
هاتف: ٢٤٣١٨٦٩ ـ ٢٤٢١٥٧٣ ـ ٢٤٢١٢٥٧ ـ ٢٤٢٠٨٤٨

ناسوخ: ٢٤٣١٢٢٩

البريد الإلكتروني: thaqafa@nccal.gov.kw

التاريخ العربي (ع ٣٦، شتاء ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)

مجلة علمية محكّمة تعنى بالتاريخ العربي، والفكر الإسلامي، تصدرها



جمعية المؤرخين المغاربة.

جاءت بحوث هذا العدد من الدورية خاصًا عن سلطنة عمان، وقد شارك فيه نخبة من الأكاديميين والمثقفين في الوطن العربي، وتزامن صدور هذا العدد مع احتفالات الأمة العربية بمدينة «مسقط» عاصمة للثقافة العربية.

وجاء في بحوث العدد: «النهضة العمانية المباركة من خلال الأقوال السامية لصاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم»، و«تأسيس الدولة الحديثة في سلطنة عمان من عام١٩٧٠م إلى عام١٩٧٥م» للدكتورة ناهد عبدالكريم، و«جولات السلطان قابوس الداخلية وأثرها الاقتصادي والاجتماعي: دراسة تاريخية حضارية» للدكتور سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي»، و«ملامح من النهضة العمانية المعاصرة» للدكتور إبراهيم القادري بوتشيش، و«سلطنة عمان بعيون مغربية ١٩٩٥ - ١٩٩٩م» للدكتور قاسم الحسيني.

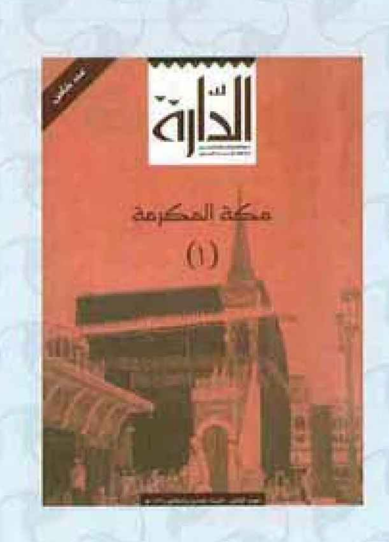
وفي باب دراسات عمانية كتب الدكتور محمد إقبال أحمد فرحات عن «طبائع أهل عمان، وأثرها في إنجاح الدعوة إلى الله في ضوء الحديث النبوي»، وتتبع الدكتور عبدالكريم كريم «عمان عبر التاريخ»، وكتب الدكتور عبدالعزيز صلاح سالم عن «مدينة نزوى العمانية ودورها في الحركة العلمية في القرون الأولى للهجرة»، وأرّخ الدكتور عزة حسن لـ «الإمام الحافظ العُماني أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد المقرئ عالم القراءات الكبير»، وكتب الدكتور مصطفى عبدالقادر النجار تحت عنوان «نحو منهجية تاريخية عمانية»، وأكّد عبدالله العوينة أن «سلطنة عمان، بلد متنوع وتوجه تنموي».

وفي مجال الأدب العماني جاءت موضوعات: «علاقة النموذج الشعري العماني بالنموذج الشعري العربي القديم» للدكتور أحمد الطريسي، و«نقد تاريخ الأدب العماني المعاصر: بدايات التأسيس» للدكتور سعيد علوش، و«تفاعلات الشكل الفني في الشعر العماني الحديث» للدكتورة لويزا بولبرس.

وجاء في آخر الدورية «ديوان المجلة» ومن قصائده: «سلطنة عمان» للشاعر عبدالواحد أخريف، و«المقبس الهادي» للشاعر محمد البوعناني، و«السلطان قابوس بن سعيد» للشاعر الدكتور مانع سعيد العتيبة.

العنوان:

جمعية المؤرخين المغاربة



حي الليمون، ٥ (أبو نواس)
الرباط - المملكة المغربية
البريد الإلكتروني للمجلة: attarikhalarabi@hotmail.com
موقع المجلة على الإنترنت: www. attanrikh - alarabi. ma

مجلة الدارة (س٣١، ع٤، ١٤٢٦هـ)

مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز.

جاء هذا العدد خاصًا تحت عنوان «مكة المكرمة» بمناسبة مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية سنة ١٤٢٦هـ، ونشر في جزأين، وتضمن العدد بحوثًا علمية في تخصصات مختلفة، كالتاريخ، والآثار، والجغرافية، والاقتصاد، والعمران.

وجاءت بحوث الجزء الأول من الدورية كالآتي: «دار الندوة في الجاهلية والإسلام: دراسة تاريخية حضارية» للدكتور عدنان بن محمد الحارثي، و«دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي بمكة المكرمة: دراسة تاريخية حضارية» للدكتور ناصر بن علي الحارثي، و«النشاط التجاري والحرفي في مكة في العصر الأموي من خلال كتاب الفاكهي: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه» للدكتور إبراهيم بن عبدالعزيز الجميح، و«جهود الخلافة العباسية في عمارة الحرمين الشريفين ومشاعر الحج في الحجاز «١٣٢ - ٦٥٦هـ» للدكتور محمد بن عبدالله القدحات، و«مكة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري كما وصفها المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)» للدكتور عبدالعزيز بن راشد السنيدي، و«شاهد قبر من أول القرن السابع الهجري لإمام المقام الشافعي بالمسجد الحرام (٥٩٨ - ٦٠٤هـ): دراسة تاريخية حضارية» للدكتور محمد بن هزاع الشهري، و«نقش إسلامي يؤرخ لتجديد رخام الكعبة المشرفة سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م» بأمر من السلطان الرسولي الملك المظفر» للدكتور مشلح بن كميخ المريخي، و«نفوذ القُواد العُمَرة والحميضات لدى أشراف مكة (٧٣٧ - ٨٧٣هـ/ ١٣٣٦ - ١٤٦٨م)» للدكتور عبدالرحمن بن مديرس المديرس، و«دور المرأة المكية في الحركة الفكرية في القرن التاسع الهجري» للدكتور عائض بن محمد الزهراني، وكان آخر بحوث هذا الجزء بعنوان «ملامح من الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة خلال القرن العاشر

الهجري في ضوء كتابي بلوغ القرى للعز بن فهد ونيل المنى لجارالله بن فهد» للدكتورة عواطف بنت محمد نواب.

أما بحوث الجزء الثاني فقد جاءت كالآتي: «التجارة الداخلية في مكة المكرمة في مطلع القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي من خلال رحلة بركهاردت» للدكتورة نادية بنت وليد الدرسري، و«موقف القبائل البدوية من قافلة الحج الشامي والخط الحديدي الحجازي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين» للدكتور إبراهيم فاعور الشرعة، و«صورة المجتمع المكي في كتابات الرحالة في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري» للدكتور محمد عبداللطيف الصباغ، و«بعض علماء مكة المكرمة وعلاقتهم بالحركة العلمية في الطائف خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» للدكتور سليمان بن صالح آل كمال، و«التواصل الحضاري بين الحجاز وأرخبيل الملايو: رحلة الحاج عبدالماجد زين الدين إلى الأراضي المقدسة نموذجًا» الدكتور أحمد إبراهيم أبو شوك، و«البوتقة المكية وأثرها في صهر السكان: دراسة في الجغرافيا التاريخية للهجرة وتأقلم الجاليات الوافدة إلى العاصمة المقدسة» للدكتور محمد محمود السرياني، و«مشاهدة وانطباعات وزير عدلية المغرب الخليفي عن الحجاز سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م» للدكتور محمد الشريف، و«لمحات من مظاهر التطور العمراني بمكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز» للدكتور عادل بن محمد نور غباشي، و«نماذج من اتجاهات العلماء في بيان مكانة مكة المكرمة» للدكتور عبدالرحمن بن محمد بودرع، و«قضاة مكة المكرمة إبان الفترة ١٢٢٠ ـ ١٢٦٦هـ/ ١٨٠٥ ـ ١٨٤٨م: دراسة وثائقية من واقع أرشيف دار الوثائق القومية بالقاهرة» للدكتور محمد علي فهيم بيومي، وجاء آخر بحوث العدد بعنوان «دراسات وثائقية عن الجزيرة والخليج العربي: ٢ نماذج من عناية الملك عبدالعزيز بالحج» للأستاذ حمد بن عبدالله المنقري.

العنوان:

ص.ب: ٢٩٤٥ الرياض ١١٤٦١

هاتف: ٤٠١١٩٩٩

ناسوخ: ٤٠١٣٥٩٧

البريد الإلكتروني: magazin@darah.org.sa





عادل الغضبان شاعر الشباب

١٩٠٨ ـ ١٩٧٢م

عيسى فتوح
*دمشق ـ سورية

تعدّ أسرة الغضبان من الأسر المثقفة والعريقة في حلب، فقد اشتهر رجالها منذ أواخر القرن الثامن عشر بالترجمة لدى قناصل الدول الأجنبية، مثل: السويد، وبريطانيا، وغيرهما، في وقت كانت الترجمة لا تسند إلا إلى الطبقة العالية من الناس الموثوق بعلمها وثقافتها، ونزاهتها وحسن سمعتها، وإتقانها اللغات الأجنبية، ومنها الشاعر والأديب عادل الغضبان الذي أتقن اللغتين العربية والفرنسية، وغيرهما من اللغات الحية.

ولد عادل الغضبان عام ١٩٠٨م في «مرسين» بتركيا يوم كانت تابعة لولاية حلب، لأن والده حكمت الغضبان كان ضابطًا في الجيش التركي. تلقى دراسته الابتدائية في مدارس حلب، ثم انتقل مع أسرته بعد الحرب العالمية الأولى إلى القاهرة، حيث تابع دراسته الإعدادية والثانوية في مدرسة اليسوعيين، التي كانت تعنى عناية خاصة باللغتين العربية والفرنسية، اللتين أظهر عادل تفوقًا ملحوظًا فيهما، ولما نال الشهادة الثانوية عين مدرسًا للغة العربية في مدرسته، وانكب في الوقت نفسه على مطالعة أمات الكتب العربية والفرنسية، ودواوين الشعر العربي قديمه وحديثه، وكتابة الشعر والمقالات، وإلقاء المحاضرات في النوادي .. حتى إنه تصدى عام ١٩٢٩م إلى نقد مسرحية «مجنون ليلى» لأحمد شوقي وهو لا يزال في الحادية والعشرين من عمره.

كان العمل في التدريس يتطلب منه بذل جهود مضنية، لذلك انتقل إلى العمل في سكة الحديد المصرية، ثم في المحاكم المختلطة مترجمًا، وبعد أن حُلت هذه المحاكم التحق عام ١٩٤١م بدار المعارف بمصر، التي أسسها نجيب متري، وقد اقترن اسمه بهذه الدار الكبيرة، وبكل ما حققته من سمعة طيبة وشهرة واسعة على الصعيدين العربي والعالمي، إلى أن تقاعد منها بسبب إصابته بمرض القلب، الذي أودى بحياته في ديسمبر ١٩٧٢م.

كان للأديب والشاعر عادل الغضبان أياد بيضاء على دار المعارف، فهو صاحب فكرة إصدار سلاسل «اقرأ» و«نوابغ الفكر العربي» ونوابغ الفكر الغربي» و«أعلام التاريخ» و«ذخائر العرب» و«أولادنا» ومجلة «سندباد» للأطفال، ومجلة «الكتاب» الأدبية الشهرية التي رأس تحريرها منذ عددها الأول، الذي صدر في تشرين الثاني /نوفمبر عام ١٩٤٥م حتى توقفها عام ١٩٥٣م، وكان يشرف بنفسه على قراءة كل ما تصدره هذه الدار من منشورات ومطبوعات، مفضلاً نشر كتب الآخرين على نشر كتبه، ولذلك قل نتاجه الأدبي وبقي أكثره مخطوطًا بعد وفاته، ومنه ديوان «قيثارة العمر» الذي لم يصدر حتى اليوم، واكتفى بنشر مسرحية «إخمس الأول» و«ليلى العفيفة» و«الشيخ نجيب الحداد»، وملحمة «من وحي الإسكندرية» وترجمة كتب «الزنبقة السوداء» و« دون كيشوت» و«الأميرة والفقير» و«تربية البنات» لفنيلون، وسجن زندا ..

كان عادل الغضبان يلقب بـ «شاعر الشباب»، وقد ملك ناصيتي الشعر والنثر، وكما كان كاتبًا ضليعًا، وناقدًا حصيفًا، وقاصًا لامعًا، ومترجمًا قديرًا، كان شاعرًا ممتازًا أيضًا، ولذلك انتخب عضوًا في المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية، وقد امتزجت في أسلوبه أناقة اللفظ، ومتانة اللغة، ودقة التصوير، وبلاغة التعبير، والابتكار

في المعاني .. وكان عباس محمود العقاد يقول كلما سمع قصيدة له: «إني لأعجب لهذا الشاعر خرّيج اليسوعيين الذي يملك ديباجة عربية قل أن يملكها خرّيج الأزهر»، وقد علق صالح جودت على كلام العقاد بقوله: «لا أحسب أن أحداً من شعراء عصرنا نال من ثناء العقاد أكثر من هذا القدْر، ذلك أن العقاد كان ضنيناً بالمديح، لا يقول كلمته في الثناء على أحد، إلا إذا كان واثقاً بالمعيته ونبوغه، ولا سيما في مجال الشعر، والشعر المعاصر بالذات».

وحين سمع شيخ العروبة أحمد زكي محاضرته، التي ألقاها في النادي الكاثوليكي بالقاهرة عن مسرحية مجنون ليلى لشوقي قال: «والله لو سمعت المحاضر من وراء حجاب لما شككت قط في أنه أحد شيوخ الأزهر العظام».

كان عادل الغضبان جميل الصورة، صبيح الوجه، أشقر الشعر، أزرق العينين، طلق المحيا، رخيم الصوت، عذب اللسان .. وكان ودوداً، متواضعاً، إنساني النزعة، لطيف المعشر، دمث الأخلاق، يعرف كيف يشد إليه آذان السامعين فلا يملون حديثه، وكثيراً ما كان يحلّي حديثه بالمُلح والطرائف، والحكم والأمثال، والأبيات الشعرية.

وكان بيته العامر في القاهرة، وكذلك بيته الآخر في الإسكندرية ملتقى لكبار الأدباء والكتاب والمفكرين، من أمثال طه حسين، وإبراهيم عبدالقادر المازني، وعباس محمود العقاد، وأحمد حسن الزيات، وعزيز أباظه، والدكتورة بنت الشاطئ .. وكان ينتدب نفسه لتكريم كل أديب يزور مصر، وقد أقام في منزله حفلات لتكريم الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري) والشاعر إلياس فرحات، والأديب نظير زيتون، وسامي الكيالي، وعبدالله يوركي حلاق .. ولم تنسه إقامته الطويلة في مصر مدينة حلب التي كان يردد فيها قوله:

نُثِــرتْ على جنبــاتك الشُــهُبُ

فــدعــيتِ بالشــهــبــاء يا حلبُ

أنتِ العـــــروسُ أتم جَـلْـوَتَهَـــــا

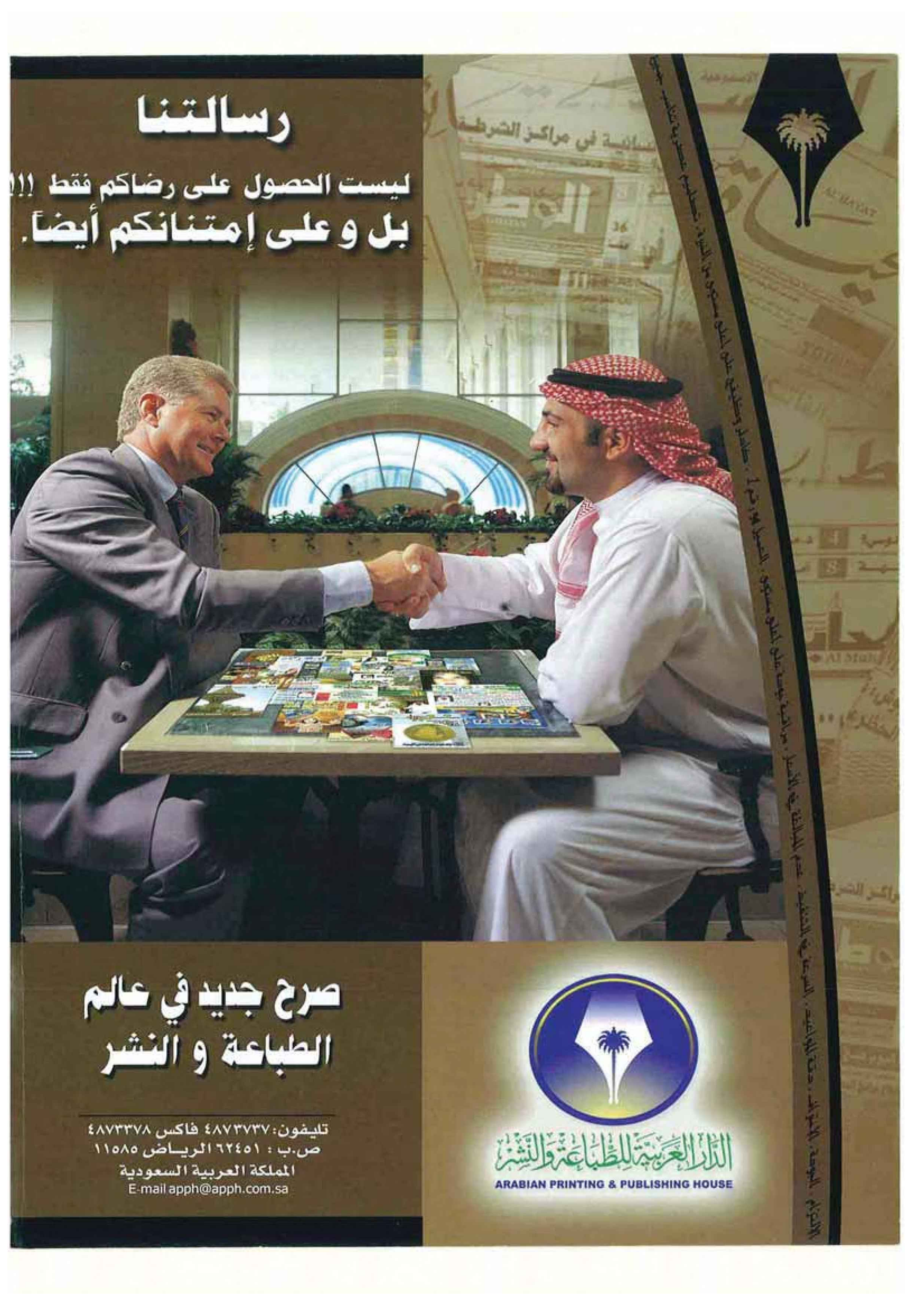
هـذا الإزارُ الأبـيضُ العــــــجِــبُ ..

يروي الأديب وديع فلسطين الذي كانت تربطه صداقة حميمة بعادل الغضبان أنه «كان يملك في بيته خزانة كتب خاصة أبدع في تنسيقها، وتجليد كتبها تجليداً فاخراً، وبألوان تختلف باختلاف موضوع كل كتاب، فالدواوين والدراسات الشعرية تجلّد بلون، وكتب التراث بلون آخر، وكتب الدراسات الأدبية بلون ثالث، وكتب العلوم بلون رابع .. وكان اعتزازه بهذه الخزانة كبيراً، ولهذا أهدتها زوجته المتفرنسة بعد وفاته إلى إحدى الجمعيات الثقافية الخاصة، مع التوصية بالإبقاء عليها كوحدة مستقلة؛ لأنه لم يكن للغضبان ولد يحمل اسمه، ويستبقي آثاره».

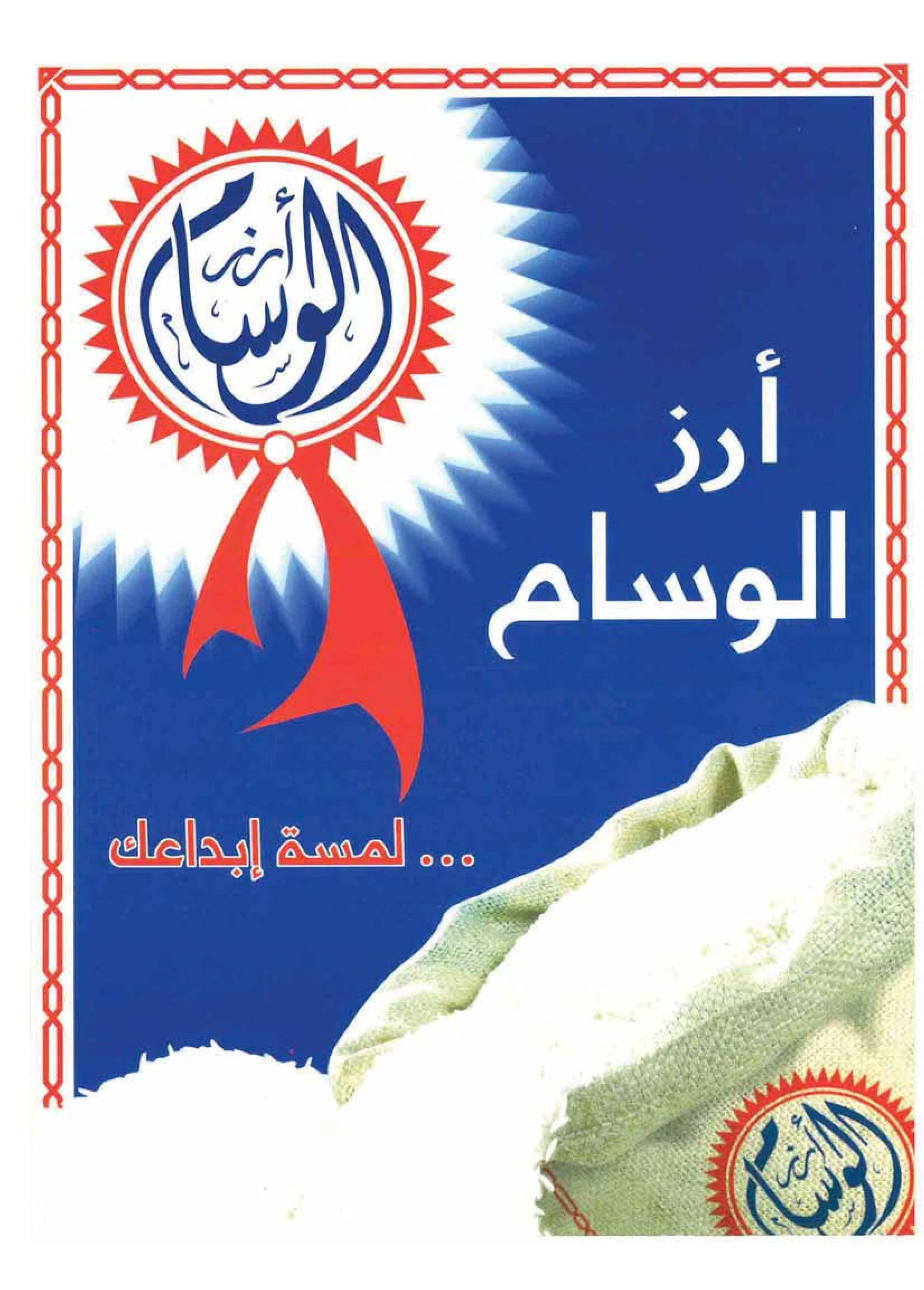
التقيت عادل الغضبان مرة واحدة في ١٩٧١/٦/٢م حين حل في فندق «أمية» بدمشق قادماً من القاهرة، في طريقه إلى حلب، للاشتراك في تأبين المحامي فتح الله الصقال ١٨٩٢ ـ ١٩٧٠م، وخلال استقباله لي قدمت إليه اعتذاري الشديد عن المقال النقدي الذي كتبته عن ملحمته «من وحي الإسكندرية» بلهجة قاسية، فقد كنت يومئذ شاباً ممتلئاً حماسة وتطرفاً، وحديث العهد بالكتابة النقدية، واعترف بأنني لم أندم في حياتي على مقال كتبته مثل ندمي على تسطير هذا المقال الجارح، الذي تطرفت فيه، وخرجت عن حدود اللباقة، ومع ذلك استقبلني بكل لطف ومودة وترحيب، وغفر لي زلتي، وعدّها من نزق الشباب الجامح ! ..

المـــراجـــع

- وديع فلسطين، وديع فلسطين يتحدث عن أعلام عصره، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٣م.
- عبدالله يوركي حلاق، من أعلام العرب في القومية والأدب، مطبعة الإحسان، حلب، ١٩٧٧م.
- يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٠م.



رسالتنا
ليست الحصول على رضاكم فقط !!!
بل و على إمتنانكم أيضاً.
صرح جديد في عالم
الطباعة و النشر
تليفون: ٤٨٧٣٧٣٧ فاكس ٤٨٧٣٣٧٨
ص.ب : ٦٢٤٥١ الرياض ١١٥٨٥
المملكة العربية السعودية
E-mail apph@apph.com.sa
الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE



أرز الوسام
أرز
الوسام
... لمسة إبداعك